الجزء الثالث — المجلد الثالث والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٤٨ — ٢٤ شعبان سنة ١٣٦٧

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٢ —

حرف الباء

البابُوس : ܒܘܒܘܣܐ bobouço ، طفل ، صبي صغير . قال ابن خالويه هو الصبي ولم يذكره الا ابن احمر في شعره ، وفي التهذيب : البابوس الصبي الرضيع في مهده ، وفي حديث جريج الراهب ، مسح رأس الصبي وقال له : يا بابوس من أبوك ؟ وقيل هو الولد عامة من أي نوع كان ، واختُلف في عربيته فقيل رومية استعملها العرب كما في المجيد ، وقيل عربية كما في التوشيح اهـ (التاج ٤ : ١٠٥) وصوابه ، لفظة سريانية .

الباحور والباحوراء : ܒܚܘܪܐ bohouro ، غيم صيفي يستدل به على المطر في الشتاء المقبل ، وفي التاج : الباحور والباحوراء كعاشور وعاشوراء شدة الحر في تموز وهو مولَّد . وجاء في كلام بعض رجّاز العرب[1] . صوابه معرّب من السريانية .

(١) الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية للدكتور داود الجلبي ص ١٥

الباشَق : ܒܘܙܝܩܐ bouziqo قال صاحب الجمهرة ص: ٢٩٣ هذا هو الطائر المعروف احسبه نبطيّاً معرّباً . وقال في القاموس انه معرّب (باشه) كذا . وقال الجواليقي في المعرّب ص ٦٣ انه اعجمي معرّب [1] ـ معرب من السريانية وذكر في سفر اللاويين ١١ : ١٤ « والباشَق بأجناسه » .

باطية : ܒܛܝܬܐ ܒܛܘܬܐ botitho botoutho وعاء للخمر ـ جاء في التاج : الباطية اناء قيل هو معرّب وهو الناجود ، وقال الأزهري الباطية من الزجاج عظيمة تملأ من الشراب وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون . وورد في الجمهرة ص ٣١١ البطّة اناء كالقارورة عربية صحيحة احسبها لغة شامية .

الباعوث : ܒܥܘܬܐ boöutho كلمة سريانية معناها الطلبة ، الابتهال ، التضرّع ، وهو في عُرف السريان بضعة أبيات لبعض أئمتهم منظومة على اوزان ثلاثة تُتلى يومياً في أثناء الصلاة . عرّفها أصحاب اللسان والتاج والقاموس وأقرب الموارد بصلاة الاستسقاء او الاستمطار وهو تعريف ناقص ، لأن الباعوث يكون في صلاة الاستسقاء وفي كشف الغمة عند نزول الآفات ، وفي الأعياد الحافلة كعيد السعانين وكانت العادة أن يُطاف فيه . وفي حديث عُمر لما صالح نصارى الشام كتبوا له ان لا نحدث كنيسة ولا قليّة (كذا) ولا نخرج سعانيناً ولا باعوثاً . وجاء في كتاب عياض بن غنم لأهل الرقة « ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ولا صليباً » البلاذري ص ١٨١ ـ وقال ماري بن سليمان الكلداني في كتاب المجدل ص ١١٨ واجتمع الناس ثلاثة ايام على الباعوث والطلبة بحسن الاختيار . وروى عمرو الطيرهاني في كتابه المجدل ص ٩٨ وعُمل الباعوث ثلاثة أيام . وورد في معجم الأدباء مج ١٧ ص ٢٢ ولأبي الهيذام الحراني اللغوي :

في يوم باعوثهم وقد نشروا الصلبانَ والمسلمون نظّارُ

وصرّح صاحبا اللسان والتاج بسريانيته قالا : وقيل هو بالغين المعجمة والثاء

(١) ومثله الاسكافي في مبادي اللغة ص ١٦٢

فوقها نقطتان ٠ (٢ : ٤٢٢ ـ و ٤ ـ ١٢٩) وقد غلطا كما غلط ابن دريد في قوله « الباغوث » والجواليقي ص ٥٧ وصاحب المخصص ١٣ : ١٠٢ في تعريفهما انه عيد النصارى على وجه الاطلاق ٠ وكذلك شرح القاموس في مادتي (ب ع ت ، ب ع ث) فانه بالعين المهملة ٠

وخلاصة هذا الشرح : ان الباعوث كان قديماً يعني اولاً صلاة الاستسقاء وكشف الغمة في اثناء نزول الأوبئة وما اليها ، وثانياً دعاء في أثناء الطواف في الأعياد الحافلة

أما في وقتنا هذا فيعني أولاً : أبياتاً منظومة مختارة يترنم بها السريان في صلاتهم وثانياً : صوماً خاصاً بهم يسميه نصارى العراق باعوث نينوى وهو ثلاثة ايام تتقدم الصوم الأربعيني بثلاثة أسابيع ، وثالثاً حفلة دينية ثاني عيد الفصح عند الروم في بلاد الشام [1] ٠

باكورة : ܒܟܘܪܐ ܒܟܘܪܬܐ bacoro , bacortho أول الثمر خاصة والاسم ܒܩܝܪܘܬܐ bqiroutho وفي سفر اللاويين ٢٣ : ٢٠ « مع خبز البواكير »

البُحْران : ܒܘܚܪܢܐ Bouhrono البحران عند الأطباء هو التغيير الذي يحدث للعليل دفعةً في الأمراض الحادّة ، مولدة (عن المطرّزي وأقرب الموارد والقاموس) انها لفظة سريانية وجمعها بحرانات ، وللطبيب الفيلسوف قسطا بن لوقا الرومي البعلبكي المتوفى عام ٩٠٨ م كتاب في النبض ومعرفة الحمّيات وضروب البحرانات ، وكتاب أيام البحران ، (طبقات ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٤٥) ولأبي الفرج ابن الطيّب تفسير كتاب البحران لجالينوس (فيه ١ : ٢٤٣) ورد هذا الاسم مراراً عديدة ٠

برّا : ܒܪܐ Baro خارج ، وبرّاني ܒܪܝܐ : Baroio خارجي : وقال

(١) انظر كتاب اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٤٩٧

صاحب التاج : أصله من قولهم خرج فلان براً اذا خرج الى البرّ والصحراء وليس من قديم الكلام وفصيحه [1] .

البَرْخ : جاء في الجمهرة ص ٢٣٢ ويوافقه ابن سيدة ١٣ : ٦٥ البرْخ : الكثير الرخيص ، لغة يمانية ، وأحسب أصلها عبرانياً أو سريانياً وهو من البركة والنماء ، قال العجّاج :

ولو رآني الشعراء دُبِّخوا ولو تقول بَرّخوا لبَرّخوا

لمارِ مرجيسَ وقد تدخدخوا

وفيه نظر ، فان قول الشاعر : بَرِّخوا وبَرَّخوا انما أراد به ، ابرِكوا فبَرَكوا) من فعل ܒܪܟ Bréq السرياني برك : اي اركعوا بالركوع ذكرى مار مرجيس الشهيد الجليل المنزلة عند العرب ، وتدخدخوا اي انقبضوا . وليس هو من البرْخ وهو الكثير الرخيص ، ولا من البركة . وليس في السريانية سوى لفظة ܒܘܪܟܬܐ Bourktho وتعني الغزارة والوفور ، فيظهر أنها اشتقت منها ، وحقها أن تكون البرْك لا البرْخ .

بارك : جاء في أقرب الموارد : برّك على الطعام وبرّك فيه : دعا له بالبركة ، وبارك الله لك وفيك وعليك وباركك : جعل فيك البركة وطهّرك . وتبارك الله تعالى : تقدس وتنزه .

ولكن لم يرد في المعاجم : باركَ الرجلُ اللهَ الاّ في ترجمات التوراة العربية من ذلك « باركوا الربّ يا جميع عبيد الرب » مزامير ١٣٣ : ١ وقد تكرر كثيراً . فهو بهذا المعنى حمد وسبّح مأخوذ من السريانية ܒܰܪܶܟ Barech .

وأضف الى برْك استعمالها للأشخاص عندنا من فعل ܒܪܶܟ نفسه ومنه في القانون السابع لابيفانيوس كما ورد في كتاب الناموس وهو المجموع الشرعي للروم

(١) برّاً ، قال الزبيدي الصواب من برّ وهو ضد البحر والبرّية منسوبة اليه والجمع براري . وكذلك قال الأزهري هو كلام المولدين . قال في الدرّ المصون وفيه نظر لقول سلمان الفارسي « لكل امرىء جوّاني وبرّاني » أي باطن وظاهر ، وهو مجاز .

« يضع يده عليه ويبركه » وفي التاريخ الموسوم بتاريخ سعرت مج ٢ ص ٢٦٤ تبرك منه ، وبركه .

بُرشانة : ܦܘܪܫܢܐ Fuorchono خبزة التقدمة والقربان . سريانية نصرانية أخذاً من الاسم المذكور .

بَرشعثا : ܒܪܫܥܬܗ Barchoôthé اسم علاج معناه اللفظي : ابن ساعته وقالوا فيه : بُرء الساعة : ولأبي بكر الرازي كتاب بهذا الاسم . قال البديع الاصطرلابي يمدح (البرشعثا) لما الفه أو جدده أو حد الزمان ابو البركات الطبيب :

تجرّعت برشعثا وحاليَ أشعثٌ فما زلت بي بعده علةٌ شعثا

ولو بعد عيسى جاز احياء ميّت لأصبح يحيا كلّ ميّتٍ ببرشعثا

بِركة : ܒܪܟܬܐ Brectho بِركة ماء : لفظة آرامية قديمة .

البَرْنَساء : ܒܪܢܫܐ Barnocho انسان ، رجل والاسم ܒܪܢܫܘܬܐ Barnochoutho انسانية ، طبيعة بشرية . قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ٢ آدم أول البرنساء أي الناس . وفي كتاب المزهر ٢ : ٣٢٣ قال اعرابي : يا أيها البرنساء كَابَ الأزلم ، اخذاً من الاسم : وحكي ابن سيدة ١٤ : ٩٩ برنساء على فعلالاء وقال صاحب المزهر ١ : ١٦٦ عن الأندلسي بمعنى الخلق وقال تفسيره بالسريانية ، ابن الانسان . وقال صاحب التاج ٤ : ١١٠ أي الناس ... والولد بالنبطية (كذا) برة نساء وقال الدينوري في أدب الكاتب ص ٢١٢ البرنساء الخلق وأصله بالنبطية ابن الانسان يقال في المثل ما أدري أيّ البرنساء هو . قلنا ان قول التاج برة نساء تعني امرأة ܒܪܬ ܐܢܫܐ Bathnocho بادغام الراء فهذا الحرف سرياني ولم تصرح المعاجم بسريانيته [1]

(١) قال صاحب الجمهرة في لفظة « البرنس » ص ٢٥٥ ان كانت النون زائدة فهو من البرس أي القطن وان كانت أصلية فهو من قولهم ما أدري أي برنساء هو ، يعني أي الناس هو — اهـ . فانظر هذا التكلف البارد في التخريج الفارغ الملطوط فيه ، والاصح تسبة البُرنس وهو الكساء الذي يغطّى به الرأس ، القلنسوة الطويلة ، أو الثوب الذي رأسه ملتزق به ، وللفظة (برنساء) السريانية ؟

الباري والبارياء والبورية والبارية : الحصير المنسوج من القصب وجمعه البواري قال فيه التاج : فارسي معرّب . وذكر القاموس انه معرب وهو بالسريانية ܒܘܪܝܐ Bourio والجمع ܒܘܪܝܬܐ Bouriotho و ܒܘܪܘܬܐ Bourootho قال ماري بن سليمان في كتاب المجدل ص ١١١ فعلق النار ببواري كانت ملفوفة في جانب الهيكل . وجاء في معجم الأدباء ٢ : ٢٥٨ ليس في داري سوى البواري . قلنا اننا نرجح سريانية هذا الحرف على فارسيته ، ذلك ان حضارة الآراميين وانتشار لغتهم سبقتا حضارة الفرس بدهر مديد[١] . وما ارتأيناه في هذا الحرف ينطبق على الحرف الآتي وهو :

بريد : رسول ، ناقل الرسائل وغيرها . جاء في التاج : قال الزمخشري في الفائق : البريد كلمة فارسية يراد بها في الأصل البرد . وأصلها برده دم أي محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها فأعربت وخففت ، ثم سمي الرسول الذي يركبه بريداً اهـ . وفي السريانية ܒܪܝܕܐ Baridho بريد . رسول[١] .

بِزّ : بالكسر ثدي الانسان حَلَمة ܒܙܐ Bezo ، ܒܙܬܐ Bezto الحَلَمة رأس الثدي . قال احمد رضا في العامي والفصيح « مجلة المجمع العلمي العربي مج ١٩ ص ١٤٩ » « البَزّ » قال صاحب التاج والبَزّ والعامة تكسره ثدي المرأة ولا أدري كيف ذلك هذا كلامه . والذي أراه ان العامة اختزلت البَزّ من

— والبُرْنس لفظ فارسي — وقيل ان « البَيْرُون » اشتق منه — قالوا في تعريفه ، هو ثوب يطرح على الرأس وينزل على الكتفين ܒܝܪܘܢܐ Birouno وهو قبع كان جاثليق المدائن ينفرد بلبسه .

(١) الآثار الآرامية : للدكتور داود الجلبي الموصلي ص ١٩ و ٢٣

ومن توافق الألفاظ في اللغتين السريانية والعربية : حرف : بَزّ يبزّ بَزّاً وبزّيزَى . سلب ، نهب ܒܙ ، ܒܙܘܙܝܐ Baze , Bzouzio وهذا المصدر النادر (بزّيزَى) وقع في اللغتين يقال رجعت الخلافة بِزّيزَى أي تُبَزّ بَزّاً ولا تؤخذ بالاستحقاق . (أساس البلاغة ١ : ٤٥) .

البَزْباز أي بزباز الكير استعير لحلمته التي يمتصها الرضيع ثم عم عندهم للثدي كله ، أما بزباز الكير فقد جاء عن أبي عمرو كما في التاج « البزباز قصبة من حديد على فم الكير الذي تنفخ منه الكير » اه . فالكلمة سريانية ليست لا من البزباز ولا من الإبزاء وهو ارضاع المرأة الصبي الرضيع كما وهم رشيد عطية في كتابه : « الدليل الى مرادف العامي والدخيل » .

بَسأَبه : ܒܣܐ Bço تهاون واحتقر ، رذل نبذ ، وردت في التاج ١ : ٤٩

البساق : جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٩ « قالوا وكان النهر المعروف بالبزاق قديماً وكان يدعى بالنبطية (البساق) أي الذي يقطع الماء عن ما يليه ويجرّه اليه » هذه كلمة سريانية ܦܣܘܩܐ Fsoqo بالقاف بعد السين وهي : القطع والصدّ والمنع أو ܦܣܩܐ ، ܦܣܘܩܐ Fosqo ، Fosouqo القاطع والمانع .

البَسط والبساطة : قال السيد احمد رضا (مج ١٩ ص ١٤٩) « من المولّد البساطة في الطبع وهي السذاجة وأصل البسط في اللغة النشر ، وفي البصائر : استعار قوم البسط لكل شيء لا يتصوّر فيه تركيب وتأليف ونظم » اه وقال السيد مصطفى جواد (مج ١٩ : ٢٦٤) استعمال بسيط بمعنى هيّن وسهل ليس بفصيح ، ثم أورد خمسة أدلة استشهد بها ان معنى بسيط هو واسع ، قال الفرّاء « اني عملت كتاب معانٍ أتمّ شرحاً وأبسط قولاً من الذي أمليت » (تاريخ الخطيب البغدادي مج ١٤ ص ١٥٠) . وراجع الجمهرة ص ٢٨٤ ترَ ان اللغة تخلو من لفظة بسيط بمعنى : ساذج . فالحرف سرياني : ܦܫܝܛܐ Fchito ، بسيط غير مركب ، ساذج ، بسيط اعتيادي ، سهل هيّن . والمصدر ܦܫܝܛܐ Fchoto والاسم ܦܫܝܛܘܬܐ Fchitoutho بساطة سذاجة . سهولة ومما يجب اضافته الى هذه المادّة : الترجمة البسيطة المشهورة في العالم المسيحي وهي ترجمة للكتاب المقدس بالسريانية عُملت في القرن الأول وصدر القرن الثاني للميلاد ܦܫܝܛܬܐ Fchitto فشيطتا

البِطاقة : قال الجوهري رُقيمة توضع في الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر سميت بذلك لأنها تُشدُّ بهُدب من الثوب ، والرسالة ج بطائق : ܦܛܩܐ ܦܬܩܐ Fetqo سريانية [1]

البَطَّة : قال صاحب الجمهرة ص ٣١١ هذا الطائر ليس بعربي محض : اللفظة سريانية ܒܛܐ Bato « كنز اللغة السريانية لتوما اودو ص ٧٠ »

البُطم : شجر وثمر ، وفي قاموس الألفاظ الزراعية للشهابي ص ٥١١ لفظة سامية لها أشباه بالآرامية والعبرانية والآثورية . وورد في سفر التكوين ٤٣ : ١١ « وخذوا في أوعيتكم من خيرات الأرض وأطايبها ... وبُطماً » ܒܛܡܐ ، ܒܛܡ̈ܐ والواحدة ܒܛܡܬܐ Betmo ، Betmé ، Betmtho .

بِطّيخ : ܦܛܝܚ̈ܐ Fatihé ضرب من اليقطين لا يعلو ولكنه يذهب حبالاً على وجه الأرض . والمبطخة موضعه ومَنبِتُه وتبطّخ أكل البطيخ (الأساس ١ : ٥١) .

بَعير : دابّة ، بهيمة ، جمل ، بَعير . عد السيوطي هذه الكلمة من الألفاظ المعجمة قال في كتاب الاتقان ص ١٣٩ « أخرج الفريابي عن مجاهد في قول القرآن ، كيل بعير أي كيل حمار ، وعن مقاتل ان البعير كل ما يُحمَل عليه وهو بالعبرانية . هو بالسريانية ܒܥܝܪܐ باسكان أوّله : Biiro

البُستوقة : قُلّة مدهّنة ، ܒܣܛܘܩܬܐ Bezdouqto : قال الاسكافي في باب الأواني : « من الخزف البُستوقة وهي مضمومة الباء » وجاء في طبقات الأطباء ١ : ١١ اخرجت اليهم بستوقة خضراء فيها خمر مطيّنة الرأس لم تُفتح . وهذه اللفظة معروفة في عاميّة بلاد الشام والجزيرة وهي سريانية [2] .

(١) وذكرها الثعالبي في فقه اللغة ص ٣١٨ في ما نسبه بعض الأئمة الى اللغة الرومية . راجع في هامش القاموس ٣ : ٢١٤ اعتراض ابن سيدة على تعريف الجوهري .

(٢) البشتقة : قال في مستدرك التاج « البشتقة هي البخنقة » وفي ذيل أقرب الموارد عن التاج « تبخنقت الجارية تقنّعت بالبخنق » وفي أقرب الموارد والقاموس : البخنق بضم الأول وضمّ الثالث وفتحه ، خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن —

بَلَخيَّة : ܒܗܠܘܝܬܐ Bhaloito شجرة ذات رائحة طيّبة . وقال الشرتوني : شجر عظيم أشبه بالرمان له زهر حسن .

بَلّور : ܒܠܘܪܐ Bélouro والنسبة اليه ܒܠܘܪܝܐ Bélouroio قال أيوب الصديق : في صفة الحكمة « لا يُذكر المرجان او البلور بازائها ٢٨ : ١٨ » وفي أقرب الموارد : البلاّري : المصنوع من البلور والمرصّع به ، ولم اره في الأمهات الصحيحة ولكن نقله فريتغ ولم يسنده ، فحرره .

بَلُّوط : شجر وثمر معروف ، لفظة آرامية ܒܠܘܛܐ Baluto « معجم الألفاظ الزراعية » والواحدة ܒܠܘܛܬܐ Balouttho وفي سفر اشعيا ٦ : ١٣ ويعود فيؤكل كالبطمة وكالبلوطة .

البَليخ : اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون وأعظم تلك العيون عين يقال لها الذهبانية في أرض حرّان فيجري نحو خمسة أميال ثم يسير الى موضع قد بنى عليه مَسلمة بن عبد الملك حصناً يكون اسفله قدر جريب وارتفاعه في الهواء اكثر من خمسين ذراعاً ، وأجرى ماء تلك العيون تحته ، فاذا خرج من تحت الحصن يُسمى بَليخاً . (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٨٢ و ٢٨٣) قال ابن دريد : لا احسب البليخ عربياً (فيه) ... وقد جمعها الأخطل وسماها بُلخاً ، قال : أقفرتِ البُلُخ من غَيلان فالرُّجَبُ

وقال في الجمهرة ص ٢٣٨ موضع لا أحسبه عربياً صحيحاً . قلنا هو سرياني ܒܠܝܚܐ Bliho ابلَه ، حيران .

البُنْك : في القاموس : البُنْك أصل الشيء او خالصه ، وعلّق عليه في الهامش قوله البُنك بالضم معرّب كما قال الأزهري . والبِنْج بالكسر : الأصل .

- والدهن من النبار . وورد في الدليل ܦܚܡܘܓܐ ، ܦܚܡܓܐ Fachmougho : خَلَق ، خرقة . واللفظة مستعملة في لغة الموصل العامية فارتأى الدكتور داود الجلبي أنها معربة عن السريانية (الآثار الآرامية ص ٢٠) .

وهو حرف سرياني ܒܘܢܩܐ Bounqo ومعناه قاعدة، أصل المنارة خاصةً .
ومنه فعل تبنّك أقام في المكان ، تأصل . وفي أقرب الموارد . يقال هؤلاء قوم من بُنْك الأرض . أما صاحب الجمهرة فقال فيه ص ٣٢٧ بُنْك الشيء خالصه كلام عربي صحيح !

إلبِنّي : صنف من السمك وخلا منه القاموس وهو بالسريانية ܒܢܝܘܬܐ ، ܒܢܝܬܐ Binoiotho ، Binoito .

بُور : جاء في الجمهرة ١ : ٥ بُوْر ليس من كلام العرب . وورد في القرآن : (وكنتم قوماً بوراً) أي لا خير فيكم أو هالكين . انها لفظة سريانية ܒܘܪܐ Bouro اي ما بار من الأرض فلم يُعمَر ، خاوٍ غير مفلوح . ولا تزال عامة أهل بلاد الشام تتداولها بهذا المعنى .

بوص : ܒܘܨܐ كتّان وفي سفر الخروج ٢٥ : ٤ «واسمانجوني وارجوان وقرمز وبُوص» Bouço .

بَيْزار : حامل البازي ܒܙܝܩܪܐ Boziqoro .

البِيعة : قال ابن سيدة ١٣ : ١٠٢ موضع المترهب وقيل هي كنيسة اليهود ، وكلا قوليه غلط فان البيعة متعبَّد المسيحيين والكنيس متعبَّد اليهود ، والدير موضع المترهب . وقال الجواليقي ص ٨١ البيعة والكنيسة جعلهما بعض العلماء فارسيين معرَّبين ! . قلنا أجمع علماء السريانيين ان «البيعة» عبرية الأصل اشتقت من حرف ܥܐܕܐ أي العيد ، وهو عبراني آرامي كأنهم قالوا فيها ܒܝܬ ܥܐܕܐ وأدغمت فيها الثاء والدال Bëïto ومرَّنها السريان بتحويلها عن لفظ العبرانيين الى لفظهم فقالوا فيها ܥܕܬܐ I°to ومعناها المجمع الحافل أو المحفل البهج ، الذي يكون في العيد . وجمعها بِيَع وبِيْعات وبِيَعات . قال الزبرقان بن بدر التميمي :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يُعادِلُنا   منا الملوكُ وفينا تُنصب البِيَعُ (١)

(١) سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥

حرف التاء

تاج : ܬܳܓܳܐ Togho (توغو) اكليل وتوّجه به فتتوّج البسه اياه : وفي سفر ايوب الصديق : « ونزع تاج رأسي » ١٩ : ٩ . وفي مزامير داود النبي « ووضعتَ على رأسه تاجًا من ذهب ابريز » ٢١ : ٣ . سريانية وأما التاج بالعبرية فهو كِتِر [1] .

التّامُور : قال ابن سيدة ١٤ : ٤٣ التّامور صبغ احمر وربما جعلوه موضع السرّ ، سريانية . وقال ابن دريد (المزهر ١ : ١٦٦) ومما اخذوه من السريانية التامور وهو موضع السر اه . وزاد الفارابي : وما بالدار تامور اي احد ، وما في الركيّة تامور اي شيء من ماء . قلنا ليس في السريانية شيء من هذا الحرف وهذا المعنى . وليست التّامور لفظاً يونانياً كما ورد في الطبقات ١ : ٨٧ ولكنها حبشية [2] . وجاء في التاج ١ : ٣٠ التامور صومعة الراهب وناموسه ، وقالوا أيضاً : التامورة صومعة الراهب وعِرّيسة الأسد . وانما هي النامور والنامورة بالنون لا بالتاء : و ܢܳܡܽܘܪܬܳܐ Nomarto تعني عندنا قفص السباع ، وبالعربية : مصيدة الذئب فاستعملوها بطريقة الاستعارة .

تُبّان : ܬܽܘܒܳܢܳܐ Toubono سراويل ، سريانية وقال بعضهم انها فارسية .

تبّرهُ اللهُ : أهلكه ܬܰܒܪܶܗ من فعل ܬܒܰܪ و ܬܰܒܰܪ Tabré , Tbar Tabar سحق وحطّم والمصدر ܬܽܘܒܳܪܳܐ touboro ، وفي سفر أيوب « وتبّرني من كل جهة » ١٩ : ١٠ وفي نبوءة ارميا « فقد سلّطتك اليوم على الأمم والممالك لتنسف وتهدم وتتبر » ١ : ١٠ كتاب الدين والدولة ص ١٠٦ واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله : وليتبروا ما علوا تتبيراً ، قال تبّره بالنبطية (الاتقان

(١) من الألفاظ العامية : التاقول وهو وزّان البناء ، والساعة ܬܳܩܽܘܠܳܐ Tocoulo حرف سرياني .

(٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية للأب شيخو ١ : ٢١٢

للسيوطي ص ١٣٦ ـ ١٤١) وفي الجمهرة ١٩٤ تبّره الله تتبيراً اذا اهلكه ومحقه . قال ابن اسحق ، ومنه قيل لمكسَّر الزجاج تبر ܬܒܪܐ tebro كسرة قطعة ٦ : ١٢٩

تُخْم : ܬܚܘܡܐ Thoumo حدّ ، آخر ، نهاية والفعل ܬܚܡ Tahème تخم ، حدّد ، عيّن وفي سفر التكوين « فكانت تخوم الكنعاني من صيدون » ١٠ : ١٩ وفي سفر العدد « فيكون البحر الكبير لكم تخماً » ٣٤ : ٦ جاء في التاج : من اللغويين من قال التخوم مفرد جمعه تخوم ايضاً . ومنهم من جعلها جمعاً واحده تخم ومنهم من قرأها بالفتح وآخرون بالضم . وغلط صاحب شفاء الغليل : بقوله : تخم عربي صحيح لأنه معرَّب عن السريانية .

ترجم : ܬܪܓܡ Targhème ترجَم ومشتقاتها الترجمة والترجُمان ܬܘܪܓܡܢܐ ، ܬܪܓܡܢܐ و ܬܘܪܓܡܢܐ Tourgmono , Targmono حروف سريانية لا اصل لها في العربية . ومنها ܬܘܪܓܡܐ Tourgomo بمعنى الخطبة وجمعها تراجيم ، تداولها السريان المسيحيون في القرون الأولى والوسطى لتفسير القس او الأسقف بها فصل الانجيل الذي يقرأه ، وورد في كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ١٥٣ « وترجم وقدّس » اي خطب بعد قراءة الانجيل مفسراً اياه . وفي المجدل لعمرو الطيرهاني ص ١١١ وعمل كتباً كثيرة من جملتها كتاب تراجيم الأعياد المارانية ، ويعني الخطب الدينية التي حبَّرها الخطيب البليغ ابو حليم ايليا الحديثي جاثليق الكلدان المتوفى عام ١١٨٩ م وقد طُبعت في الموصل .

تَرُص الشيء : قُوّم وأُحكم فهو تَريص . وفي التاج ٤ : ٣٧٩ تَرُص الشيء فهو تريص محكَم شديداً ميزان تَريص : مستوٍ عدل ـ ا هـ ـ وترّصه احكمه فهو مترّص وتَريص . وبالسريانية ܬܪܨ ، ܬܪܝܨ ، ܡܬܪܨܐ ، ܬܪܝܨܐ Trace , Tarèce , mtarço , Triço قال امية بن ابي عائذ في ديوان الهُذَليين ص ١٧٧ :

او دُمية المحرابِ قد لعبت بها ابدي البُناةِ بزُخرُفِ الإتراصِ[١]

تُرعة : ܬܪܥܬܐ Toureʿetho : تُرعة ، ثلمة ، فوّهة ، جدول ماء .
قال في شفاء الغليل ص ٥٢ « ترعة بالضم هي الباب بالسريانية » قلنا وصوابه ما أوردناه اما الباب فهو ܬܪܥܐ Taroô » والترّاع البوّاب عرّبت وجعلت بمعني مفتح الماء ومجراه لأنه يشبه الباب » اهـ ثم اورد حديثاً وردت فيه العبارة : « تُرعة من تُرَع الجنّة » وفي التاج ٥ : ٣٨٤ « والترعة الباب نقله الجوهري والصاغاني يقال فتح تُرعة الدار اي بابها . وقال ثعلب :

الترّاع : البوّاب : وفي الأساس ١ : ٦٩ جاء القرّاع فردّه الترّاع . هو ܬܪܥܐ Taroʿau[٢] ومما أُلحق بهذا الحرف دير للسريان كان بالقرب من حلب يسمى (ترعيل)[٣] من لفظي ترع وإيل اي باب الله ويُعرف اليوم باسم قرية بابلي . وذكر ابن المستوفي ايضاً في تاريخ اربل (عُمر اتراعيل) المشرف على بلد حزّة وبينه وبين كفر عزّى أقل من ميل (في بلاد العراق)[٤]

ومنه ايضاً (ترعوز) اسم قرية كانت مشهورة عظيمة بالقرب من مدينة حرّان (من ترع : باب وعوز) اي العزّى الصنم المعروف أو عزوز احد آلهة الصابئة (الفهرست لابن النديم ص ٤٤٦ و ٤٥١) وذكر البيروني في القول على اعياد المجوس الأقدمين وصيام الصابئين وأعيادهم قال « وفيه اي في العشرين من ايار ، عيد ترعوز »[٥]

ترمال : ܬܪܡܠܐ Tarmolo مزود ، مخلاة ، وزاد ابن بهلول : خريطة ، ترمال - لم يرد هذا الحرف المعرّب عن السريانية في المعاجم العربية . لكن في ترجمة الانجيل القديمة الفصيحة التي منها نقل علي بن ربن الطبري في كتابه .

---

(١) النصرانية وآدابها ١ : ٣٥٤
(٢) وجاء في المجدل لماري بن سليمان ص ٩٢ وجعل عليه الرصد ترّاع بيته .
(٣) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٥٠٩ (٤) مسالك الأبصار للعمري ص ٢٨٨
(٥) الآثار الباقية ص ٣٢١

« الدين والدولة » الذي وضعه نحو سنة ٨٦٠ م « وليس معكم كيس ولا ترمال (يعني به المزوَد) ... فليشترِ ... ومَن لم يكن له ترمال مزوداً » انجيل لوقا ٢٢ : ٣٦ (١) .

تِكّة : رباط السراويل ج تِكَك : ܬܶܟܬܳܐ Tecto قال ابن دريد أحسبها دخيلاً . وجاء في المزهر ١ : ١٦٧ قال في الجمهرة : التكة لا أحسبها الا دخيلاً وان كانوا قد تكلموا بها قديماً . وصاغ العرب منها فعل استكّ . وآلتها : المتك (التاج) .

تلاشى : هذه كلمة خاض فيها بعض الكتاب واختلفوا فيها : قال الأستاذ النشاشيبي في (احاديثه في اللغة المجلة مج ١٩ ص ١١٨ ـ ١٢١) بنت العربية (الملاشاة والتلاشي) من (لا شيء) في القرن الثالث ، فقالوا : لاشى يلاشي وتلاشى . وجاء في النهج (وما تلاشت عنه بروق الغمام) وعلق ابن ابي الحديد في الحاشية مج ٢ ص ٥٣٢ قوله : هذه الكلمة اهمل بناءها كثير من أئمة اللغة وهي صحيحة وقد جاءت ووردت . قال ابن الاعرابي : لشا الرجل اذا اتضع وخس بعد رفعة ، واذا صحّ أصلها صح استعمال الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحلّ . وقال القطب الراوندي : تلاشى مركّب من لا شيء . ولم يقف على اصل الكلمة . (قلت) مقالة ابن ابي الحديد متلاشية والحق مع الراوندي (صاحب شرح نهج البلاغة ومعتقد الشيعة) وقال البديع الهمذاني في احدى رسائله « الوحشة تقدح في الصدر اقتداح النار في الزند . فان أُطفئت بارت (وتلاشت) وان عاشت طارت وطاشت » وقال في مقامته الصيمرية « وتلاشت صحتي » وفي العمدة لابن رشيق ١: ٨٠ ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصحّ له معنى . ووردت في المثل السائر وفي كلام ابن خلدون والأمير شكيب وغير ذلك .

(١) ان تميس التي يلحن فيها بعض المعاصرين بدلاً من تيس : نراها مأخوذة من السريانية التي ورد فيها ܬܝܫܳܐ و ܬܰܝܫܳܐ Tiicho

وطلع علينا الخفاجي في آخر الزمان يقول في شفاء الغليل ص ٥٢ : «التلاشي بمعنى الاضمحلال عامية لا اصلَ لها في اللغة اهـ ودونك بقية سند الخفاجي : واعترض التاج الكندي على قول ابن نُباتة الخطيب : وبقايا جسوم متلاشية ، بان تلاشى الشيء بمعنى اضمحلّ وبطل الاعتداد به ولم يرد عن العرب ، قيل كأنها مشتقة من لا شيء كبسمل وحمدل في باب النحت (كذا) قاله ابن الجوزي في غلطاته ، لكنه ورد في قول الصنوبري :

وتلاشى نضح الدموع فما تملك عيني الآ دماً نضاحا

وورد في حديث رواه السخاوي في كتاب مناقب العباس بهذا المعنى وصححه بخطه ان معاوية سأله عن أبيه فقال : تلاشت الأحداث عند فضيلته وتباعدت الأنساب عند ذكر عشيرته اهـ .

وأردف الشاشبي قوله «عاميّة يا شيخ ؟ قل مولّدة قل محدثة . قد نشأت في العراق . جاء في (جامع البيان) تفسير الطبري ج ١ ص ١٠ لما خرج عبد الله ابن مسعود من الكوفة اجتمع اليه اصحابه فودعهم ثم قال : « لا تنازعوا في القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشى ولا ينفد لكثرة الردّ اهـ (قلت) وان صح شيء من معاني هذا الحديث فقد رواه راويه في القرن الثالث بلغة وقته اهـ .

وقال الأستاذ سليم الجندي في رسالته في علي بن ابي طالب ص ١٢١ « تلاشى كلمة مولّدة لم ترد في كلام صحيح للمتقدمين » اهـ .

قلنا : هي كلمة معربة من السريانية اما من فعل ܐܬܠܐܝܛܝ Ethlaiti : تلاشي ، أعدم ، وهو مجهول فعل ܠܐܝܛܝ Laiti واما من فعل ܐܬܬܠܫ Ettlèche : قُلع نُزع استؤصل ، مجهول فعل ܬܠܫ Tlache وأدلة الشاشبي تؤذن بصحة استعمالها من القرن الثالث فما بعده ولا تمس في أصلها ، ولا يصح اشتقاقها من (لا شيء) كما لم يصح زعم بعض الأئمة اشتقاق كلمة (ازلي) من (لم يزل) [1]

(١) انظر أساس البلاغة ١ : ١١ وشفاء الغليل ٣٢

التِلميذ : ܬܠܡܝܕܐ Talmidho : المتعلم والطالب يقال تتلمذ له وتلمذ صار تلميذاً له ، والمصدر التلمذة ܬܘܠܡܕܐ Toulmodho ولا أصل لهذا الحرف في العبرية وانما هو سرياني أصله من فعل ܠܡܕ Lmadhe اي جمع أضاف ، وفي انجيل متى : « تلمذوا جميع الأمم » ٢٨ : ١٩ وورد في سفر أخبار الأيام الاول « المعلم مع التلميذ » ٢٥ : ٨ وخص باسم التلاميذ الرسل الحواريّون أنصار السيد المسيح واتباعه السبعون (قاموس ابن بهلول مج ٢ ص ٢٠٦٨) وخلا من هذا الحرف اساس البلاغة والمصباح والقاموس[١] .

تِلّيس ، تِلّيسة : ܛܠܝܣܐ Taliço : كيس ، خُرج ، عِدل ، وفي قاموس ابن بهلول : اصغر من الجوالق . جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٢٦ « وكان اذا غزا اخذ كل امرىء ممن معه بترس ودرع ... ومخلاة وتلّيسة . وفي شرح درة الغوّاص ص ١٤٦ التليس الكيس الذي يوضع فيه الدفاتر والعامة تستعمله بمعنى الغرارة . وفي درّة الغواص ص ٦٢ ذكر ثعلب في بعض أماليه ، ان قول الكتّاب لكيس الحساب تَلّيسة بفتح التاء مما وهموا فيه واما الصواب كسرها . وفي محيط المحيط ، التلّيس الهنة تسوّى من الخوص فتوضع فيها الزجاجة ، وكيس الحساب أيضاً . وورد في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٣ : ٩٢٩ في ذكر دابة ظهرت في النيل ورقبتها مثل ثخن التلّيس المحشوّ تبناً : تعليق في الهامش وهو : معنى التليس هنا الكيس الذي يستعمل لتعبئة الغلال والأتبان . وهو مطابق لمعنى التلّيس بالسريانية ويغلب نسجه من القنّب لا من الخوص .

تنّور : ܬܢܘܪܐ Tanouro ، وبالعربية مشدّدة النون : جاء في التاج ٣ : ٧١ « التنّور الكانون الذي يخبَز فيه (أراد بالكانون ما يشبه الخابية الواسعة) يقال

(١) قال صاحب المزهر عن أبي الطيب اللغوي « واما لأنه لم يخرج من تلامذته أحد يحيي ذكره » ٢ : ٢٥٩ ونقلها من خطه تلميذه ابو حامد محمد بن الضياء الحنفي ١ : ٩٥ .

هو في جميع اللغات كذلك ، وقال الليث التنّور عمت بكل لسان ، قال ابو منصور هذا يدل على ان الاسم في الأصل اعجمي فعربته العرب فصار عربياً على وزن فعّول ، والدليل على ذلك ان أصل بنائه تنر . قال ولا نعرفه في كلام العرب لأنه مهمل ، وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسندس ، والاستبرق وما أشبهها ولما تكلمت بها العرب صارت عربية » وقال السيوطي في المزهر ٢ : ٢٣٢ « ذهب ثعلب أيضاً في تنور الى انه تفعول من النار وهو غلط انما هو فعّول من لفظة ت ن ر وهو أصل لم يستعمل الا في هذا الحرف وبالزيادة كما ترى . ومثله ما لم يستعمل الا بالزيادة : حوشب وكوكب وشعلع وهزنبزان ومنجنون وهو باب واسع جداً . ويجوز في التنور ان يكون فعنولا . ويقال ان التنور لفظ اشترك فيه جميع اللغات من العرب وغيرهم ! وان كان كذلك فهو ظريف ، الا انه على كل حال فعّول او فعنول » اه وقال الاسكافي ص ٦٢ « التنور لفظة عربية والتاء فيه أصلية وليس من النار ولا من النور ويقال له الوطيس » وقال في ص ٣٤ « المسمّر والوطيس والتنور والميلم واحد » وراجع في المزهر ١ : ١٥٨ رأي ابن جني وتخبطه في هذه اللفظة . أما الأصمعي فاعتبرها فارسية (المزهر ص ١٦٦) ومثله ابن سيدة ١٤ : ٤٣ وقد وردت بالفارسية وهي مخففة . والخفاجي ٥٢ وقال ابن عباس ان التنور مشترك بكل لسان [1] ، وأقدم ما ورد لفظ التنور في التوراة في عهد ابرهيم الخليل « واذا بتنّور يدخّن » سفر التكوين ١٥ : ١٧ وفي معجم البلدان ٧ : ٢٩٨ « قال علي بن ابي طالب ، وفي زاويته فار التنور » ويستعمل التنور أيضاً لطبخ الآجرّ : قال ابن الفوطي في الحوادث الجامعة ص ٤٠٦ « وكان يعمل مع أرباب تنانير الآجرّ وهو الذي ينقل اللبن الى التنور ثم يحطه بعد طبخه »

(١) وفي المصباح المنير ١ : ١٢٣ التنور الذي يخبز فيه وافقت فيه لغة العرب لغة العجم وقال ابو حاتم ليس بعربي صحيح . وفي الاتقان ١٣٩ : ذكر الجواليقي والثعالبي انه فارسي معرب .

فجمعه تنانير ، وصانعه التنّار . وصفوة هذا البحث : ان التنور اما لفظ سرياني في ما نرى واما ورد في اللغة السامية القدمى ومنها سرى تداوله الى اللغات الشرقية .

تنّوم : ܬܢܘܡܐ Tanomo نبات القنب المعروف الذي يسمى حبه الشاهدانج . حرف سرياني .

تنين : ܬܢܝܢܐ Tanino حوت ، حية عظيمة ج تنانين . وفي سفر التكوين «وخلق الله التنانين العظام» ١ : ٢١ سريانية .

توث : ܬܘܬܐ Toutho شجر وثمره معروف ، جاء في التاج : صرح ابن دريد وغيره بأنه معرب ليس من كلام العرب الأصلي ، وان اسمه بالعربية الفرصاد بالكسر . وقال صاحب المزهر في شرح أدب الكاتب انه اعجمي معرّب . وقال الأزهري كأنه فارسي والعرب تقوله بتائين ، ومنع من التاء المثلثة ابن السكّيت وجماعة «المصباح ١٢٤» واختلف اللغويون في التاء والثاء ومنهم من قال أنها لغتان ، والصواب أنه حرف سرياني بالثاء المثلثة .

التيمن : ܬܝܡܢܐ Tâïmno ܬܝܡܢ Taiman قال الشرتوني وذكره في حرف الياء وحقه ان يذكر في حرف التاء «التيمن الجنوب والتاء بدل من الهمزة ، وقيل سريانية» . قلنا هي سريانية وتاؤها أصلية وليست بدلاً من الهمزة من لفظ أيمن . جاء في نبوة اشعيا ٢١ : ١ «انك ستأبي من جهة التيمن من بلد بعيد (الدين والدولة ص ٨١) وفي انجيل متى ١٢ : ٤٢ «ملكة التيمن أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان» وفي كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٢٣ «وهاتان الجهتان المشرق والتيمن بخلاف ذلك» وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٩ «ولبني حام التيمن كله اي الجنوب» وفي ص ١٠٢ «وتمت نبؤة دانيال حيث قال : ابنة ملكة التيمن تعطى لملك الجربياء»

* * *

حرف الثاء

ثِبْ : جلس متمكناً[1] : ܝܬܶܒ ytbèbe ومنه صيغة الأمر :

ثِبْ : اجلس : ܬܶܒ Thèbe وفي الاكليل للهمداني ص ٣٩ : «ذكروا انه وفد بعض بني دارم الى ملك اليمن في عصره ، فقصده بظفار فصادفه دونها في متصيد له وهو مُشفٍ على عرفة جبل . فلما واجهه علم أنه وافد . فقال له ثب على الفِناء اي اقعد على الأرض ، والأرض الفِناء . فظن انه يقول له ثب في الجيد . فوثب فتردى فمات . فقال الملك : من دخل ظفار حمّر أي لا يقصد ظفار الا من عرف لغات أهلها» وروى اللغويون هذه الحكاية في مادة ح م ر . وصاحب المزهر في النوع السادس عشر ١ : ١٥٢ وقال : وورد في الحديث : فوثبه وسادة أي افرشه اياها . وان الوثاب : الفراش في لغة حمير .

مثقال : وزن معلوم ܬܶܩܠܳܐ ، ܡܰܬܩܠܳܐ Mathcolo , Teclo

* * *

حرف الجيم

جالوت : جالية ، سبي : ܓܳܠܘܬܳܐ Goloutho كلمة سريانية والفعل : ܓܠܳܐ ، ܓܠܳܐ ، ܓܠܘܳܐ جلا ، سبي glo , galwi والفاعل ܓܳܠܘܳܝܳܐ ، ܓܰܠܘܳܝܳܐ galawois , golwio وجمع الجالية جوالي . قال المسعودي في التنبيه والاشراف ص ١١٣ «وكانت له (لسعيد بن يعقوب الفيومي) قصص بالعراق مع رئيس الجالوث داود بن زكي من ولد داود واعترض عليه . . . وكانت وفاته بعد الثلاثين والثلثمائة» وقال البيروني في الآثار الباقية ص ١٦ «رأس الجالوث وتفسيره رئيس الجالية الذين جلوا عن أوطانهم بيت المقدس هو صاحب كل يهودي في الدنيا والمتملك عليه مطاعاً في جميع الأمصار نافذ الأمر عليهم في أكثر الأحوال»

(١) أقرب الموارد .

وفي ص ٥٨ « ومنهم فرقة يسمون العنانية وهم منسوبون الى عنان رأس الجالوث كان منذ مئة وبضع سنين » وهذه الرتبة أقرتها الدولتان الارشافية والساسانية منذ صدر المئة الثالثة للميلاد أو قبيل ذلك [1] جاء في المزهر عن ابن دريد : فأما جالوث فليس بكلام عربي . وفي شفاء الغليل ص ٦٧ « قال في الزاهر « هم أهل الذمة وانما قيل لهم جوالي لأنهم جلوا عن مواضعهم » والناس الآن يتجوزون به عن الخراج وعن الوظائف المرتبة منه وهو ليس بعربي اه وقال ابن الفوطي في تاريخه الحوادث الجامعة ص ٦٤ « ابو عبد الله محمد بن فضلان .. وولي النظر بديوان الجوالي توفي سنة ٦٣١ [2] ، ووجدنا في خزانتنا المرقسية السريانية بالقدس زهاء اربعين من اوراق الخراج والجوالي تحت رقم ٣٤٩ — ٣٧٠ من سنة ٩٦٧ حتى سنة ١٠٤٩ هـ (١٥٥٩ — ١٦٣٩ م) فالكلمة توافقت عليها اللغتان السريانية والعبرية .

الجبر : ܓܰܒܪܳܐ gabro الرجل كلمة سريانية جاء في التاج ٣ : ٨٣ قال ابوعمرو : الجبر الرجل وأنشد قول ابن احمر : وانعم صباحاً أيها الجبرُ ، أي أيها الرجل . ولا تعني ما تأوله صاحب الجمهرة بقوله في ١ : ٢٠١٨ الجبر ، الملك ، ولا ما قاله صاحب أقرب الموارد بقوله فيه «الرجل الشجاع» وصاحب القاموس: الرجل والشجاع .

جبرائيل : جاء في التاج ٣ : ٨٦ « جبرائيل علم ملك .. اي عبد الله قال الشهاب سرياني ، وقيل عبراني ... وقد أشار بمثل هذا البحث عبد الحكيم في حاشية البيضاوي ، قلت وأحسن ما قيل فيه ان الجبر بمنزلة الرجل والرجل عبد الله وقد سمع الجبر في قول ابن احمر كما تقدمت الاشارة اليه ، كذا حققه ابن جني في المحتسب وفيه اربع عشرة لغة ... كما قدمنا من التخليط الأعجمي »

(١) لابور في كتابه « النصرانية في مملكة الفرس ص ٧ — ٨ نقلاً عن تاريخ اليهود تأليف غريتز » .

(٢) راجع أيضاً المصباح ص ١٦٧ « قال ثم استعملت الجالية في كل جزية تؤخذ وان لم يكن صاحبها جلا عن وطنه فيقال استعمل فلان على الجالية والجمع الجوالي » .

قلنا يجتزأ عن هذا الشرح بان اللفظة سريانية عبرانية مركبة ܓܒܪܝܐܝܠ Gabriéle معناها : رجل الله ، عبد الله ، يراد بها المتعبد الفاضل وهي علم أول ما أطلق على جبرائيل الملاك وتسمى به بعضهم .

جبَروت : ܓܢܒܪܘܬܐ gaboroutho عظمة قدرة ، والفعل ، تجبر ܐܬܓܒܪ Ethgabar وفي نبوة ارميا ٣١ : ٢٢ « اني كاسر قوس عيلم رأس عزمهم وجبروتهم » (الدين والدولة ص ١٠٧) وفي نبوة دانيال ٢ : ٢٠ « لأن له الحكمة والجبروت » والصفة :

جبّار : ܓܢܒܪܐ gaboro وهي من صفات الله جلّ ثناؤه وفي سفر التثنية ١٠ : ١٧ « الإله العظيم الجبار الرهيب » وفي القرآن في حق يحيى بن زكريا « وبَرّاً بوالديه ولم يكن جباراً عصيّاً » وفيه أيضاً « قوماً جبّارين » .

وأصل الفعل بالسريانية ܓܒܪ gbare تشجع وتقوى ، واما بالعربية فورد : جبر الدين والعظم والفقير الخ ، ووزن فعلوت : في قولهم جبروت و كهنوت وملكوت وزاد بعضهم رهَبوت ، خاص بالألفاظ الأعجمية . فجبَروت وجبّار وتجبّر معربة عن السريانية .

جدّاد : ܓܕܕܐ ، ܓܕܐ gdodo , guédo خيط وخيط النير واللحمة خاصة ، ذكره الجواليقي في المعرّب ص ٩٥ قال : الجُدّاد : الخيوط المعقدة وهي بالنبطية « كدّاد » قال الأعشى يصف الخمّار :

أضاء مظلته بالسّراج والليل غامر جدادها [1]

والفعل السرياني ܓܕ gad جدّ قطع ، نسج ومثله ܓܕܓܕ guadguède وفي أقرب الموارد ص ١٠٦ الجُدّاد بالضم ، كل متعقد بعضه ببعض من خيط أو غصن ، وأخطأ بقوله انه فارسي معرب ، اذ انه سرياني [2] .

(١) ان ناشر الكتاب اعترض على عجمة الكلمة بما لا طائل فيه .

(٢) قول الجواليقي ص ١٠٩ عن أبي حاتم الأصمعي ان « جدّة النهر » وهو شاطئه ، أعجمي نبطي أعرب ، هو زعم لا صحة له اذ لا أثر لهذا في السريانية .

جدّف : ܓܕܦ gadèphe كفر ، حرف سرياني بهذا المعنى ولا اصل له في العربية ، وخلا منه « اساس البلاغة » وفي سفر الخروج ٢٠ : ٢٧ « بهذا أيضاً جدّف عليّ آباؤكم » وفي نبوة صفنيا ٢ : ٥٨ « قد سمعت ... وتجاديف بني عمّون » .

الجِرْبياء : ܓܪܒܝܐ garbio ريح بين الدّبور والشمال باردة واسم للأرض السابعة ، (الجمهرة ١ : ٢٠٩) ريح ، قالوا هي الشمال : وقال المسعودي في التنبيه والاشراف ١٧ و ٢٢ و ٨٣ الجربيّ وهو ناحية الشمال . وفي سفر اشعيا ٤٩ : ٧ وما بعدها : « بعض من جهة الجربياء » (الدين والدولة ص ٩٧) وفي تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٩ ولبني يافث الجربيا اي الشمال و ص ١٠٢ « ابنة ملكة التيمن تعطى للملك الجربياء » .

جرجير : ܓܪܓܝܪܐ garguiro بقلة تنبت في المناقع والجداول وربما تزرع ، سريانية .

جَريب : ܓܪܝܒܐ guribo مكيال قدره اربعة اقفزة ، سريانية .

جَزِير : الجَزير كأمير بلغة أهل السواد ، رجل يختاره اهل القرية لما ينوبهم من نفقات من ينزل بهم من قبل السلطان كقوله :

اذا ما رأونا قلّسوا من مهابة ويسعى علينا بالطعام جَزيرُها

(ذيل أقرب الموارد ص ٩٨ عن اللسان) واللفظة سريانية ܓܙܝܪܐ : gziro جابي الخراج ومثلها ܓܙܝܪܝܐ gziroio .

جِصّ : بفتح الجيم وكسرها ، معروف ܓܨܐ guéço جاء في فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٤ « وبنى خالد حوانيت في الكوفة وجعل سقوفها آزاجا مسقوفة بالآجرّ والجصّ » وورد في الجواليقي ص ٩٥ ، « ليس بعربي صحيح » وفي الصحاح والقاموس « معرب » وفي الجمهرة ١ : ٥٢ « ليس بعربي صحيح » وفي ٢ : ٧٥ « فارسي معرب » وفي قوله هذا الأخير نظر ، فان الثعالبي في فقه اللغة ودوفال في المجلد الثالث من معجم الحسن بن بهلول لم يعدّا هذا الحرف في الألفاظ

الفارسية الأصل . والفعل بالسريانية ܓܨܨ guacéce : جصّص ومتخذه وبياعه ܓܨܵܨܵܐ الجصّاص guaçoço .

جَعقيل : ܓܥܩܘܠܐ gaʿaqolo نبت يسمى خانق الكرسنّة ، وفي معجم الألفاظ الزراعية ص ٣٦٣، الجعقيل ، عدس الأسد من النباتات الطفيلية .

جفْنة : ܓܦܬܐ gfèto أصلها ܓܦܢܬܐ gfènto شجرة الكرمة وجمعها الجفن وفي سفر العدد ٦ : ٤ «من جفنة الخمر» .

مَجلب : ܡܓܠܘܒܐ ، ܡܓܠܒܐ Maghlobo , Maghlbo سوط ، مقرعة ، ولم ترد في المصباح وأقرب الموارد[1] .

جلاّم : ܓܘܠܡܐ guoloumo جزّاز الصوف ، مانع ، والفعل ܓܠܡ gulam وكذا بالعربية ، ولم يرد الجَلاّم بالفتح لكن بالضم ومدلوله ، التيوس المحلوقة .

جليان : ܓܠܝܢܐ guèliono رؤيا ، سريانية مسيحية يستعملها معظم النصارى لسفر يوحنا الرسول .

جَمّ : ܓܡ و ܐܓܡ aguème , guame شذّب ، قلّم ، كسح ، استأصل ـ لم يرد في دواوين اللغة بهذا المعنى ـ فقول ابي حاتم «وناس يُجمّون العنب كل عام ولا يغرسون» يريد انهم يشذّبون جفّان الكرم ويكسحونها كما نقل الأستاذ سليم الجندي في رسالة الكرم (مجلة المجمع مج ١٠ ص ٣٠٨) أخذه من السريانية ولا يزال فلاحو حمص ولبنان وغيرهم يتداولون هذه اللفظة .

جُمَل : حبل السفينة ܓܡܠܐ guamlo .

جَملون : بيت مقبب ومسنّم على هيئة السنام في تضايق أعلاه واتساع أسفله ، سريانية ܓܡܠܘܢܐ معناها جمل صغير ، فصيل guamlouno .

مِجَنّ : ترس مستدير ܡܓܢܐ ، ܡܓܢܐ والكسر أفصح ، Mguano

(١) الجلجلة ، الجمجمة ، الرأس ، كلمة عبرية ومن العبرية اخذها السريان ، ولم يفصح اقرب الموارد بعجمتها . هـ .

Mgueno وفي سفر صموئيل الثاني ١ : ٢١ «مِجَنّ الجبابرة مِجَنّ شاءول» عندنا هو حرف سرياني ·

الجَنَّة : ܓܢܬܐ guantho الحديقة ذات الشجر وقيل ذات النخل ، وورد في سفر الجامعة ٢ : ٥ «عملت لنفسي جنات وفراديس» وفي الحديث «قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين» (جس ٣١٤) وقال حسان ابن ثابت :

وإنَّ ثوابَ اللهِ كلَّ موحِّدٍ جِنانٌ من الفردوسِ فيها يُخَلَّدُ

(التاج ٤ : ٥٦) وهذه بمعناها الديني ، الفردوس الأرضي والسموي ·

المجانسة : والتجنيس : قال صاحب المزهر ١ : ١٧٨ «زعم ابن دريد ان الأصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا ويقول انه مولَّد ، وكذا في ذيل الفصيح للموفق عبد اللطيف البغدادي ، قال الأصمعي : قول الناس المجانسة والتجنيس مولد وليس من كلام العرب · ورده صاحب القاموس بان الأصمعي واضع كتاب الأجناس في اللغة ، وهو أول من جاء بهذا اللقب كذا اهـ يريد الحرف · ومثله قال صاحب القاموس ٢ : ٢٠٥ [1] أما مؤلف المصباح ١ : ١٧٥ فأيد انكار الأصمعي هذا الاستعمال وقوله هو كلام المولدين وليس بعربي · وعندنا ان المادة سريانية ، الاسم ܓܢܣܐ جنس والفعل ܓܢܣ جنَّس ، وجانس ܐܬܓܢܣ guenço , guanèce , Ethguanace وورد في سفر التكوين ١ : ١١ «لتنبت الأرض عشبًا ·· وشجرًا مثمرًا يعمل ثمرًا كجنسه» وكذا في النسخة السريانية · وقال بعضهم ان أصل اللفظة يوناني génos [2] (مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، الجزء ٣ ص ٣٤٢) وعلى كل حال ان العرب عربوه من السريانية · وجاء في الآثار الباقية للبيروني ص ٥٤ «فاذا جنَّسنا هذا الدور» وفي ص ٥١ «جنِّس الفضل بين سنة الروم وسنة الشمس» ·

(١) ان استعمال الأصمعي هذا الحرف اذ لم يجد له في لغته مرادفا بمدلوله لا ينفي قوله انه مولد ليس بعربي ، واذا كان القرآن قد اشتمل على الفاظ اعجمية فما ظنك بالأصمعي وأضرابه ؟

(٢) وفي اللاتينية genus ومنه أخذت الفرنسية كلمة genre ·

جوّ البيت : داخله ، لغة شامية (الجمهرة ١ : ٥٦) وفي التاج : الجوّ داخل البيت وبطنه ، لغة شامية ، وكذا كل شيء وهي الجوّة كجوّانية والألف والنون زائدتان للتأكيد . وفي حديث سلمان ، ان لكل امرئ جوانياً وبرانياً فمن أصلح جوانيّه أصلح الله برّانيّه . قال ابن الأثير أي باطناً وظاهراً وسراً وعلانيةً . وفي أقرب الموارد : الجوّاني الداخل منسوب الى الجوّ نسبة شاذة وهو نقيض البرّاني . قلنا المادة سريانية ܓܰܘܳܐ gawo داخل باطن و ܓܰܘܳܝܳܐ gawoyo داخلي والفعل ܓܰܘܺܝ و ܐܰܓܘܺܝ agwi , gawi ادخل ، ومنه ܓܘܳܝܳܐ gwoio جوف حشى .

الجوذياء : ووردت أيضاً بالدال المهملة : كساء مدرعة من صوف . قال الجواليقي ص ١١١ الجودياء بالنبطية أو الفارسية الكساء . وفي فائت ذيل أقرب الموارد ص ٤٤٥ جودي سمّور أي جبّة سمّور قال ابو زيد الطائي يذكر الأسد :

حتى اذا ما رأى الأبصار قد غفلت واجتاب من ظلمة جوديّ سمّورِ

لسواد وبره (نقلاً عن اللسان في ترجمة سمر) قلنا هو حرف سرياني : ܓܘܽܕܝܳܐ ، ܓܘܽܕܳܝܳܐ ، ܓܘܽܕܺܝܬܳܐ gouditho , goudio , guodoio

جهنم : قال الشرتوني ١ : ١٤٧ دار العقاب (الأبدي) بعد الموت . قال صاحب الكليات : جهنم قيل عجمية وقيل فارسية وقيل عبرانية أصلها « كهنّام » وعن صاحب الكليات نقل السيوطي في « الاتقان » وعندنا هي لفظة ارامية قديمة ܓܺܝܗܰܢܳܐ guihano وفي انجيل متى ٥ : ٢٢ « يكون مستوجباً نار جهنم »[1]

جيّار : حجر الكلس ، الصاروج gairo ܓܰܝܪܳܐ والجير : الجص والفعل ܐܰܓܺܝܪ aguir كلّس ، طلى بالكلس .

(١) يستدرك على الفيروزابادي في قوله في جهنم « ركيّة جهنّام وجهنم بعيدة القعر وبه سمّت جهنم اعاذنا الله منها » انه تعريف مغلوط فيه .

جيجل ܓܝܓܠܐ guighlo كلمة سريانية معناها اللفظي : عجلة بكرة دائرة ، كُرَة ، فَلَك ، والاصطلاحي جدول حساب السنة وسماه البيروني الدَّور قال «وقد ذكرنا الحدود التي فيها بدور فصح اليهود في ما تقدم ، ولكن النصارى لم توافقهم فيها ولا في أوائل الجياجل ، والجيجل هو الدَّور معرَّب من السريانية ، لأنه غيغل (كذا وصوابه كيغل بالجيم المصرية) ومعناه ومعنى المحزور واحد لكن الأليق أن نذكر عند أهل كل طبقة ما هم عليه من المواضعات» الآثار الباقية ص ٣٠٢ ثم أكثر من هذه اللفظة وقال ص ٣١٤ «فمن أراد العمل به أخذ سنيّ الاسكندر مع المنكسرة وجعلها جياجل شمسية» والدَّور والمحزور فضلاً عن الجيجل خلت منها دواوين اللغة ·

(يتبع)

مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

المستعربون من علماء المشرقيات

جرى الاصطلاح عند المتأخرين من كتاب العرب ان يطلقوا اسم المستشرقين على من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه ، وأطلقوا اسم (الاستشراق) على عملهم هذا .

ولما كان الاستشراق واسع المدى متشعب المقاصد قضت الحال بان يقال لمن يعنون خاصة بدراسة مدنية العرب والاسلام (المستعربون) تمييزاً لهم عن سائر من يعنون بلغات الشرق وعلومه .

نشأ الاستشراق في الغرب بعامل ديني أولاً وانقلب بعد الى عامل مدني . وكان سبق أن بعض ملوك اوربا وباباواتها اخذوا العربية عن علماء الأندلس وصقلية وتعلم امراء الصليبيين وبعض قوادهم اللغة العربية في الشام أيام غزواتهم الطويلة .

ولما قام الباباوات بانشاء الرهبنات لبث الدعوة الدينية في الشرق بدا لهم ان يعلموا الرهبان لغاته ولا سيما العربية وبعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية وهذا لتفهم العهد العتيق فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ م برياسة البابا اكلمنتس الخامس ان تؤسس في باريز واكسفورد وبولون وصملنكة اي في عواصم العلم في فرنسا وايطاليا وانكلترا واسبانيا يومئذ دروس عربية وعبرانية وكلدانية وسريانية . وكانت المدرسة الطبية في مونبليه في فرنسا سبقت فأنشأت سنة ١٢٢٠ دروساً عربية ليتسنى لها تدريس الطب في كتب العرب وفي سنة ١٢٥٤ أنشئت أول مدرسة عربية في اشبيلية من أرض الأندلس .

وظل الاستشراق العربي في الغرب ضعيف الأثر الى القرن الثامن عشر وما قوي الا بقوة الاستعمار وفي غضون تلك الحقبة دخل في طور العلوم المنظمة ،

وقضت بعض الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا العظمى على عمالها في بلاد العرب أن يتعلموا اللغة العربية فكان من تعلموها من أبنائها أكثر عدداً من غيرهم من الأمم لأن من طبع الانكليزي المتانة في الصناعات وما خرج الاستعمار عن كونه صناعة أيضاً واعداد المعدات لاتقانها ما أمكن . وأنشأت النمسا سنة ١٧٥٣ مدرسة لتعليم لغات الشرق يدرس فيها القناصل والتجار وحذت فرنسا حذوها فأنشأت مدرسة اللغات الشرقية لمثل هذا الغرض سنة ١٧٩٥ ؛ وشادت ألمانيا مثلها في برلين سنة ١٨٨٧ ثم تبعتها روسيا وايطاليا وانكلترا فأسست كل منها مدرسة لمثل هذا الغرض .

وكانت جامعات ألمانيا تدرس العربية منذ أكثر من ثلثمائة سنة وكذلك بعض جامعات بولونيا وبريطانيا العظمى . وهكذا بدأ الاستعراب في الغرب ونبغ مئات من بنيه في العربية وآدابها كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها أجل خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة بوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة ومنهم تعلمنا هذه الطريقة واعتادوا ان يشرحوا غوامضها بلغة الناشر او باللغة اللاتينية لغة العلم المعتمد عليها الى عهد قريب فانتفعوا بما نشروا ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة بل بهم تجلت مدنية العرب لأول مرة لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر في ايطاليا وهولاندة كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة ويكفي أن نقول ان اوربا طبعت كتبنا بالحروف العربية قبل أن تدخل الطباعة الى القسطنطينية والقاهرة بمائتي سنة ومن تصفح معلمة الاسلام (Encyclopédie de l'Islam) التي أصدرتها أوائل هذا القرن مطبعة ليدن الهولندية بلغات العلم الثلاث (الانكليزية والألمانية والفرنسية) يتضح له مبلغ عناية الغربيين بالمشرقيات العربية وينجلي لعينيه ما وصلوا اليه ببحثهم واخصائهم في اللغات والعلوم . هذا الى

مئات من كتب أجدادنا نشروها وما قطعت اطراد صدورها الا الحرب الأخيرة ٠

ولقد أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وفي أوربا الى بعض المستعربين من أمم اوربا واختلطت بهم وخاللتهم ووقفت على أساليبهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في بلادهم على درس المدنية الغربية وعلى الكشف عما في خزائنهم ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم فعلى من ماتوا الرحمة وعلى الأحياء منهم السلام ٠

حداني على معالجة هذا الموضوع وعلى الاشادة بمن لقيتهم من المستعربين حديث وقع لي منذ سنين مع الأستاذ حافظ عامر بك من رجال السلك السياسي المصري وطلب اليّ لما تقوض المجلس ان أكتب نبذة فيمن عرفت من المستعربين فاعتذرت بأن المواد التي لدي عنهم لا يتألف منها بحث فقال رحمه الله يكفي أن تدون ما على خاطرك منه فطلاب الفوائد يستفيدون منه على كل حال ٠

وبعد فلا بد لي قبل ان أشرع في الكلام على من عرفت ممن يعنينا أمرهم ان أشير الى ان أكثرهم جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأنهم يخدمونها في سياستها بما تصل اليه أيديهم ويهديهم اليه اطلاعهم ، ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شعبه نبذته دولته فلا يتوقعن اذاً من مستشرق ان يخدم غير أمته ولهم المعذرة في ذلك ٠ اما نحن معاشر العرب فيقنعنا منهم ان يخدموا آدابنا بامانة لا يتخذونها سلماً الى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة الى اغتصاب حقوقنا في الحياة على نحو ما فعل لامنس البلجيكي ومرجوليوث الانكليزي وكراتشقوفسكي الروسي وهارتمان الألماني وكايتاني الايطالي مع اختلاف بينهم في مقدار الطعن والداعي الذي ساق اليه ٠ والأب لامنس سامحه الله كان أكثرهم تعصباً علينا لأن حياته على ما يظهر كانت متوقفة على هذه المطاعن حتى لقد سماه علماء الافرنج المؤلف المتحزب (L'historien partial) ٠

أول من عرفت من هؤلاء المستشرقين المستعربين من الفرنسيين دوسو وماسينيون

وكي ومالزاك . جاء الأول الى الديار الشامية بكشف عن آثار بلاد النصيرية (العلويين) وجبل الدروز والصفا واللجاة وقد ألف بضعة كتب في لغته بآثار هذه الأقاليم الشامية وعرض لتاريخها ووصف آثارها وظل يخدم هذا العلم باخلاص ، ومقامه عظيم بين علماء الآثار وأمناء متحف اللوفر في باريز وأصدر مجلة سيريا (Syria) ملأها بتحقيقاته وكان خير صلة بين بلاده وبلادنا لأنه لم يتدخل في شيء اسمه سياسة ، صرف جل اهتمامه لعلمه ولم يخلط فيه غيره . ومن أهم ما كتب (طوبوغرافية سورية في القرون الوسطى) و (العرب قبل الاسلام) وهو فيما أعلم لم يكتب بالعربية بل أخذ من نصوصها واستعملها في تآليفه .

أما المستعرب الثاني الأستاذ ماسينيون فانه انقطع الى الأبحاث الاسلامية منذ نشأته وقال لي ان العلامة السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي رحمه الله كان له أعظم الفضل عليه بارجاعه من الالحاد الى حظيرة الدين . وأنا أقول بل زاد على ذلك وأصبح متصوفاً وأذكر اني دعوته في احدى رحلاتي الى باريز لنشهد التمثيل ونتعشى معاً فقال العشاء أمره سهل ولكن مَنْ للمتصوف أن يشهد التمثيل . وهو صادق في قوله فانه صرف جانباً عظيماً من عمره في نشر كتب التصوف فنشر تآليف الحلاج وأخباره وديوانه بالعربية كما نشر الأمثال البغدادية للطالقاني وتاريخ الاصطلاحات الفلسفية . ومعظم المقالات التي لها علاقة بالتصوف الاسلامي في معلمة الاسلام على عهدها الأخير هي من قلمه وهو لعهدنا المرجع بين المستعربين في مسائل التصوف في الغرب ، اذا عزّ على أحد المشتغلين كشف غامض وحل مسألة صوفية فليس له الا باب ماسينيون لأخذ الجواب . وهو اليوم عضو في عدة مجامع منها مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمجمع العلمي العربي والجمعية الآسياوية وهو أستاذ في كوليج دي فرانس وكتب مئات من الأبحاث والمقالات في المجلات الاسلامية والشرقية بالفرنسية ومنها المجلة الآسياوية ومجلة العلم الاسلامي ومجلة الدروس الاسلامية وهو يعاون طلاب العرب في باريز ويوجههم ويرشدهم .

أما الاستاذان كي ومالزاك فشغلا بمهام السياسة وأخذ وقتهما ما هما بسبيله من مصالح دولتهما وطافا معظم بلاد العرب والفرس في السلك القنصلي وانتفعا بمعرفة العربية والفارسية في الوظائف التي شغلاها وهيأت لهما سبيل الانتفاع في عملهما ومعرفة هذا الشرق القريب · ويليهما أستاذان متقدمان على هذين القنصلين في العمر وهما السيدان اوتافي وييات فانهما كانا يجيدان العربية ويكتبانها كتابة سلسة صحيحة وقد توليا شؤون دولتهما السياسية والسيد اوتافي كان أستاذه في العربية السيد برغش امير زنجبار وكان قضى فيها أعواماً طويلة قنصلاً لفرنسا وكلاهما كان معجباً بالمدنية الاسلامية يصرحان بذلك أمام الموافق والمخالف وهما آية في معرفة تاريخ العرب معرفة ثاقبة ويعرفان الأقطار العربية كما يعرفها أهلها، ولا أعرف ان كان اتسع لهما الوقت فألفا في العربية أو الفرنسية أو نشرا بعض كتبها العلمية والادبية ·

وعرفت السيد هوار مدرس العربية بمدرسة اللغات الشرقية في باريز وناشر كتاب البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر ومقامات ابن ناقيا وديوان سلامة بن جندل وغير ذلك وله تاريخ العرب بالفرنسية وعدة مقالات في معلمة الاسلام ومعلوماته مثل معلومات غودفروا ديموبين ليست واسعة كثيراً او ليس فيها شيء جديد ولا يعد كصاحبه من اللامعين المبرزين كما كان مثلها بل كان هذا أقل بضاعة منهما السيد شاتيليه صاحب مجلة العالم الاسلامي الفرنسية وأستاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس، وعرفت المستعرب مرسيه ناشر كتاب حلية الفرسان وعرفت آمار ناشر مقدمة الوافي بالوفيات وله مقالات كثيرة في مجلات المشرقيات كما صحبت المسيو فران أحد مستعربيهم وناشر كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح البصري وهو من المعجبين بمدنية العرب خدمها في نطاق اختصاصه وكان يجهز بذلك في خطبه وكتاباته ·

ومن المستعربين الفرنسيين الذين عرفتهم ليفي بروفنسال وقد امتاز بأبحاثه في

الأندلس ونشر عدة كتب ممتعة في تاريخها بلغته وهو الذي أعد الذخيرة لابن بسام للنشر وتنشرها الآن جامعة فؤاد الأول وهو المرجع الأول في الغرب بتاريخ الأندلس وما يتعلق به وقد تمم في معلمة الاسلام ما كان يعالجه من مقالات بلاد الاندلس ورجالها المستعرب الالماني سيبولد ·

وممن عرفتهم من أبناء هذه الأمة السيد بلاشير المتخصص في شعر المتنبي والسيد بريز العالم بالأندلسيات والصدر المتقدم في البلاغة العربية وصاحب الجولات الموفقة في آدابها وحضارتها ·

ومن أهم رجال الاستعراب من الفرنسيس السيد مارسيه وهو يكتب العربية ويتكلمها كما يتكلمها أدباؤها أنفسهم ويكتبونها ويعد من مستعربي الدرجة الأولى من الأوربيين وقد نشر عدة أبحاث دلت على علو كعبه في العربية وآدابها واستفاد منه كثير من أدباء تونس ممن تخرجوا به كما استفاد طلاب الاستعراب من أبناء أمته · وعرفت استاذاً مستعرباً صرف معظم حياته في مراكش وهو السيد ميشو بللير عاش عيشة المراكشيين وتزوج فيهم وله مقالات في مجلات المستشرقين · كما نشأت لي صداقة مع السيد بوفا وقد نشر أشياء كثيرة بالعربية وأكثر من ذلك بالفرنسية مأخوذاً من المصادر العربية وله أبحاث كثيرة لم تشتهر لأنها قليلة الجرم وان كانت عظيمة الفائدة · ويلحق بالفرنسيين السيد مونتيه السويسري أستاذ العربية في جامعة جنيف وهو الذي نقل القرآن الكريم الى الفرنسية وله أبحاث جليلة في الاسلام ومحاضرات وقد ألف كتاب (الاسلام) قلت فيه ان ما ينشره الأستاذ مونتيه الحين بعد الآخر في الاسلام يليق بعالم القرن العشرين لأنه يكتب وقد نزع منه التقاليد القديمة والتعصب الذي يتلبس به طوعاً او كرهاً من نشأوا في الغرب ولم يخالطوا أهل الاسلام ولا درسوا أصوله وقواعده وتاريخه الا دراسة متقزز متحرز ومما قاله في الرسول في هذا الكتاب : لله كثيراً ما حكمت عليه الأحكام القاسية ذلك لأنه ندر مثله في المصلحين

من عرفت حياتهم بالتفصيل وان ما قام به لاصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للانسانية . وقال ان الاسلام يسير سيراً حسناً في نشوئه خلافاً لما يدعيه بعضهم وان الواجب على المسلمين ان يحتفظوا لقيام أمرهم بما حظرته الشريعة عليهم من تعاطي المسكرات .

هؤلاء معظم من عرفت من الفرنسيس أما الانكليز والأميركان فعرفت بضعة منهم من العيار العالي فمن أوائلهم كرنيليوس فانديك وابنه ادوار فانديك فإن كرنيليوس خدم لغتنا ونشر العلم في ربوعنا بما كتب بالعربية من أصناف العلوم كالطب والطبيعة والجغرافيا وقد أخلص في خدمة العرب حتى إنه استقال من التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت لما أرادت عمدة الجامعة ان تنقل التعليم من العربية الى الانكليزية قائلاً اننا جئنا هذه الديار لنخدمها بلغتها لا بلغتنا . وتآليفه على قدمها ما زالت متداولة يستفاد منها وكذلك ابنه ادوارد ألف في علم الكتب العربية كتاباً جيداً وله غيره ودرس الانكليزية في المدارس المصرية زمناً . ومن أعظم المستعربين من الانكليز صديقي العلامة براون أستاذ العربية في جامعة كمبريدج فانه نشر كتباً بالعربية وله بالانكليزية تاريخ آداب اللغة الفارسية وهو من أمتع ما كتب في موضوعه على ما قال لي من قرأه بلغته من أحبابي ومن رأيه فيه خطاباً لمن يبهرتهم الآداب الفارسية : ان قصيدة واحدة من المعلقات السبع خير مما قاله شعراء الفرس . وكان في الحقيقة المدافع عن مدنية الفرس والعرب والمحامي المتطوع في خدمة قضية العرب والفرس في الغرب ، أخذ كثيراً عن الأستاذ الامام محمد عبده وله أياد بيض على العرب وهو ممن امتازوا بمعرفة الاسلام معرفة ثاقبة ، وتعمق فيه وحنا عليه وعلى أهله مثل رصيفه صديقي العلامة ارنولد مدرس العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن وناشر كتاب المنية والأمل للمرتضى في ذكر المعتزلة وهو امام في الأبحاث الاسلامية لم تعدَّ عليه هفوة واحدة في كل ما كتبه ولا سيما في معلمة الاسلام وكنا في

مصر تتكلم بالعربية وهو في سن الشباب فلما عدنا واجتمعنا في انكلترا تعذر عليه النطق بالعربية وآثر ان نتكلم بالفرنسية ومنهم الأستاذ بفن مدرس العربية في جامعة كمبريدج وناشر منافضات جرير والفرزدق في بضعة مجلدات كبيرة وفيها من التحقيق اللغوي ما يدهش شهدت له بتبحره في أدب هذا اللسان وقوة ملكته في النقد حتى أذكر اني ذكرت له اعجابي بوستنفيلد ناشر معجم البلدان لياقوت وعشرات غيره من كتب العربية فقال لي ان التحقيق بعزّ في الكتب التي نشرها وأخرج لي جزءاً من هذا المعجم صحح فيه أماكن كثيرة في كل صفحة فاضطررت الى الاعتراف بخطأي ٠

ومن مستعربي البريطانيين الأستاذ مرجليوث أستاذ العربية في جامعة اكسفورد وكان يكتب العربية كتابة سلسة تقل فيها التراكيب التي تشعر بعجمته وقد نشر من كتب سلفنا الصالح معجم الأدباء لياقوت في بضعة مجلدات والأنساب للسمعاني ونشوار المحاضرة للتنوخي وديوان التعاويذي ورسائل المعري وغير ذلك وكان مقدماً في موضوعه ، وسبب اشتهاره بين أبناء صناعته انه تكلم في الاسلام بما لا يقره عليه العارفون فحظي عند العامة ونزلت منزلته عند الخاصة ٠ وخليفته في اكسفورد اليوم الأستاذ جيب وهو رصيفي في مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمجمع العلمي العربي يكتب العربية مثلنا وقد كتب اشياء كثيرة في الاسلام بلغته وهو يعد كتباً عربية أصلية لنشرها بلغتها التي كتبت بها ٠

ومن المستعربين الاميركان المستر وطسون رئيس الجامعة الاميركية في القاهرة وله تلاميذ كثيرون وأصدقاء غير قليلين في مصر كتب اليّ يوم ١٩ ديسمبر ١٩٢٤ وكانت الجامعة الأميركية في محنة اذ كثر التقول عليها في مصر ورموها بأنها جامعة تبشير لا جامعة علم وكنت متعاقداً معها على القاء محاضرات وأردت على ان ارجع عن تعاقدي فأبيت الا القاءها ، قال : لعل اتصالكم بزملائي اعضاء مجلس ادارة الجامعة قد أطلعكم على رغبتنا الشديدة في خدمة مصر والعالم العربي

ما وسعنا ذلك وانا لنعد معهدنا جسر صداقة بين العالم العربي والعالم الغربي يشاد على الرغبة الخالصة في أداء الخدمات المتبادلة بين العالمين فلئن كان في الغرب ما يستفيد منه الشرق فان في الشرق ما هو خليق ان ينتفع به الغرب . ولا ريب في أنكم تبينتم من أناقة بناء قاعتنا الكبرى والصغرى مبلغ عنايتنا وتقديرنا للفن العربي الجميل وفضلاً عن هذه الخدمات بين الشرق والغرب فان مهمتنا الكبرى هي العمل على حسن التفاهم بين هذين العالمين فهنالك من الأسباب ما دعا الى الكراهية والنفور بينهما والصلة التي تجتمع عندها الشعوب والجماعات بحكم الثقافات هي المحبة والوئام .

ومن مستعربي الأميركان السيد الجليل دودج رئيس الجامعة الاميركية في بيروت فانه ووالده من قبله قد أسديا الى الأمة العربية يداً لا تنسى على مر السنين وتخرج على يديه وفي جامعته مئات من أبنائنا من المصريين والشاميين والعراقيين ولم تبق الأمور الادارية للسيد دودج وقتاً يصرفه في الأبحاث التي غلبت عليه وهو آية في فعل الخير عرف بها زمن الحرب العالمية الأولى فأنفق كل ما عنده على الفقراء ثم باع ما أمكنه بيعه ورهن أملاك جامعته وأخذ الفضل من ذلك فصرفه على اطعام الجياع وهذا عمل فريد قل ان عمل مثله رجل من رجال الدين ، فهو كوطسون قسيس راق خدم دينه وأمته وخدم الانسانية .

ويلحق بمستعربي الانكلوسكسونيين مستعرب آخر عنيت به صديقي العلامة كرينكو ولد في قرية من قرى شمالي المانيا وأتقن في المدارس التانوية اللغات الألمانية والانكليزية والفرنسية واللاتينية واليونانية ثم درس الاردية والفارسية وسكن في انكلترا وتجنس بالجنسية الانكليزية وتزوج سيدة انكليزية وكان له في الحرب الماضية معمل اصنع الأقمشة في لستر يشتغل فيه أكثر من الف عامل وعاملة فلما نزلت الأسعار عقبى الهدنة وكان فقد ابنه الوحيد في الحرب اثر ذلك في صحته وحمل الى المستشفى ولما خرج منه كان افلس من ابن المزلق

فجاءه كتاب من الهند يطلب منه بعض أصدقائه في حيدر آباد الدكن ان ينسخ لهم ما يشاء من كتب العرب المحفوظة في المتحف البريطاني مقابل ثلاثمائة جنيه في السنة ، قال فأنا الآن أعيش بفضل لغتكم . درس كرينكو العربية بدون معلم على الكبر وهو يكتبها كتابة صحيحة الا انه يجد صعوبة في التخاطب بها لقلة من لقيهم من أبناء العرب . كتب لي مرة : وأنت تعلم اني تعلمت اللغة العربية والفارسية والهندية بلا معلم لبعدي في شبيبتي عمن يعلم شيئاً من هذه اللغات فاعتمدت على الكتب فقط الى ان ورد صديقنا كاظم الدجيلي (الى بريطانيا) ومنه سمعت أول كلمة عربية ثم سألني صديقي عماد الملك وزير سمو النظام سلطان حيدر آباد أن أعاون دائرة المعارف التي أنشأها هو في عاصمة حيدر آباد لاحياء العلوم العربية في الهند مخافة خمولها فأول كتاب هذبته كان جمهرة اللغة لابن دريد في ثلاث مجلدات مع فهرسته في مجلد ضخم ...

يحسن العلامة كرينكو لغات اوربا بأسرها ويتكلم بها بسهولة ويعرف من لغات الشرق العربية والفارسية والاردية ومن لغات الشرق القديمة طرفاً من الحميرية والتركية والعبرية والارامية وهو شاعر بالألمانية لغته الأصلية . وما كان يفارق المطالعة طول حياته وما منعه معمله عن الانصراف الى التأليف أوقات الفراغ وقلت له في اكسفورد ، وانا أدهش من كتاب ضخم لابن قتيبة في الشعر أرانيه وقد صححه وعلق عليه حواشي مفيدة ، ومتى أنجزت كل ذلك ياسيدي وأنت رجل صناعة فقال كنت في بعض أيام الآحاد أترك امرأتي تتنزه وحدها وألزم البيت فأكتب وأصحح وأعلق واذا نجوت ساعات قليلة في اليوم من حسابات المصنع انقلبت نحو دفاتري وكتبي .

وقد نشر السيد كرينكو عشرات من الكتب والرسائل والمقالات بالعربية والألمانية والانكليزية ما لو نشر بعضه مجمع علمي في ثلاثين سنة لعد ذلك من مفاخره فما نشر شعر ابي دهبل الجمحي وقصيدتان لمزاحم العقيلي وطبقات النحاة

لأبي بكر الزبيدي وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي والمجتبى لأبي بكر بن دريد ابن عبد العزيز العجلي والحارث بن حلزة اليشكري وديوان طفيل الغنوي وكتاب الجمهرة (الذي تقدم ذكره) وتنقيح المناظر لكمال الدين الشيرازي وكتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير لعبد الملك بن هشام وفي ذيله ما بقي من رواية عبيد بن شرية والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (مع الفهارس التي أبى الطابع نشرها اقتصاداً) وهو في اربع مجلدات والجماهر في معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني والمنتظم لابن الجوزي (اربع مجلدات) والمؤتلف والمختلف للآمدي ومعجم الشعراء للمرزباني ومعاني الشعر الكبير لابن قتيبة وأخبار النحويين البصريين للسيرافي وكتاب الأفعال لابن القطاع وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه وكتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم وهو اليوم بعد كتباً للطبع من تراث العرب العظيم فلله المنة علينا باحياء هذه المجموعة العظيمة من كتب أسلافنا .

أحب الأستاذ كرينكو العرب والاسلام محبة لا ترجى الا من العريق فيهما ، يتعصب للعرب على سائر أمم الاسلام من الفرس والترك والهند ويعتقد (كما كتب لي في ٢٣ آذار سنة ١٩٣٥) ان زوال الدولة العربية اعني خلافة بني أمية وانتقال مركز الاسلام من دمشق الى العراق وظهور الفرس على العرب كان أول سبب في الحيلولة دون انتشار الاسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي أي في اوربا وان الدولة العباسية قام بنيانها على دمن الدولة الأموية وان دخول الفرس في المناصب العاليه أدخل الغش والخيانة في الأعمال المالية وما كان الخلفاء الا ما ندر يفكرون في شيء من أعمال الشام ومصر (ولا أذكر ما وراءها من البلاد مثل افريقية والمغرب والأندلس) اللهم الا ما كان من نقل أموال الخراج الى العراق لشراء الجواري والجواهر واعطاء الجوائز للمغنين والشعراء ومن ماثلهم . ولو تدبرت مثلاً أولاد الخلفاء لرأيت ان جميع خلفاء بني أمية سوى

مروان بن محمد آخر ملوكهم كانوا ابناء حرائر وبالعكس كان خلفاء بني العباس فان اكثرهم كانوا أولاد جوار مجلوبة من غير بلاد اسلامية . وآفة ثانية وهي جلب الغلمان الأتراك الى بغداد ليجعلوا منهم عمداً للدولة فأصبحوا أرباب الخلفاء أنفسهم في أقل من قرن . وآفة ثالثة وهي ما كان من الحروب التي نشأت بين أهل السنة والشيعة وظلت متصلة الى زماننا هذا . وقد شاهدت ما غمني في بلاد الهند وهنا في انكلترا عندما عيدنا عيد الفطر فامتنع بعض المتشيعين عن الصلاة خلف امام سني المذهب . وكل هذا مما يهين اهل الاسلام في عيون الذين لا يعتقدونه . ويضاف الى كل هذه الآفات وهو أعظمها في خمول الأمم الاسلامية استنجاد السلاطين والأمراء في حروبهم بالأمم النصرانية من مجاوريهم ، وأول من ارتكب هذا الاثم خلفاء العبيديين في مصر عند استيلاء الصليبيين على الشام . قال ولو كتبت الأسبوع كله لما أتيت على آخر براهيني . ورأى ان على أبناء العرب اليوم ان يتحدوا في منازعهم وينزلوا عن الجدال في تحصيل الحرية الشاملة ويطبعوا في قلوبهم المثل الانكليزي : ان ارحاء الله تعالى اذا طحنت ببطء فهي تطحن الجيد .

وبعد فان من المتعذر الآن ان نلم بسيرة هذا المستعرب من عامة أطرافها فهو الى أعماله العلمية العظيمة داعية متطوع في خدمة الاسلام الصحيح والحضارة العربية . هداه البحث الى أمور نحن أبناء هذه الحضارة كنا غافلين عنها فقد رد مثلاً على من زعم أنه توجد نسخ من المصحف الشريف بخط الأئمة علي ابن ابي طالب والحسن والحسين وهي مما يكثر بين الشيعة وقال لو فرضنا انهم كتبوها فانهم لم يكتبوها بالخط الكوفي بل بالخط المكي القديم الذي هو الخط المعتاد الآن . وفي رأيه ان الخط الكوفي من اختراع مسلمة النصارى من الشاميين . وكتب لي مرة انه لا يعتمد على مؤرخي الفرس لأنهم يخلطون ويخبطون خبط عشواء . حدثني صديقي الأستاذ خليل مردم بك أنه كان يسمر

عند الأستاذ كرينكو فكان في جملة ما تحدث به في تلك الليلة أمام زوجته سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان من أمره مع النساء وما عاملهن به وما منحهن الاسلام من الحقوق مما لم تعط مثله أمة قبل العرب وبحث في علاقة رسول الله مع أزواجه ولا سيما مع عائشة ام المؤمنين . قال وما زال يتدرج في حواره حتى ذكر كيف خرجت روح الرسول الطاهرة وهو على حجر عائشة . فلما سمعت امرأته هذا الكلام شهقت بالبكاء وخرجت من الغرفة . فقال الأستاذ كرينكو اني أتعمد اسماعها مثل هذه الأخبار لأنها ليست محيطة بكل ما في الاسلام من محاسن .

والأستاذ ليس له ارتباط بجامعة ولا بجمعية وكل ما فرح به ان اختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً فأكبر هذا التنويه به وعدّه فخراً له . كما كان من أكثر من اختارهم هذا المجمع أعضاء مراسلين له فانهم أظهروا في كل فرصة تفاخرهم بانضمامهم الينا وعدونا وعددناهم كأننا أبناء اسرة واحدة .

ومن مستعربي الاستراليين الأستاذ جفري نشر كتاب المصاحف للسجستاني وهو معروف في مصر كان يدرس في الجامعة الأميركية بالقاهرة . ومن اكبر المستعربين من الطليان الأمير كايتاني فانه تفضل في سنة ١٩١٣ وقبلني في قصره في رومية أبحث في المصورات التي صورها عن المخطوطات العربية في تاريخ الاسلام ولقد قضيت في هذه المهمة ثلاثين يوماً رأيت منه عطفاً كبيراً واطلاعاً واسعاً وانقلبت من لدنه بمذكرات ثمينة استعنت بها على تأليف كتابي (خطط الشام) وهو يحسن سبع لغات ومنها العربية والفارسية وقد وضع بالايطالية كتابه تاريخ الاسلام (آنالي دا لاسلام) العظيم طبع منه بالايطالية ستة مجلدات ضخمة وكان يرجو ان يفسح الله في أجله ليكمل القرن الأول للاسلام فقط في خمسة وعشرين مجلداً وما كان يطبع من تاريخه اكثر من مئتين وخمسين نسخة وقد جعل شعاره في كتبه قول الشاعر العربي :

كفاف عيش كفاني ذلّ مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

يقول هذا وثروته قبل الحرب العالمية الأولى كانت تقدر بخمسة ملايين جنيه ايطالي ذهبي عدا ثروة الأميرة زوجته ، كان ينفق منها على العلم فقط كل سنة عشرة آلاف جنيه انكليزي ، ونشر كتاب تجارب الأمم لمسكويه وكان يعد للنشر تراجم ثلاثين الف عالم وأديب من المسلمين في الأندلس وهي جذاذات جمعها طول حياته المستشرق الاسباني ريبرا . ومن كبار مستعربيهم السنيور جويدي وهو معروف في مصر وكان أستاذاً في الجامعة القديمة وحاضر في أدب الجغرافيا والتاريخ فأجاد من وراء الغاية وله كتب عظيمة في اللغات السامية ولا سيما الحبشية والاعجرية وكان يعد من مستشرقي الطبقة الأولى في العرب كتب اليّ مرة : وان كان شاعركم العربي قال :

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين

فأنا جاوزت حد الثمانين ومازلت أكتب وأؤلف وكان لما كتب هذا في الرابعة والثمانين . نشر جويدي من كتبنا شرح بانت سعاد لابن هشام وكتاب الأفعال لابن قوطية والاستدراك لأبي بكر الزبيدي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت وديوان الحطيئة جرول بن اوس ومعاني النفس ومقالة في اسماء الله الحسنى لكاتب اسرائيلي قديم وغير ذلك عدا المقالات بالايطالية وغيرها من لغات الغرب . وابنه ميكل انجلو مستعرب مثل أبيه وكان يدرس في جامعة فؤاد الأول قبل الحرب الأخيرة . وممن عرفه العلماء والأدباء في مصر الأستاذ غريفيني ناشر فقه زيد بن علي وديوان الأخطل والطبقات لأبي بكر الزبيدي ولمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية لعثمان بن ابراهيم النابلسي الى غير ذلك من النصوص العربية ومنها قصائد لبعض شعراء الجاهلية .

ومن الايطاليين الممتازين بين المستعربين صديقي العلامة نللينو عضو مجمع فؤاد الأول والمجمع العلمي العربي ومدير المعلمة الايطالية (دائرة المعارف

والموسوعات) وصاحب المقالات الممتعة في معلمة الاسلام الى غير ذلك من التآليف ومنها تاريخ علم الفلك عند العرب القاها محاضرات على تلاميذ الجامعة القديمة بالقاهرة وقد نشر كثيراً من كتب العرب منها زيج البتاني في الفلك والبيان لابن رشد وكان يكتب ويخطب بالعربية ثم انقطع عن معاناة العربية مدة فصار يسهل عليه ان يكتب بالفرنسية وصعبت عليه الكتابة بالعربية وكان يحب الشرق وأهله وقد امتاز بمعرفة بلاد شمالي افريقية وجغرافيتها وآثارها وتاريخها ويعد من أعظم علماء المشرقيات عامة .

وعرفت من مستعربي الألمان والهولنديين والتشكيين والدانيركيين والسويديين والاسبانيين والبولونيين والمجريين جملة صالحة فمن الألمان هرزفلد مكتشف آثار السامانيين وآثار سر من رأى ومنهم هوروفيتس ناشر الهاشميات للكميت درس العربية سنين طويلة في جامعة اليغار في الهند وكثير من رجال القضاء وحملة العلم من الهنود هم من تلامذته ومنهم ريتر ناشر كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعري والوافي بالوفيات للصفدي ومنهم برتزل نشر طبقات القراء لابن الجزري مع برجسترازر . ونشر برتزل التيسير في القراآت العشر لأبي عمرو الداني والمقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط له أيضاً . ونشر الدكتور مايرهوف مقالات في العين لحنين بن اسحق . ومن أعظم من عرفتهم من مستعربي الألمان العلامة بروكلمان صاحب تاريخ آداب اللغة العربية بالألمانية وهو ناشر كتاب تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار لابن الجوزي وعيون الأخبار لابن قتيبة وديوان لبيد وكتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي .

وعرفت من الألمان هوميل وميتفوخ وهارتمان والأستاذ هوميل من أعظم المستعربين في الغرب وقد أثبت ان حمورابي صاحب القانون كان عربياً . ورأيت هوميل في مونيخ وهو في الخامسة والستين يدرس لغة الجغطاي من لغات الترك القديمة وقد توفر على درس ديوان ابن قيس الرقيات سنين بأمل أن يجد فيه

اسماء بعض الألبسة عند العرب وبعد البحث الطويل ظفر بلفظين اثنين فاغتبط بهذا الاكتشاف . ومن المجريين غولد صهير نشر فضائح الباطنية للغزالي وكتاب المعمرين للسجستاني وغير ذلك وكان يعد من أكبر رجال المشرقيات في الغرب كتب مئات من الأبحاث الاسلامية بالمجرية والألمانية والفرنسية والانكليزية والروسية والسويدية والخرواتية الصربية والعربية وكان يتكلم العربية ويكتبها جيداً درسها في الأزهر . ومن الهولنديين سنوك هرغرونيي واراندونك وهوتسما وهذا نشر زبدة النصرة للعماد الاصفهاني وتاريخ اليعقوبي والأضداد لابن الانباري وغيره من كتب العرب وكان مدير تأليف معلمة الاسلام وقال لي مرة ترى أعيش وأشهد هذه المعلمة قد تمت وظهرت للناس فمتعه الله بالحياة ورآها تامة كما أحب .

ومن الاسبانيين الأب آسين بالاسيوس مدرس العربية في جامعة مجريط كتب مؤلفاً صخماً بالاسبانية أثبت فيه ان دانتي شاعر الطليان أخذ قصة المهزلة الإلهية من رسالة الغفران للمعري . ونشر آسين بالاسيوس من كتب العرب المدخل لصناعة المنطق لابن طلموس وغيره .

ومن السويديين سترستين من جامعة اوبسالا نشر تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها لابراهيم مغلطاي وقطعة من تهذيب اللغة للأزهري ومنهم بدرسن الدانيمركي وسموغرجفسكي البولوني ومنهم موزل التشكي وقد قضى سنين مع قبيلة الرولا في بادية الشام رسم خلالها أحسن المصورات الجغرافية وكتب كتباً عظيمة عن اكتشافاته وكان يدعى الشيخ موسى الرويلي ورأيته في الحرب العالمية الأولى يتقلد رتبة جنرال ويصحب بعض أمراء ملوك النمسا في رحلة الى الشرق القريب .

هذا ما وعته الذاكرة ممن اجتمعت بهم وعرفتهم عن أمم وذلك بالاختلاط بهم وبقراءة كتبهم وأبحاثهم وربما فاتني ذكر بعضهم وليس المقصود استقصاء اسمائهم كلهم بل الغاية التنويه ببعض أعمالهم ورسم الخطط لمن يحب العلم للجري على آثارهم .

محمد كرد علي

ابن قيم الجوزية

ونواحي التجدد في اجتهاده

معلوم ان الأحكام الشرعية مبنية على أصول ومصادر ، تسمى بالأدلة الشرعية . وهذه الأدلة نوعان ، نص ورأي . فالأول ، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية ، مقدم على الثاني ، اذ لا ينظر الى تحكيم الرأي الا عند عدم النص . ويقدم في الرأي أولاً الرأي المجمع عليه عند المجتهدين في عصر من الأعصار وهو الاجماع ، ثم الرأي المبني على القياس ، وذلك ضمن شروط وحدود معينة .

ولقد نشأ الخلاف بين المذاهب الاسلامية في اصول الاستدلال بهذه الأدلة . فكان الخلاف في تفسير الآيات القرآنية الكريمة ، وفي قبول الأحاديث الشريفة ، وطرق تحقيقها ، وفي شروط الاجماع والقياس . ثم ازداد الخلاف في المسائل التي لا دليل فيها من الأدلة الأربعة التي ذكرنا ، اذ أخذت بعض المذاهب بأدلة جديدة لم تقبل بها المذاهب الأخرى ، كالاستحسان عند الحنفية ، والمصالح المرسلة عند المالكية او الاستصلاح عند الغزالي ، والاستصحاب عند الشافعية . ولا مجال لدرس هذه الأدلة وتفصيلها في هذا المعرض . واذا أردنا ترتيب المذاهب السنية بالنسبة الى درجة توسعها في الرأي ، وجب وضع المذهب الحنفي في الطرف الأول ، ووضع المذهب الحنبلي في الطرف الاخير . فلذا سمي الأول بمذهب أهل الرأي ، وعدّ الثاني من مذاهب أهل الحديث ، حتى ان بعض المؤرخين المتطرفين ، كالطبري وابن النديم وابن عبد البر وابن قتيبة ، عدوا الامام ابن حنبل من فئة المحدثين ، لا من فئة المجتهدين .

ولا شك في ان الامام الأعظم ابا حنيفة النعمان كان أول وأشهر من لجأ الى تحكيم العقل واعمال الرأي ، في استنباط الأحكام الشرعية ، والاستدلال بالعلل المبنية عليها . ولا شك ايضاً في ان الامام ابن حنبل اشتهر بتحرزه في الاجتهاد ، وبمحافظته على التمسك بالنصوص ، وبنفوره من الرأي .

وعلى الرغم من هذا التباين بين مؤسسي هذين المذهبين ، فان الأمر لم يدم كذلك بين المتأخرين من أتباعهما . فمنذ اواخر الدولة العباسية ، أصبحت دراسة الفقه الاسلامي بالاضمحلال بعد الازدهار ، فأجمع الفقهاء السنيون على سد باب الاجتهاد ، وعلى الاكتفاء بالمذاهب الأربعة المعروفة . ومن ثم توقف الاجتهاد ، وعم التقليد ، ونشأت البدع ، وساد الجهل والجمود .

وكان من نتيجة هذا التقليد ان تقيد المتأخرون في المذهب الحنفي ، كما في غيره من المذاهب ، باجتهاد السلف ليس في المسائل المبنية على النصوص الشرعية فحسب ، بل وفي المسائل المستنبطة بالرأي أيضاً . وهذه المسائل الأخيرة ، لما كانت أكثر عدداً في مذهب الحنفيين ، وهم أهل الرأي ، منها في المذهب الحنبلي البعيد عن الرأي ، كان التقليد عند المتأخرين من الحنفية أوسع ميداناً وأكثر ضرراً مما هو عليه عند المتأخرين من الحنابلة . بل ان هؤلاء ، لما كانوا غير مقيدين بكثير من الاجتهاد الخارج عن النص ، كان لهم من الحرية في تجديد الاجتهاد ما لم يكن للمتأخرين الحنفيين . هذا الى ان النصوص المتعلقة باحكام المعاملات قليلة بالنسبة الى النصوص المتعلقة باحكام العبادات . فنتج من ذلك ان مجال التقيد بتقليد السلف كان ضئيلاً في المذهب الحنبلي في باب المعاملات الشرعية .

ويؤيد ذلك انه عندما قامت النهضة الاصلاحية ، في نهاية القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر ، وظهر مذهب السلفية او مذهب السلف الصالح في مصر وفي غيرها من البلاد الاسلامية والعربية ، كان لتعاليم الفقهاء الحنبليين أثر ظاهر

محسوس . فالشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية ومجدد المذهب الحنبلي في الجزيرة العربية ، والسيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا وغيرهم من القائمين على الحركة الاصلاحية الشرعية في مصر ، هؤلاء جميعاً دعوا الى نبذ التقليد والرجوع الى اصل الشريعة المبنية على القرآن الكريم والسنة الصحيحة ومحاربة الجمود والخرافات والبدع . واستشهدوا بآراء أعلام الفقه الحنبلي ، أمثال موفق الدين بن قدامة (المتوفى سنة ٦٢٠ هـ) ، مصنف كتاب المغني الذي هو بلا مراء من أجل كتب الفقه الاسلامي ، وتقي الدين احمد بن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ) صاحب الفتاوى والرسائل المشهورة ، وابن قيم الجوزية وغيرهم .

وبوجه خاص لا بد من التنويه بابن القيم . فهو شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن بكر بن ايوب بن سعد الزرعي ، ثم الدمشقي ، الشهير بابن قيم الجوزية . ولد سنة ٦٩١ وتوفي سنة ٧٥١ هـ . وقد كان عالماً في الفقه والتفسير والكلام والأصول والنحو . وله مؤلفات وتصانيف قيمة عديدة . منها تهذيب سنن ابي داود وايضاح مشكلاته ، وسفر الهجرتين ، ومراحل السائرين ، والكلم الطيب ، وزاد المسافرين ، وزاد المعاد في هدى خير العباد ، ونقد المنقول ، وبدائع الفوائد ، والشافية الكافية ، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، وهادي الأرواح الى بلاد الأفراح ، ونزهة المشتاقين ، وكتاب الداء والدواء ومفتاح دار السعادة ، واجتماع الجيوش الاسلامية ، وعدة الصابرين ، واغاثة اللهفان ، وكتاب الروح ، وكتاب الصراط المستقيم ، والفتح القدسي ، والتحفة الملكية . وأهم كتبه الفقهية هي بلا ريب كتاب اعلام الموقعين عن رب العالمين ، وكتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، والفتاوى .

وكان ابن القيم ، كشيخه ابن تيمية وامامه ابن حنبل نفسه ، تقياً في دينه ، جريئاً في رأيه وفكره . فلذا اضطهد كابن حنبل وابن تيمية ، وسجن في قلعة

دمشق . ولا غرو من ذلك فالاضطهاد الفكري قد أصاب غيرهم من الفقهاء ، كأبي حنيفة والسرخسي ، والشافعي وصاحبه البويطي ، ومالك وغيرهم .

والمهم ان نشير الى اجتهاد ابن القيم في مسائل المعاملات الشرعية ، والى نواحي التجدد في اجتهاده . ونحن نرى انه كان من طبقة المجتهدين في المذهب الحنبلي ، ونرى انه برهن في ذلك على نظر ثاقب وتفكير صائب ، فاعتمد على روح الشريعة الحقيقية وعلى حكمتها العادلة . فقال في بعض المسائل أقوالاً جريئة ، لم يقل بها أحد قبله ولا بعده من الفقهاء المسلمين ، وتوسع في مسائل اخرى توسعاً ، يدل على مرونة الشريعة ، وعلى مسايرتها للتطور والمدنية . فوصل بالنتيجة الى تحليلات ونظريات شبيهة بالنظريات القانونية العصرية . ونحن لا نرى مجالاً لايضاح جميع نظرياته وآرائه الفقهية . بل نكتفي على سبيل المثال بتلخيص ما قاله في بعض المسائل المهمة الحساسة ، لأجل تبيين النهج العلمي الذي اتبعه ، والنحو العادل الذي انتحاه ، ولأجل اثبات ما وصل اليه هذا الفقيه المجدد في بعض المسائل ، وهو من اتباع المذهب الحنبلي الذي اشتهر بالمحافظة الشديدة ، لم يصل اليه أتباع مدرسة أهل الرأي ولا مؤسسها الامام الأعظم .

وأهم المسائل التي أرى تلخيصها في هذا المعرض هي محاربة التقليد والجمود ، واعتماد القصد في التصرفات ، وحرية التعاقد ، ومنع الحيل في الأحكام ، واحياء أعمال الفضولي المحسن ، والمحافظة على حقوق الغرماء ، والتوسع في أصول البينات . واني اعتمد في هذا التلخيص بوجه خاص على كتاب أعلام الموقعين (طبعة ادارة الطباعة المنيرية) ، وكتاب الطرق الحكمية (مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، سنة ١٣١٧ هـ) .

محاربة التقليد والجمود

ان وجوب للاجتهاد وتحريم التقليد ليس قول ابن القيم وحده ، بل هو قول جمهور الفقهاء المسلمين . ولكن ابن القيم بحث في هذه المسألة بحثاً مستفيضاً ،

لم يسبقه اليه أحد من فقهاء المذاهب جميعاً . وقد عقد لذلك في كتاب اعلام الموقعين فصلاً كبيراً (في الجزء الثاني ص ١٢٨ — ٢٠٧) ، بعد ان تكلم قبل ذلك في القياس ، وختم كلامه بقوله : « وقد أطلنا الكلام في القياس والتقليد ، وذكرنا من مآخذهما وحجج اصحابهما وما لهم وعليهم من المنقول والمعقول ، ما لا يجده الناظر في كتاب من كتب القوم من أولها الى آخرها ، ولا يظفر به في غير هذا الكتاب » (ص ٢٠٧) . ولا شك في ان ابن القيم كان صادقاً في هذا القول .

ولقد استشهد ابن القيم بالآيات الكريمة ، وبالأحاديث الشريفة ، وبأقوال الصحابة والتابعين ، وبأصحاب المذاهب الأربعة ، وغيرهم من الأئمة والفقهاء ، للدلالة على ان « الواجب طلب الحق وبذل الاجتهاد في الوصول اليه بحسب الامكان » (ص ١٦٣) . وفوق ذلك ساق ابن القيم احدى وثمانين حجة من المنقول والمعقول ، لأجل تأييد ما ذهب اليه من بطلان التقليد .

وان التقليد الذي يحرم القول فيه والافتاء به ثلاثة أنواع ، بحسب تقسيم ابن القيم . « احدهما الاعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات اليه اكتفاء بتقليد الآباء . والثاني تقليد من لا يعلم المقلد انه اهل لأن يؤخذ بقوله . والثالث التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد ... وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمّه وتحريمه . وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه ، فقلد فيه من هو أعلم منه ، فهذا محمود غير مذموم » (ص ١٢٨ و ١٢٩) .

وبعبارة أخرى ، فابن القيم يرى ان التقليد الأعمى باطل في الشريعة ، وان الاجتهاد واجب على كل عالم قادر عليه . ورأيه ، كما نرى ، أقرب الى روح الشريعة الحقيقية ، التي جعلت شريعة كل زمان ومكان .

وقد عقد ابن القيم أيضاً فصلاً طويلاً في تغير الفتوى واختلافها ، بحسب

تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد (الجزء الثالث ص ١ وما بعدها) ، استهله بقوله : انه « فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة ، أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ما يعلم ان الشريعة الباهرة ، التي في أعلى رتب المصالح ، لا تأتي به . فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ، ومصالح العباد في المعاش والمعاد . وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلهـا » . ثم أتبع كلامه بأمثلة عديدة نكتفي بأهمها . وهي :

أولاً — ان النبي (ﷺ) شرع لأمته ايجاب انكار المنكر ليحصل بانكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله . فاذا كان انكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه ، وأبغض الى الله ورسوله ، فانه لا يسوغ انكاره . وأعطى ابن القيم على ذلك أمثلة . منها أنه سمع شيخه ابن تيمية يقول : « مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له انما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم » . وهذا من فروع القاعدة الكلية انه « يختار أهون الشرين » .

ثانياً — ان النبي (ﷺ) نهى ان تقطع الأيدي في الغزو ، أي نهى ان يحد السارق ، خشية ان يترتب عليه ما هو ابغض الى الله من تعطيله ، وهو ان يلحق المحدود بالمشركين وبالعدو . ولهذا قال جمهور علماء الاسلام ان الحدود لا تقام في أرض العدو ، واسقط عمر بن الخطاب رضي الله عنه القطع عن السارق في عام المجاعة . وكذلك أسقط النبي (ﷺ) الحد عن المجرم بتوبته قبل القدرة عليه ، لأن هذا تاب الى الله وعاد قلبه الى الصحة ، فلم يعد من حاجه له بأن يتطهر بالحد .

ثالثاً : ان النبي (ﷺ) فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر ، او صاعاً من شعير ، او صاعاً من زبيب ، او صاعاً من اقط . وهذه كانت غالب أقوات اهل المدينة . ولكن ، لما كان المقصود من ذلك سد خلة المساكين يوم العيد ، ومؤاساتهم من جنس ما يقتاته أهل بلدهم ، جاز اخراج صدقة الفطر من قوت اهل البلد او المحلة ، ولو كان ذلك من غير ما ذكر في الحديث الشريف . وكذلك نص النبي (ﷺ) في المصراة على رد صاع من تمر بدل اللبن . ومعنى المصراة بعبارة البخاري : « التي صُرّي لبنها وحقن فيه وجمع فلم يحلب اياماً » . فعند جمهور الفقهاء يجوز ، استناداً الى الحديث الشريف ، لمشتري الابل والغنم المصراة ان يفسخ البيع مع رد صاع من التمر (شرح البخاري للعيني ج ١١ ص ٣٦٩) .

وقد قال بعض الفقهاء ، ومنهم اصحاب مالك وبعض اصحاب ابن حنبل وابن القيم ، انه يجوز ان يُستبدل بصاع التمر صاعٌ من غالب قوت البلد ، لأنّ تعيين التمر قد ورد على انه غالب قوت المدينة .

رابعاً : اذا طلق الرجل زوجته ثلاث مرات في مجلس واحد ، كان الطلاق يعد واحداً في زمن النبي (ﷺ) وابي بكر وفي بدء خلافة عمر بن الخطاب . ولكن عمر رأى الناس استهانوا بهذا الأمر ، وكثر وقوعه جملة واحدة ، فرأى من المصلحة عقوبتهم وزجرهم عن هذه العادة . فأمر باعتبار هذا الطلاق بائناً ، اي ثلاثاً كما لفظ ، وقد وافقه الصحابة على ذلك . فهذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان والحال . ثم ان ما رآه عمر بن الخطاب حسناً في زمانه ، لم يره ابن القيم كذلك في زمانه هو ، لكثرة حوادث التحليل ، وللمفسدة التي تنتج منه . فأفتى ابن القيم بالرجوع الى السنة النبوية ، وفقاً لمبدأ تغير الفتوى بحسب الازمنة والأمكنة والأحوال والعادات .

القصد وحرية التعاقد

ان اساس الشريعة الاسلامية مبني على الحديث الشريف المتواتر : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » . وعلى هذا الأساس بنى السبكي القاعدة الكلية « الأمور بمقاصدها » (انظر شرح جمع الجوامع مع حاشية البناني ج ٢ ص ٣٧٣) ، التي نقلتها مجلة الأحكام العدلية في مادتها الثانية . ومعنى ذلك ، على الجملة ، ان حكم الفعل يرجع الى المقصود منه .

وتظهر اهمية هذه القاعدة في باب التصرفات القولية ، لا سيا في العقود . فقد جاء في المادة الثالثة من المجلة ان « العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني » . وهي قاعدة منقولة عن مجامع الحقائق (انظر شرحه منافع الدقائق ص ٣٢٥) .

وعلى الرغم من هذه القاعدة الصريحة الواضحة العادلة ، فلقد كان من الفقهاء من سها عنها ، وخالفها بتفصيلات اجتهادية ، تتعلق بالألفاظ وبشروطها وما الى ذلك من فروع . فلم يرض ابن القيم عن هذه التقييدات الجامدة ، بل رجع الى روح الشريعة وحكمتها الحقيقية .

فأصاب عندما قال : « ان الاعتبار في العقود والأفعال بحقائقها ومقاصدها ، دون ظواهر الفاظها وافعالها ... وان القصد روح العقد ومصححه ومبطله . فاعتبار القصود في العقود اولى من اعتبار الألفاظ . فان الألفاظ مقصودة لغيرها ، ومقاصد العقود هي التي تراد لنفسها ... وقد تظاهرت ادلة الشرع وقواعده على ان القصود في العقود معتبرة ، وانها تؤثر في صحة العقد وفساده وفي حله وحرمته ... وان المتعاقدين وان اظهرا خلاف ما اتفقا عليه في الباطن ، فالعبرة لما أضمراه واتفقا عليه وقصداه بالعقد ، وقد اشهدا الله على ما في قلوبهما ، فلا ينفعهما ترك التكلم به حالة العقد ، وهو مطلوبهما ومقصودهما ... » (اعلام الموقعين ج ٣ ص ٨٢ و ٨٣ و ٩٦) .

وان العقد ، لما كان مبناه على القصد ، فهو يتوقف على حرية المتعاقدين في اشتراط ما يشاءان . وهذا ما يسمى في اصطلاح رجال القانون اليوم بمبدأ حرية التعاقد .

وقد كان بحث الشرط في مجلة الأحكام العدلية وفي كثير من المذاهب الاسلامية ، لا سيما عند المتأخرين من الحنفية ، من الأمور الصعبة ، لما فيه من ضوابط وتفصيلات ، من ناحية بيان العقود التي يصح اقترانها بشرط التقييد ، او التي يصح ربطها بشرط التعليق ، ومن ناحية تعريف الشرط الفاسد ، وتأثيره على تلك العقود .

ولكن ابن القيم لم يرَ في كل ذلك ما يوجب التوقف عنده ، بل انطلق من هذا التقييد ، وجاهر بحرية الاشتراط والتعاقد ، قائلاً : ان « تعليق العقود والفسوخ والتبرعات والالتزامات وغيرها بالشروط امر قد تدعو اليه الضرورة او الحاجة او المصلحة ، فلا يستغني عنه المكلف ... والمقصود ان للشروط عند الشارع شأناً ليس عند كثير من الفقهاء . فانهم يلغون شروطاً لم يلغها الشارع ، ويفسدون بها العقد من غير مفسدة.... وههنا قضيتان كليتان من قضايا الشرع الذي بعث الله به رسوله : احداهما ان كل شرط خالف حكم الله ، وناقض كتابه ، فهو باطل ، كائناً ما كان . والثانية ان كل شرط لا يخالف حكمه ، ولا يناقض كتابه ، وهو ما يجوز تركه وفعله بدون شرط ، فهو لازم بالشرط . ولا يستثنى من هاتين القضيتين شيء . وقد دل عليهما كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الصحابة . ولا تعبأ بالمسائل المذهبية والأقوال الآرائية . فانها لا تهدم قاعدة من قواعد الشرع » . (اعلام الموقعين ج ٣ ص ٣٣٧ — ٣٤٠) .

وقد استشهد ابن القيم بالآية الكريمة من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، معلقاً عليها بان الشرط الجائز هو « بمنزلة العقد بل هو عقد وعهد » . واستشهد أيضاً بالحديث الشريف : « المسلمون على شروطهم ،

الا شرطا حرم حلالاً ، او احل حراماً » (رواه الترمذي وابو داود وابن حيان والحاكم وغيرهم . وقيل انه حديث ضعيف . انظر بلوغ المرام لابن حجر ص ١٧٩ ، وسنن ابي داود ج ٣ رقم ٣٥٩٤ ، ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٢١٥) .

واستشهد أيضاً بأقوال الصحابة وأقوال بعض الأئمة . ولقد صدق ابن القيم في تصوير هذا الأصل الشرعي العظيم ، الذي أخذ به أيضاً قانون أصول المحاكمات الحقوقية العثماني (المادة ٦٤) ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ١٦٦) .

منع الحيل في الأحكام

الحيل في الشرع نوعان . أولهما الحيل الشرعية المباحة في جميع المذاهب ، وهي التي يقصد بها التحيل على قلب طريقة مشروعة وضعت لأمر معين ، واستعمالها في حالة اخرى ، بقصد التوصل الى اثبات حق ، او دفع مظلمة ، او الى التيسير بسبب الحاجة .

والنوع الثاني من الحيل هو الذي يقصد منه «التحيل على قلب الأحكام الثابتة شرعاً الى أحكام أخر ، بفعل صحيح الظاهر لغو في الباطن» (موافقات الشاطبي ج ٢ ص ٣٨٠) . وقد حصل خلاف بين المذاهب في صحة هذا الضرب من الحيل . فقال الحنفية وبعض الشافعية بجوازه ، وألفوا كتباً عديدة ، اشهرها كتاب الحيل لأحمد ابي بكر الخصاف الحنفي .

ولكن الامام الشافعي والامامين مالكاً وابن حنبل واتباعهما حرموا هذا النوع من الحيل . ومن هؤلاء ابن قيم الجوزية ، اذ عقد في هذا الموضوع فصولاً طويلة (في معظم الجزء الثالث اي ص ١١٩ — ٣٥٢ ، وفي الجزء الرابع كله ، خصوصاً ص ١ — ٤٠ ، من كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين) . وقد أسهب في بيان الأدلة على بطلان هذه الحيل ، وردّ على حجج من جوزها ، ثم فرق بين الحيل المباحة والحيل المحرمة ، وضرب منها أمثلة عديدة .

ولم يكتف ابن القيم بالاستناد الى حجج من المنقول عن الكتاب والسنة واجتهاد الصحابة والائمة ، بل اعتمد أيضاً على حجج من المعقول . قال هذا الفقيه : « لما كانت المقاصد لا يتوصل اليها الا باسباب وطرق تفضي اليها ، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها . فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب افضائها الى غاياتها وارتباطاتها بها ... فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، وهي مقصودة قصد الوسائل . فاذا حرم الرب تعالى شيئاً ، وله طرق ووسائل تفضي اليه ، فانه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقاً لتحريمه ، وتثبيتاً له ، ومنعاً ان يقرب حماه . ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية اليه ، لكان ذلك نقضاً للتحريم ، واغراء للنفوس به . وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الاباء ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك . فان أحدهم اذا منع جنده او رعيته او اهل بيته من شيء ، ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة اليه ، لعد متناقضاً ، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده . وكذلك الأطباء اذا ارادوا حسم الداء ، منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصلة اليه ، والا فسد عليهم ما يريدون اصلاحه . فما الظن بهذه الشريعة الكاملة ، التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال » ، (ج ٣ ص ١١٩ — ١٢٠) .

وخلاصة قول ابن القيم ان اباحة الحيل تقض لغاية الشارع . فلذا وجب سد الذرائع او الوسائل التي تفوت غاية الشارع ، وهي المصالح المقصودة من الأحكام الشرعية جميعاً .

ومن أمثلة الحيل الشرعية المعروفة عند الحنفية الحيل المستنبطة في الشفعة . وحق الشفعة جائز عندهم للشريك في الملك المبيع ، وللخليط في حقوق المبيع ، وللجار . وقد استنبطوا حيلاً مختلفة للتخلص من هذا الحق . ولكن هذه الحيل غير مباحة عند ابن القيم ، ومن قال قوله ، لأن الشفعة « شرعت لدفع الضرر ، فلو شرع التحيل لابطالها ، لكان عوداً على مقصود الشريعة بالابطال ، وللحق الضرر الذي قصد ابطاله » .

احياء اعمال الفضولي المحسن

من القواعد الشرعية الأساسية انه ، لا يجوز لأحد ان يتصرف في مال غيره من دون اذن او ولاية . ومن تصرف في ذلك خلافاً لهذه القاعدة ، سمّي فضولياً . مثاله لو باع زيد مال عمرو ، دون ان يكون وكيلاً عنه ، أو ولياً عليه ، اي من دون تفويض من صاحب المال او اذن من الشرع ، فهو بائع فضولي .

ولقد اختلفت المذاهب والقوانين في حكم تصرفات الفضولي . فمنهم من قال إنها باطلة ، ولو وافق عليها صاحب المال . وهذا قول الامام الشافعي في مذهبه الجديد ، وقول الامام ابن حنبل في احدى الروايتين عنه ، وقول اصحاب المذهب الظاهري وغيرهم .

ومنهم من قال ان تصرفات الفضولي موقوفة على رضى صاحب المال . فان اجازها صحت ونفذت ، باعتبار ان الاجازة اللاحقة كالوكالة السابقة . وان لم يجزها صاحب المال ، بطلت وعدت كأنها لم تكن ، الا في بعض المستثنيات المبنية على الضرورة او على الاذن الضمني . وقد أخذ بهذه النظرية من القوانين الغربية القانون الانكليزي ، ومن الفقهاء المسلمين الامام الشافعي في مذهبه القديم ، والامام ابن حنبل في الرواية الثانية عنه ، والامامان ابو حنيفة ومالك واتباعهما .

أما النظرية الثالثة فتحكم بصحة تصرفات الفضولي ، ولو لم يجزها صاحب المال ، اذا كانت مفيدة له ، وجرت بقصد الرجوع عليه . وهذه النظرية عرفها الرومان ، ونقلها عنهم قانون نابوليون وغيره من القوانين الأوروبية الحديثة ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ١٤٨ وما بعدها) .

وعلى الرغم من ان الرأي السائد في المذاهب الاسلامية يأخذ بالنظرية الثانية ، فقد كان من الفقهاء من قال بالنظرية الثالثة . ومن هؤلاء ابن قيم الجوزية ، في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين (الجزء الثاني ، ص ٣٢٤ — ٣٢٩) .

قال ابن القيم ، فيمن أدى عن غيره واجباً ، انه يرجع عليه به . واستند

بذلك الى الآية الكريمة من سورة الرحمن : «هل جزاء الاحسان الا الاحسان» . فاذا أدى احد عن غيره ديناً بغير اذنه فلا يعد متبرعاً ، بل له مطالبة المديون بما اداه عنه ، لأنه ليس من الجزاء الصحيح العادل لمن يحسن الى غيره باداء دينه عنه ، «ان يضيع عليه معروفه واحسانه وأن يكون جزاؤه منه باضاعة ماله ومكافأته عليه بالاساءة» .

واستند ابن القيم أيضاً الى الحديث الشريف : «من أسدى اليكم معروفاً فكافئوه» . وعلق عليه بقوله : «وأي معروف فوق معروف هذا الذي افتك أخاه من أسر الدين ؟ وأي مكافأة أقبح من اضاعة ماله عليه وذهابه ؟ واذا كانت الهدية ، التي هي تبرع محض ، قد شرعت المكافأة عليها ، وهي من أخلاق المؤمنين ، فكيف يشرع جواز ترك المكافآت على ما هو من أعظم المعروف» ؟

واستشهد ابن القيم أخيراً بما نص عليه الامام احمد بن حنبل في عدة مواضع . منها انه اذن للأجنبي ان يحصد زرع غيره في غيبته ، على انه يرجع عليه بالأجرة والنفقة . هذا ، كما قال ، من احسن الفقه ، فانه لو ترك الزرع بلا حصاد ، بسبب مرض المالك او حبسه او غيبته ، لهلك وضاع . فاذا علم من يحصده له ان عمله ونفقته يذهبان ضياعاً ، لم يقدم على الحصاد . «وفي ذلك من اضاعة المال ، والحاق الضرر بالمالك ، ما تأباه الشريعة الكاملة» .

ومما ذكر ابن القيم عن امامه أيضاً ، انه لو انكسرت سفينة رجل ، فوقع منها ماله في البحر ، فخلصه له رجل آخر ، فلهذا الفضولي على صاحبه أجرة مثله .

وتعليل ذلك على الجملة ان الناس يتآزرون في المحافظة والنصيحة والمعروف . «فلو علم المتصرف لحفظ مال أخيه ان نفقته تضيع ، وان احسانه يذهب باطلا في حكم الشرع ، لما أقدم على ذلك ، ولضاعت مصالح الناس ، ورغبوا عن حفظ اموال بعضهم بعضاً ، وتعطلت حقوق كثيرة ، وفسدت اموال عظيمة . ومعلوم ان شريعة من بهرت شريعته العقول ، وفاقت كل شريعة ، واشتملت كل مصلحة ، وعطلت كل مفسدة ، تأبى ذلك كل الاباء» .

المحافظة على حقوق الغرماء

ان الشريعة الاسلامية ومعظم الشرائع خولت الغرماء وسائل شتى ، لأجل تحصيل حقوقهم ، أو لأجل المحافظة عليها . ومن هذه الوسائل حبس المدين ، وحبس العين ، وحجز الأموال ، وتقييد تصرفات المدين المريض ، والحجر على المدين المفلس ، وما الى ذلك .

ولكن الشريعة الاسلامية ، في مذهب جمهور الفقهاء ، تعتبر أن تصرفات المدين غير المحجور عليه صحيحة ونافذة ، ولو كان القصد منها اضرار الغرماء ، أو المماطلة في أداء حقوقهم . وفي هذا كما نرى بعض الحرج ، وفيه كثير من الخطر على حقوق الناس .

لذا أفتى بعض المتأخرين من فقهاء الحنفية ، بان من وقف ملكه على اولاده وهربه من الدائنين ، لا يصح وقفه ولا يلزم . وقد رجح هذه الفتوى المفتي ابو السعود العثماني في معروضاته ، ورجحها أيضاً العلائي وابن عابدين وغيرهما . وبها أيضاً اخذت المشيخة الاسلامية ودائرة الفتوى ، ومجلس الشورى في الدولة العثمانية ، فصدر الأمر السامي بالعمل بها بتاريخ ١٨ ربيع الاول ١٢٩٨ هـ .

وعلى الرغم من ذلك ، فان باقي تصرفات المدين تعتبر صحيحة عند جمهور الفقهاء ، لا سيما عند الحنفية ، حتى ولو كانت من نوع التبرع المحض . لذلك كان رأي الامام مالك وبعض الحنبلية ، كابن تيمية وصاحبه ابن القيم ، اوفق للمصلحة وأرفق بالناس . فقد قال هؤلاء الفقهاء بان المدين اذا استغرقت امواله بالديون ، فلا تصح عقوده التي فيها تبرع ، كالهبة والبيع بالمحاباة ، وما أشبه ، الا ماجرت العادة بفعله ، وسواء في ذلك أكان المدين محجوراً عليه أم لم يكن . واذا تبرع على هذا الوجه ، فللدائن ان يطلب من الحاكم أبطال التصرف . (شرح الخرشي على سيدي خليل ج ٤ ص ١٧٣ ، والقواعد لابن رجب القاعدة ١١ ص ١٤ ، واعلام الموقعين ج ٤ ص ٦ — ٧) .

ولقد أوضح ذلك ابن القيم بقوله إن حق الغرماء قد تعلق بمال المديان . وان « في تمكين هذا المديان من التبرع ابطال حقوق الغرماء . والشريعة لا تأتي بمثل هذا . فانها انما جاءت بحفظ حقوق أرباب الحقوق ، بكل طريق ، وسد الطرق المفضية الى اضاعتها » .

وهذا القول من أحسن الفقه . وهو شبيه بمضمون ما هو مشهور اليوم في القوانين العصرية ، باسم الدعوى البولصية ، نسبة الى القاضي الروماني بولص ، الذي كان أول من منحها الغرماء لأجل فسخ عقود المديون التي أجراها بقصد الاضرار بهم . وقد اقتبسها قانون الموجبات والعقود اللبناني (المادة ٢٧٨) ، وأسماها بالدعوى البوليانية .

التوسع في أصول البينات

روى مسلم في صحيحه عن النبي (ﷺ) انه قال « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن اليمين على المدعى عليه » . لذا اشترط الشرع واجب الاثبات لدى القضاء ، دفعاً للادعاءات الباطلة ، واقراراً للقاعدة الكلية ان الأصل براءة الذمة .

فاذن ، للاثبات اهمية كبيرة ، لأن عليه يتوقف امر حماية الحقوق وتنفيذها . ويكون الاثبات بطرق معينة ، أهمها الحجج الشرعية الثلاث ، وهي الاقرار والبينة واليمين . ولقد درس الفقهاء هذه الحجج وما يتفرع عنها درساً مفصلاً ، لا مجال لبيانه في هذا المعرض . ومن الذين درسوه درساً علمياً دقيقاً ابن قيم الجوزية في كتابه النفيس « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية » . وهذا الكتاب تطرق الى جميع وسائل الاثبات ، واسهب في الادلة الشرعية المتعلقة بها ، وفي أقضية كثير من فقهاء المسلمين وقضاة السلف . وان تلخيص هذا الكتاب يحتاج الى مجال اوسع من مجالنا الحاضر . ولكننا نكتفي هنا بالتنويه

بمسألة واحدة منه ، وهي تقدير الشهادات وقبول شهادة الرجل الواحد ، على ان نتبع ذلك ببحث مسألة عدم تجزئة الاقرار كما أوضحها ابن القيم في كتاب اعلام الموقعين .

أولاً — تقدير الشهادات وشهادة الواحد

استعملت كلمة البينة ، او البينة الشخصية في الاصطلاح بمعنى شهادة الشهود . وهي لم تقبل على اطلاقها في جميع الشرائع ، لما فيها من خطر ناتج عن نسيان الشهود او كتمانهم الشهادة او الكذب فيها ، بداعي التحزب او الاغراء او الرشوة . فلذا أوجب الفقهاء شروطاً معينة لقبول البينة ، وأوجبوا نصاباً معيناً اختلف باختلاف المذاهب والقضايا . وان بحث مراتب الشهادات خارج عن بحثنا هنا . وعلى الجملة فالرأي السائد يشترط شهادة الرجلين او الرجل والمرأتين في قضايا الأموال ، وقد قبل المذهب الحنفي هذه الشهادة أيضاً في باقي حقوق العباد ، وهي نصاب الشهادة المنصوص عليه في مجلة الأحكام العدلية (المادة ١٦٨٥) . وفوق ذلك ، قبل الأئمة مالك والشافعي وابن حنبل شهادة الرجل الواحد ، اذا تعززت بيمين المدعي . ولكن شهادة النساء ، وشهادة الرجل الواحد بدون يمين المدعي ، لم يقبل بها جمهور الفقهاء ، الا في بعض المستثنيات المحصورة .

أما ابن قيم الجوزية فقد توسع في مسألة البينات ، فأجاز شهادة الرجل الواحد الصادق ، متبعاً في ذلك قول بعض قضاة السلف ، أمثال شريح وزرارة واياس بن معاوية ، وقول ابي داود السجستاني وابن تيمية وغيرهم .

وقد رأى ابن القيم ان الغاية من البينة الوصول الى معرفة الحق ، وان العبرة فيها لصدق الشهود وعدالتهم ، لا لعددهم . فقال : «والصواب ان كل ما بيّن الحق فهو بينة . ولم يعطل الله ولا رسوله حقاً بعد ما تبين بطريق من الطرق أصلاً . بل حكم الله ورسوله ، الذي لا حكم له سواه ، انه متى ظهر الحق ووضح بأي طريق كان ، وجب تنفيذه ونصره وحرم تعطيله وابطاله» (اعلام الموقعين ، ج ١ ص ١٩٢ — ١٩٣) .

ومن هذا الأصل الحكيم استنتج ابن القيم «انه لا يجوز للحاكم الحكم بشهادة الرجل الواحد، اذا عرف صدقه في غير الحدود. ولم يوجب الله على الحكام ان لا يحكموا الا بشاهدين أصلاً، وانما أمر صاحب الحق ان يحفظ حقه بشاهدين، أو بشاهد وامرأتين. وهذا لا يدل على ان الحاكم لا يحكم بأقل من ذلك. بل قد حكم النبي (ﷺ) بالشاهد واليمين، وبالشاهد فقط» (الطرق الحكمية ص ٦٦، ٦٧). او بعبارة اخرى، «فالطرق التي يحكم بها الحاكم أوسع من الطرق التي أرشد الله صاحب الحق الى ان يحفظ حقه بها» (اعلام الموقعين، ج ١ ص ٨١).

وقد استند ابن القيم الى سنة النبي (ﷺ)، اذ أجاز شهادة الاعرابي وحده على رؤية هلال رمضان، وأجاز شهادة الواحد في قضية سلب رواها ابو قتادة، وقبل شهادة المرأة الواحدة اذا كانت ثقة فيما لا يطلع عليه الا النساء، وجعل شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاري بشهادتين، بالحديث الشريف «من شهد له خزيمة فحسبه» (رواه البخاري واحمد).

وحديث خزيمة عده جمهور الفقهاء مخالفاً للقياس ومختصاً بخزيمة، ورفضوا شهادة الواحد من غيره، وفاقاً للقاعدة الكلية الواردة في المجامع وفي المجلة، ان «ما ثبت على خلاف القياس فغيره لا يقاس عليه» (المادة ١٥). اما ابن القيم فاعتبر ان هذا الحكم بالشاهد الواحد ليس مخصوصاً بخزيمة دون من هو خير منه أو مثله من الصحابة. فلو شهد ابو بكر وحده او عمر او عثمان او علي او أبي بن كعب، لكان اولى بالحكم بشهادته وحده» (الطرق الحكمية ص ٧٠). وبعبارة أخرى، اعتبر ابن القيم ان هذا الحديث بني على علة، هي صدق خزيمة، فجوز للقاضي ان يتوسع فيه حيث وجدت علته، ومن ثم جوّز له ان يحكم بشهادة كل من تحقق صدقه.

ثانياً – عدم تجزئة الاقرار

من الأدلة على توسع ابن القيم في مسائل البينات، أخذه بنظرية عدم تجزئة الاقرار، وايضاحها ايضاحاً وافياً.

فمن المعلوم ان الاقرار هو أقوى الحجج الشرعية على الاطلاق، وان «المرء مؤاخذ باقراره» (نقلتها المادة ٧٩ من المجلة عن كتاب مجامع الحقائق).

ولكن من الأمور المختلف فيها في القوانين مسألة الاقرار الموصوف. وهو الذي يشتمل الاقرار بالفعل الأصلي المدعى به، والادلاء ببيان اضافي مرتبط به. مثاله ان يقر المدعى عليه بالدين المدعى به، وان يزيد على ذلك بانه مؤجل. فهل يجب الأخذ بجميع قول المقر؟ أم يجوز تجزئة اقراره، بان يلزم بالدين المدعى به حالاً، ثم يكلف باثبات التأجيل؟

في المذهبين الحنفي والمالكي يحكم بتجزئة الاقرار. وفي هذا، كما نرى، تشجيع للكاذبين وعقاب للصادقين، في بعض الأحيان. لذا نرى اليوم القوانين العصرية تأخذ بنظرية عدم تجزئة الاقرار. ومن هذه القوانين قانون أصول المحاكمات المدنية اللبناني (في المادتين ٢٢٦ و ٢٢٧)، وقانون تنظيم المحاكم الشرعية اللبناني (في المادة ٤٤).

وعلى هذه النظرية أيضاً سار الفقهاء الحنبلية، ومنهم ابن قيم الجوزية. فقال هذا الفقيه بان الاقرار لا يقبل التبعيض، لأنه كلام واحد لا يجوز الأخذ ببعضه دون بعض. مثاله اذا اقر المدعى عليه بالدين مؤجلاً، لم يجبر على الدفع قبل الأجل، لأنه بعبارة ابن القيم «انما أقر به على هذه الصفة، فالزامه به على غير ما اقر به الزام بما لم يقر به». (اعلام الموقعين، ج ٣ ص ٣١٧).

الخلاصــة

نحن نستبين مما تقدم ان ابن قيم الجوزية لم يكن من الفقهاء العاديين بل كان من النوابغ الذين نظروا الى الشريعة الاسلامية على حقيقتها، والذين تحروا عن مقاصدها وغاياتها، وتمسكوا بها غير مبالين بما قاله غيرهم .

وعلى هذا حارب ابن القيم التقليد الأعمى ، والجمود والخرافات الشكلية ، والتفصيلات الآرائية ، ودقق في الاجتهاد . فاعتبر المقاصد أساساً للحكم في تصرفات الناس ومعاملاتهم ، وأفتى بتحريم التحيل على الشرع ، وتوسع في أصول المحاكمات وطرق البينات .

فتوصل بذلك كله الى نظريات عصرية ، كنظرية المنفعة في أعمال الفضولي ، ومبدأ حرية التعاقد ، ومبدأ تقدير قيمة الشهادات ، وعدم تجزئة الاقرار ، وفسخ عقود المديون المضرة ، ومبدأ تغير الأحكام بتغير الأزمان والأمكنة والأحوال ، وما شابه من النظريات والمبادئ ، التي لا نراها اليوم الا في احدث الشرائع ، وذلك كله في زمن سابق لها بعدة قرون . وما هذا كله الا دليل من الأدلة الكثيرة على ان الشريعة الاسلامية تحوي من الأسس القوية ما جعلها تماشي المدنية في الماضي ، وما يجعلها اليوم قابلة لأن تساير كل تطور في الحاضر والمستقبل . واذا كان الأمر على عكس ذلك في وقت من الاوقات ، فلم يكن مرده الا الى جمود بعض المتأخرين ، والى تقصيرهم في تفهم معاني الشريعة الحقيقية ، كما يجب ان تفهم ، وكما فهمها امثال شمس الدين بن قيم الجوزية .

(بيروت) صبحي المحمصاني

المكاتب الايرانية
والمكتبة الرضوية ووصف بعض كتبها

تحتفظ ايران بثروة علمية ضخمة تضم أشتاتها المكاتب العامة والخاصة في عاصمتها طهران وأمهات مدنها الكبيرة . ومع ما انتاب ايران من الحروب المتواترة الداخلية والخارجية والتزاحم على سلطانها وسقوط دولة وقيام أخرى ، ومكروه ذلك وسيئه هو السهم المسدد لقلب العلم واجتياح كتبه ، فان البقية الباقية من ثروته في هذا البلد تفوق كل ما استبقت عليه الأيام ونكباتها من هذه الثروة في سائر البلاد الاسلامية .

فالمكاتب الايرانية اليوم ضاربة بسهم وافر من التنظيم ، منطوية على الكتب القيمة النادرة وعلى الكثير مما ألف وصنف في مختلف العلوم والفنون باللغة العربية في عصور ازدهارها واتخاذها اداة العلم والفقه الاسلامي وما اليه والأدب والحكمة والطب والسياسة وحذق العلماء الايرانيين لها حذقاً منقطع النظير فكانوا بذلك بلا نكير أئمة وحججاً يرجع اليهم في فهم أسرار العلوم واسرار اللغة حتى أبناء هذه اللغة الشريفة ولم يكن اتخاذهم لغتهم الفارسية في عصور استقلالهم عن العرب لغة الدواوين والعلم والسياسة ليحد من نشاط جمهرة من علمائهم وأدبائهم في حذق اللغة العربية والاحتفاظ بكتبها سواء أكان فيما ألفه وصنفه أجدادهم أم العرب .

والمؤلفات العربية القديمة والحديثة هي أبرز ما تحويه مكاتبهم الحافلة بنوادر المخطوطات المضروب بالاسداد بينها وبين أن تمتد اليها الأيدي العاثرة . وحسبك برهاناً على مبلغ العناية بصونها من العبث فيها ان تجد الصناديق الحديدية المقفلة في مكتبة البرلمان الايراني مستودعاً أميناً لكتبها الخطية النادرة وهي المكتبة التي وصف بعض كتبها في مقاله القيم الباحث الأستاذ أسعد طلس في اجزاء

من مجلة المجمع . ولقد أتيح لي عام ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م ان اقوم برحلة الى العراق وايران استغرقت ستة أشهر فأزور البرلمان الايراني ومكتبته ومكتبة سبهسالار زيارة قصيرة لم يمكن لي قصر الوقت بمقامي بطهران وجهل اللغة الفارسية وفقد من استعين به على الترجمة ان أبلغ حاجة في النفس من الوقوف على ما فيها وفي مكتبة قصور كلستان الزاخرة بآثار اليد والفكر من النفائس . وما فاتني الانتفاع به من مكاتب طهران لم يفتني من المكتبة الرضوية في مشهد خراسان وقد أقمت فيه مدة اربعين يوماً كان لي من أخلاق قيمها الفاضلة الشاهزاده (الامير) او كتابي ومن مساعدة من يحسن اللغتين العربية والفارسية وهو الفاضل الشيخ محمد تقي الايرواني ما وقفت عليه من نوادر مخطوطات هذه المكتبة العامرة في أيام غشياني لها ومن وصفه ومن الوقوف على المهم من تاريخ المشهد الذي كان مستهدفاً لغزوات الدول المجاورة لخراسان وهو قاعدتها أما

المكتبة الرضوية

فهي في الصحن الجديد شرقي الروضة وهو الذي بناه فتح علي شاه سنة ١٢٣٣ بعد تغلب شجاع الدولة على فتح خان وزير محمود شاه الأفغاني الذي قصد الاستيلاء على مشهد بجيش جرار ، تقع المكتبة في طبقة علوية تشتمل على غرفتين احداهما للنسخ والتصحيح وثانيتهما لتجليد الكتب وبينهما وبين غرفة الكتب فسحة مدت فيها المقاعد للمطالعة ومنها ينفذ الى غرفة الكتب البالغ طولها ٣٠ ذراعاً بعرض وارتفاع ستة أذرع تحتوي على ٦٢ قفسة (واجهة) مملوءة بالكتب يتجلى الذوق الايراني باتقان تجليدها وما فيها من فن حذقته الأيدي الفارسية الى تنظيم رائع بديع .

تاريخ انشاء المكتبة

أما تاريخ انشائها فغير معلوم على التحقيق ولكن المحقق انها كانت قائمة في أوائل المائة التاسعة بدليل ان ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك

قد وقف سوراً من القرآن الكريم على الروضة كتبها بخطه سنة سبع وعشرين وثمانمائة وأوضح في الدلالة على وجود المكتبة في هذه المائة ان كتاب روض الجنان في التفسير للشيخ ابي الفتوح قد أرخ وقفه على المكتبة سنة ٨٦١

ولما غزا المشهد عبد المؤمن خان بن عبد الله خان اوزبك وفتحها بعد حصار اربعة اشهر وأعمل في اهلها القتل والنهب استولى على كل ما كان في الروضة الرضوية من نفائس الآثار وعلى بعض الكتب والمصاحف المجموعة من أقاصي بلاد الاسلام في أزمنة متمادية ووقع بأيديهم بعض منها بخطوط بعض الأئمة وحملوا من المشهد ما يقرب من حمل الف بعير ·

عدد كتبها

كان يبلغ عددها سنة ١٢٩٦ بعهد سدانة الميرزا سعيد خان ٢٠٦٩ · وسنة ١٣١٢ بعهد سدانة مؤيد الدولة ٢٩٨٣ · وسنة ١٣٤٣ بعهد سدانة الحاج ميرزا محمد ٣٣٤٤ وكان يبلغ عدد نسخ القرآن الكريم الفاً · وسنة ١٣٤٤ بعهد سدانة آغا ميرزا محمد خان الاسدي في سلطنة المرحوم رضا شاه البهلوي وبادارة الأمير اوكتائي للمكتبة بلغ عددها خمسة عشر الف كتاب منها خمسة آلاف مصحف ووضع لها مديرها فهرساً متقناً يبلغ ثلاثة أجزاء من القطع الكامل طبع سنة ١٣٥٤

ومن المدهش ارتقاء عددها الى هذا الرقم في أزمنة قريبة جداً وهو في ازدياد مطرد بلغت هذا العدد الى سنة ١٣٥٣ هـ و ١٩٣٤ م وهي التي أتيح لنا فيها زيارتها ومن ذلك يتبين مبلغ العناية بهذه المكتبة وللسلاطين الذين تعاقبوا على حكم ايران ولا سيما في العصور الأخيرة كثير من الكتب الموقوفة عليها وخاصة الملوك الصفوية ونادر شاه والقاجاريين ولكنها بلغت الذروة في عهد السلطان رضا شاه ومن العامليين الذين لهم أثر بين في وقف الكتب عليها العلامة الشيخ محمد بهاء الدين العاملي الهمداني الحارثي الجبعي والشيخ اسد الله بن خاتون العاملي العيناثي فقد وقف عليها سنة ١٠٦٧ اربعمائة كتاب في علوم مختلفة ·

وصف بعض مخطوطاتها

أما المصاحف الشريفة التي تزدان بها المكتبة والبالغ عددها خمسة آلاف مصحف ومنها ما يرجع تاريخ كتابته الى عهد جمع القرآن الكريم وتدوينه كالمصاحف المنسوبة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والى ولده الحسن السبط والامام علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام والى من تأخر عن عصورهم حتى المائة الثالثة عشرة للهجره فذلك مما لا مطمع في الاحاطة به ووصفه ولم يتعرض له فهرس المكتبة وجله جامع لروعة القدم ورواء زخارف الفن الفارسي في التجليد المتقن البالغ أقصى جماله وكأن التقرب الى الحضرة الرضوية وتخليد الذكر فيما يهدى اليها من النفائس سواء أكان في البناء أم في الأعلاق الثمينة أم في كتابة المصاحف هو الحافز لكثير من العظماء الى هذا التقرب فقد جاء في كتاب منتخب التواريخ للعلامة الحاج ملا هاشم الخراساني المتوفى سنة ١٣٤٩ ويوجد في مكان المصاحف الشريفة قرآنخانه قران ثلاثون جزءاً بخط تور كان زمرذملكة وقد وقفته سنة ٥٠٠ . ووقف ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك على الروضة سوراً من القرآن كتبها بخطه سنة ٨٣٧ .

وصف بعض المصاحف

وهذا وصف بعض المصاحف والسور القرآنية التي أتيح لنا الوقوف عليها ومما يدل على ما تحويه هذه المكتبة من الكنوز الخالدة .

الأول سور من القرآن المجيد

منسوبة الى خط علي عليه السلام فيها من أول سورة هود الى آخر سورة الكهف مكتوبة عرضياً على رق بشكل السفينة تشبه قرآناً منسوباً لهذا الامام العظيم رأيناه في الحضرة العلوية بالنجف الشريف خطها كوفي خال من النقط وتنقيطه بالمداد الأحمر متأخر عن زمن كتابته عدد أوراقها (٦٨) وفي كل

صفحة (١٥) سطراً بطول (٣٤) وعرض (٢٣) وقطر (٣) وهي مجلدة بجلد مذهب موضوعة في صندوق مذهب والواقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية بخط العلامة البهائي ·

الثاني

جزء من القرآن منسوب الى علي عليه السلام مكتوب على رق سميك يشبه الايادي (العبادي) وعلى قدمه تراه كأنه كتب جديداً الا بعض الصفحات واذا نظرت الى بعضها تبين لك قدمها وتماسكه على تمادي القرون ·

عدد صفحاته (٩٣) وفي كل صفحة سبعة أسطر وطوله (٢٧ س) بعرض (١٨) وقطر سانتيم واحد وفي الصفحة الـ (٧) جدول بين سطورها بارز الى الهامش وواقفه الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية مكتوبة على ورقة ألحقت بأوله وهي بخط العلامة البهائي · وفي كمات هذا الجزء نقط حمر وخضر متأخرة عن زمن كتابته · والذي استفدناه من مدير المكتبة ان النقط الحمر هي رموز الى علامات الاعراب فللكسرة نقطة تحتية وللفتحة نقطة فوقية وللتنوين نقطتان فوقيتان للمنصوب وتحتيتان للمخفوض وامام الحرف للمرفوع وللضمة نقطة امام الحرف ·

وأما النقط الخضر فالظاهر أنها للتفرقة بين بعض الحروف المتشابهة بالخط الكوفي كما يدل رسمها الحرف المهمل بشكل رسم المعجم ·

أما الجزء الأول فمكتوب في آخره (كتبه علي بن) بسطر (ابي طالب) بسطر ثان والجزء الثاني (كتبه علي) بسطر (بن ابي طالب) بسطر ثان باسقاط الف ابن ·

الثالث

جزءان من المصحف الكريم منسوب خطها للامام الحسن السبط عليه السلام ابتدئ الأول باول الجزء الثالث والعشرين من سورة (يس) واختتم بالآية الـ (٤٥) من سورة (فصلت) التي هي الجزء الـ (٢٤) عدد أوراقها (١٢٢)

بطول (١٦ س) وعرض (١٢) وقطر (٥) وهما مكتوبان بالخط الكوفي بشكل السفينة وفي الآخر مكتوب سطران الأول (الأول كتبه الحسن بن علي) الثاني (ابي طالب) سنة احدى واربعين من وقف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٨ وصورة الوقفية من خط العلامة البهائي باللغة الفارسية .

الرابع

مصحف منسوب خطه الى الامام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام موضوع في غلاف سميك مزخرف وقد كتب بالخط الكوفي على رق ووضعت له هوامش يشبه ورقها ورقه حفظاً لخطه وأثر الجدة ظاهر عليها وهي مطرزة بجداول جميلة .

سقط من أوله سورة الفاتحة الى الآية الـ (١٨٩) من سورة البقرة ومن اول الآية الـ (١٨٠) موجود الى آخر القرآن .

وواقفه غير معلوم عدد أوراقه (٣٦٩) وسطور كل صفحة (١٦) طوله (١٦ س) بعرض (١١) وقطر (٦و٥) وخطه أدق من خطوط الأجزاء القرآنية السابقة . ونقطه بالمداد الأسود للاعجام وبالأحمر للشكل والاعراب .

وفي آخره مكتوب بعد سورة (الناس) بسطر واحد (قوله الحق وله الملك ان الله لا) وبسطر ثان (يخلف الميعاد كتبه المنتظر) وبسطر ثالث (بوعده علي بن الحسين بن علي بن) وبسطر رابع (ابي طالب) .

الخامس

سور من القرآن المجيد وسورة (الحمد والناس وعم) بدون ترتيب وهي بخط ابراهيم بن سلطان بن شاهرخ بن تيمورلنك مكتوبة بقلم الثلث في كل صفحة سبعة سطور سطران في اعلاها وسطر في أسفلها مكتوبة بالمداد الأسود وخمسة الأسطر الوسطى مكتوبة بمداد الذهب على ورق سميك المسمى عند الفرس (بالدوله ابادى) عدد أوراقه (١٦) وطوله (٨٢ س) بعرض (٦٣) وقطر

(٥) وهو مجدول بجداول رائعة وفي آخره شكل مربع وفوقه وتحته دائرتان جميلتان أما الدائرة العليا فمكتوب فيها (لقد جاءكم رسول الآية) وفي الدائرة السفلية [تقرب الفائز بكتابة السفر الكريم من القرآن العظيم بوقفه على الروضة الطاهرة العلوية الموسوية الرضوية بمشهد طوس الى روحه الزكية تقبل الله منه] وفي الوسط مكتوب [كتبه اضعف عباد الله الرحمن ابراهيم بن سلطان ابن شاهرخ بن تيمور كوركان عفى الله عنه في سنة سبع وعشرين وثمانمائة هجرية . اللهم صل على نبي الرحمة وشفيع الأمة محمد وآله الطاهرين وصحبه وسلم] .

السادس

رأينا مصحفاً شريفاً مكتوباً على صفحة من الرّق موضوعة في صندوق طوله (٧٥ س) بعرض (٥٤) أما هذه الصفحة فانها تتقاطع الى ثلاثين دائرة مربعة الشكل مرسومة بمداد الذهب وحواشيها مزخرفة بالجداول الملونة الجميلة وفي كل دائرة سورة من سور القرآن الكريم والقرآن كله مكتوب في دوائر هذه الصفحة الثلاثين وكان يسمى (ميرخسرو المدني) ولم يؤرخ زمن كتابته .

السابع

مصحف شريف جلده من النوع المسمى بالفارسي (زرابي دشت) من أبدع ما رأيت من جلود المصاحف والكتب في هذه المكتبة والمدهش ان هامش كل صفحتين من صفحاته البالغة الـ (٢١٢) صفحة له نقش خاص وكله منقوش بالمداد الذهبي وفي أوله وآخره صفحات مذهبة رقيقة تشبه الأمواج الذهبية التي توجد في نواويس موتى القدماء وبين كل عدد من أوراقه ورقة بيضاء موضوعة حفظاً لرواء خطه ونقشه البديعين وفي أوله وآخره زخارف وجداول من اروع ما رسمته ريشة الرسامين وفي وسط زخارف الصفحة الأخيرة وجدولها دائرة وفي آخرها دائرة بارزتان قليلاً الى الهامش مكتوب في دائرة الوسط [الحمد لله الحميد على اتمام تنميق كلام الله المجيد بيد الراجي الى رحمة ربه المنان السيدجعفر

محمد خان ابن السيد باقر محمد خان الحسيني بحسب ارشاد عين الرشاد خان اعلى شان صاحب السيف والسنان ناشر الجود والاحسان الفياض ابن الفياض ابن الفياض خدايار محمد خان بهادُر ثابت جنك عيامي أدام الله ظلال اقباله وضاعف قدره] ٠

ومكتوب في الدائرة الثانية « ووقف على حرم الرضوى في تاريخ احدى وعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان واربعين ومائة والف من هجرة النبي صلوات الله وسلامه عليه صلاة دائماً مباركاً »

وتاريخ ختم تحريره (تمام القرآن بجميل مدد السبحان) وتاريخ آخر مقتبس من كلام الله (وتمت كلة ربه) وختامه (والحمد لله رب العالمين)

أما اوراقه فمن نوع (بالغ خان) وبين سطور صفحاته من أوله الى آخره منقوش بالمداد الذهبي بنقش واحد وخطه من نوع الخط المعروف بـ (شبه كشمير) وحروفه كبيرة طوله (٣٦) س بعرض (٢٤) س ٠ وقطر (١١) س وجملة القول ان الفكر الفارسي الثاقب واليد الفارسية البارعة تعاونا على افراغه بهذا القالب الفذ وكم للفن الفارسي سواء أكان في الخط الرائع أم في النقش والحفر ودقة الصناعة من أثر بارز في هذه الحضرة وكأنها حلبة من حلبات مسابقة ذوي الفنون بأقصى ما تنفذ فيه قرائحهم وأيديهم أو معرض لما يعرضونه بها من الطرائف والبدائع على الطائفين بها من مختلف الأمصار الاسلامية ٠

يقول العلامة الكاتب الكبير الأستاذ عبد الوهاب عزام في كتابه (رحلات) وقد زار هذه المكتبة في عام زيارتي لها : « زرت المكتبة الرضوية وهي في الصحن الجديد في الطبقة الثانية وقد اطلعت فيها على مصاحف يحار الانسان في مرآها ويعجز عن وصفها ٠ وحدثني قيم المكتبة ان بها آلافاً من المصاحف المخطوطة »

وقد بينا ان عددها خمسة آلاف مصحف كما حدثنا قيم المكتبة وهل في وسع الزائر المحدد مكثه في هذا البلد (شهد) بالأيام والأسابيع ان يستقصيها كلها ويبلغ من وصفها ما يستحقه وصفها ؟

وبعد فهذا وصف ستة مصاحف هو نموذج لما استأثرت به هذه الخزانة من هذا العدد العظيم من كتاب الله الكريم ولعلها أحفل المكاتب الاسلامية بهذه الكنوز وهو ما قصرت الاطلاع عليه وما سمحت لي به الفرصة السانحة وآب اللهاب من صيف هذا البلد الطيب المرهق حره ومراعاة المراسم المتعارفة من تبادل الزيارات بين رجالاته على اختلاف الطبقات وبيننا التي كانت تستغرق شطراً كبيراً من وقتي المحدود الى شؤون اخرى لم تدع لي الا الشطر القليل منه لزيارة المكتبة والاطلاع على بعض مخطوطاتها النادرة ووصفه وما هو الا غيض من فيض ووشل من بحر وها انا أدونه مأخوذاً من مفكراتي اليومية من رحلتي العراقية الايرانية ٠

(١) ديوان حافظ شاعر الفرس المتوفى سنة (٧٩٢ هـ ١٣٨٩ م) عدد صفحاته (٣٤٧) طوله ١٧ س وعرضه ١٢ س وقطره ٢ س سطور كل صفحة ١٢ س مجلد أنفس تجليد مجدول في الوسط بماء الذهب مع تقطيع سواد الجلد بنقوش في الوسط ودوائر شكله المستطيل وهو مكتوب على رق من نوع (الخان بالغ) وأول صفحة من مقدمته مجدول بنقوش بديعة بالمداد الأزرق والذهب ومثلها الصفحة الثانية ثم تنقطع هذه الزخارف ما خلا جداول الصفحات العادية الفاصلة بين الخط والهامش حتى الصفحة الحادية عشرة فترى في الصفحة الثانية عشرة صورتي فتاة وامرأة وقد جدولت حواشيها كالصفحتين الأوليين ورسم ما بينهما صور من الأزهار وغيرها وهكذا تجد مثل ذلك في سبعة مواضع سبع صور أو سبعة مجالس (في مصطلح الفرس) وما فيها من الرسوم وما حواليها من صور النبات والأزهار وجداول لحواشي الديوان وأخرى في صلب الصفحات عند الابتداء بكتابة كل قصيدة من قصائده من أبدع ما أخرجته ريشة المصور الفارسي ٠

أما الكاتب فاسمه درويش عبد المجيد درويش الأستاذ في قلم الشكستة المكتوب به هذا الديوان والنوع الجميل المعروف من الخطوط الفارسية وتاريخ كتابته سنة ١١٧٠

(٢) خواص الأدوية (او الاشجار) عدد أوراقه (٢٨٥) وعدد أشكال النباتات والأشجار (٧٤٧) وصور الانسان والحيوانات (١٤٨) طوله ٤٠ س و ٦ أعشار السانتيم وعرضه ٣٠ س

مؤلفه ديسقوربدس العين زربي [1] (٢٥٣) قبل الميلاد باللغة اليونانية ثم نقل الى السريانية ومنها نقله الى العربية في أوائل المائة السادسة الهجرية سنة ٥١٨ مهران بن منصور بن ميران · واقفه الشاه عباس سنة ١٠١٧

(٣) كتاب مفيد الخاص في علم الخواص لمؤلفه محمد بن زكريا المتوفى سنة ٣٢٠ او سنة ٣٦٤ كما في أخبار الحكماء · وفي طبقات الأطباء سنة نيف وتسعين ومائتين او ثلاثمائة وكسر عدد أوراقه ١٦٩ ! وعدد فصوله ٥٠ طوله ٢٨ س وعرضه ٢٠ س وقطره ٢ س

أول صفحاته مزينة بنقوش من اللون الأزرق والأصفر الذهبي ومجدولة بين الكتابه والهامش بجدول ملون بالأزرق والأصفر وفي وسط هذه الصفحة مكتوب بمداد الذهب بخط كبير الحروف ما هذا نصه : « لخزانة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم السيد المجاهد المؤيد المثاغر المرابط المظفر المنصور الملك الصالح عماد الدين والدنيا ابي الفداء اسماعيل [2] ابن السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر ناصر الدين ابي المعالي محمد ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور قلاوون نصر الله دولة سلطانه وتغمد الدارجين من بيته الشريف برحمته ورضوانه » وبعد هذه الصفحة صفحة تليها تحتها شكلان مستطيلان ويقابلها صفحة على مثالها ومكتوب في الشكل الأعلى من الصفحة الأولى هكذا ! (الجزء الثاني من كتاب) وفي الأعلى من الصفحة الثانية المقابلة لها هكذا (المفيد الخاص في علم الخواص) وفي أسفل الصفحتين الأولى (تأليف الحكيم العالم الفاضل محمد) والثانية وهي الثالثة (ابن زكريا الرازي لملك مازندران)

---

(١) وفي أخبار الحكماء . . ذياسقوريدس العين زربي من أهل عين زربة شامي يوناني حشائشي كان بعد بقراط وفسر من كتبه شيئاً كثيراً .

(٢) المتوفى في تاريخ ابن الوردي سنة ٧٤٦ هـ ١٣٤٥ م ·

وما بين هذين الشكلين المحتويين على اسم المؤلف بيان مواضيع الكتاب ٠ غرائب الخواص وعجائبها وعلم الفراسة ٠ والفلاحة ٠ وسياسة الجوارح وطبها ٠ والخيل والدواب وبيطرتها ٠ والحيوانات وتربيتها ٠ وغرس الرياحين والبقول والأشجار ونوادرها ٠ وصيد السموك والأطيار الى آخر ما في الكتاب من مباحث جليلة ٠

وفي الصفحة الرابعة يبتدئ بالبسملة ثم بعدها بكلمة (بخور) وفي آخر الصفحة تهرب منه الحياة والعقارب وبينها صورة حية وبعض الهوام وصورة فتاة مرتدية ثوباً احمر اكمامه خضر وعلى رأسها شبه اكليل أصفر مذهب وتحمل بيدها مجمرة ٠

وفي الصفحة الخامسة المقابلة لها صور حية وهوام أخرى كالذباب والزنابير والعقارب وصورة فتاة أيضاً مرتدية ثوباً أزرق اكمامه حمر وعلى رأسها تاج أصفر مثل تاج الصورة الأولى وبيدها مجمرة صفراء مثل الأولى وان هذا البخور يطردها ٠ وفي تضاعيف صفحات الكتاب صور اشجار ونباتات وحيوانات وهوام وكل ما يتعرض لذكر خواصه في فصول الكتاب ٠

أما ورق الكتاب فسميك من نوع الورق (الابادي)

(٤) مجموع الغرائب وموضوع الرغائب لمؤلفه العلامة الشيخ ابراهيم الكفعمي اللويزي العاملي[١] عدد اوراقه ١٩٣ عدد سطور كل صفحة ١٩ طوله ٢١ س وعرضه ١٥ س وقطره ٣ س

أما موضوع الكتاب فأدبي على مثال كشكول العلامة البهائي غير منتظمة در فوائده في سمط وهو من الكتب المفيدة الجامعة وقد نقص من أوله اوراق لا يعلم عددها والواقف له هو الشيخ اسد الله بن محمد مؤمن بن خاتون العاملي وهو أحد الكتب الـ (٤٠٠) التي وقفها على هذه المكتبة سنة ١٠٦٧

ورقه متين من نوع الابادي وخطه أقرب الى الرداءة وأغلاطه كثيرة وهذا ما جاء في آخره « وبعد فهذا كتاب محتو على بساتين قد سلكت أنهارها

(١) المتوفى في اواخر المائة التاسعة الهجرية .

وأفانين قد تفتحت ازهارها وقصص هي مخضرة الأغصان وأخبار هي عطر الأردان . وأجوبة ضاحك ثغرها . والغاز فائح نشرها . الى ان قال : وهو كتاب مجموع الغرائب وموضوع الرغائب وهو اسم وافق المسمى . ولفظ طابق المعنى جمعته من كتابنا الكبير الذي ليس له نظير جمعته من الف مصنف ومؤلف .

(٥) ليلى ومجنون

عدد أوراقه ٤٩ سطور كل صفحة ١٢ طوله ١٧ س بعرض ١٠ س وقطره ٣ س

هو قصة شعرية باللغة الفارسية ذات مجالس عشرة (فصول) في كل فصل صورة مشهد من مشاهدها ما بين صور فتيان وفتيات وصور رجال يمتطي بعضهم جواداً ويعتقل رمحاً والصور مزخرفة بأبدع الألوان وبين صور هذه المشاهد فنون من الأزهار .

أما جلد الديوان فجميل جداً وفيه بعض النقوش ، وورقه سميك من نوع الورق المعروف عند الايرانيين بالكشمير لونه ضارب الى الصفرة وخطه من نوع نسخ التعليق وأول صفحة يستوعب شكل مستطيل نحو ثلثها متقاطع بخطوط حمر وصفر تملأ فراغ ما بينها نقوش ذات الوان شتى وهامش هذه الصفحة والتي تليها تزينهما الوان الذهب واللازورد والأرجوان وما بين السطور عرضاً خطوط منحنية وان كانت على سمت واحد منقوشة بماء الذهب . وخط يمتد من بدء الديوان الى الى آخر الصفحة الأولى ومن الصفحة التي تليها طولاً وهو مجموع خطوط ذات الوان وما عدا هاتين الصفحتين الى آخر الديوان فهو مطرز الهوامش بثلاثة خطوط ذهبية اللون وخط واحد عند انتهاء الهامش والفواصل بين قصائد الديوان مزينة بخط عرضي على نحو (سانتمتر) بالألوان الثلاثة الأصفر والأحمر والأزرق وفي وسط كل خط موضوع القصيدة وهو مكتوب تارة بالمداد الأحمر والأخرى بالأبيض وطوراً بالأسود . وفي الصفحة الأولى مكتوب بالمداد الأبيض ماهذا صورته باللغة الفارسية « نسخة زلوجه ازنام خدا » .

أما ناظم الديوان فهو ملا مكتبي الشيرازي المعاصر للخواجه نصير الدين الطومي وكاتبه هو محمد علي الاصفهاني في اصفهان سنة ١٢٣٢ ٠

وقد راجعت فهرست المكتبة فلم أجد به ذكراً لهذا الديوان وانما يذكر بهذا الاسم ديواناً لناظمه الشيخ نظام الدين الكنجوي ولم يرد له ذكر في كشف الظنون مع ذكره طائفة من الشعراء نظموا دواوين باللغات الثلاث ٠

وكأن هذا الديوان أهدي للمكتبة الرضوية بعد تنسيق فهرستها وطبعه ٠

(٦) مجموعة خطوط

تشتمل على اثنتين وثلاثين قطعة من الورق السميك (المقوى) مخطوطة باثنين وثلاثين خطاً ورسماً من أنواع خطوط الشكستة والنسخ والتصوير منها ستة بخط الميرزا احمد التبريزي واثنان وعشرون بخط الدرويش وغيره من المعروفين بجودة الخط واربع قطع منها تصوير المصور اسماعيل النقاش بتاريخ ١٢٧٧ وهذه القطع موصولة ومطوية بشكل الكتاب ملونة الهوامش بالوان مختلفة ومنها ما هو مكتوب من يمين الصفحة الى يسارها بسطور مستقيمة ومنها مكتوب على زوايا المقوى المنحرفة ومنها مكتوب على هذه الصورة متعاكساً من اليمين واليسار ومنها مكتوب بزوايا منحرفة الى آخر المقوى مع حفظ تربيع شكل الصفحة وكلها مجدولة الهوامش وكثير منهـا مزخرف بماء الذهب وكذلك فراغ ما بين السطور ومنها قطع مصبوغة بالأسود والمكتوب فيها باللون الأخضر أو الأبيض وأكثر الهوامش يختلف لون الواحد منها عن الآخر ٠

وبالجملة فان هذه المجموعة لمن النفائس ومما امتازت به اليد الفارسية الرشيقة التي أنزلت عليها الحكمة ٠ وأما الصور الأربع المشتملة عليها هذه القطع الفنية فهي من أبرع ما رسمته يد المصورين ٠

(٧) اسطرلاب

هو دائرة مسطحة من الصفر له غطاء من الصفر متقاطع بخطوط تبين منه

بعض دوائر الاسطرلاب وخطوطه وتحت الغطاء خمسة الواح من الصفر وفي كل لوح منها خطوط الميول وهذه الألواح رقيقة توضع ضمن الدائرة التي تجمع اسماء البلدان غير الايرانية في طرازها والبلدان الايرانية في دائرة صغيرة ضمن هذه الدائرة وفي الوسط دائرة تعرف فيها عروض تلك البلدان وأطوالها في الكرة الأرضية وهي كصحيفة يبرز منها ما تضم تلك الألواح وفي الدائرة الوسطية شكل مثلث وفيه قبضة الدائرة مكتوب في وسطه (وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما)

وللاسطرلاب برغي بصورة جواد يضم أشتات الألواح بضغط عارضة نحاسية فوقه من ثقب أعلاه وأسفله .

أما صانع هذا الاسطرلاب فمكتوب اسمه في ضمن دائرة صغيرة بما هذا لفظه (صنعه أقل الطلاب عبد العلي)

وأما عبد العلي هذا فهو بيرجندي من مشاهير رياضيي ايران في عصره توفي سنة ٩٣٤ هـ ١٥٢٧ م .

وله مؤلف بموضوع هذا الاسطرلاب موجود في هذه المكتبة خطه نسخ تعليق عدد أوراقه (١٨) طول (٢٠ س) وخمسة اعشاره وعرضه (١٠ س) وستة اعشاره الفه باسم حبيب الله خان . اوله (الحمد لله الذي زين سماء الدنيا بزينة الكواكب) وفي آخره (بعد مقعر هرفلك وبدرجات) .

(٨) أخبار البلدان . عدد أوراقه ٢١٢ سطور كل صفحة (١٩) وطوله ٢٠ س وثلاثة اعشاره وعرضه ١٠ س وثمانية أعشار السانتيم .

اما مؤلفه فهو احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني [1] المعروف بابن الفقيه المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ٩٤٥ م .

---

(١) ترجم له صاحب معجم الأدباء وقال : ذكره محمد بن اسحاق في كتابه الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال : وله كتاب البلدان نحو الف ورقة . أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني وكتاب ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين .

والكتاب مكتوب بقلم نسخي متوسط ثخين الورق وهو يشتمل على اسماء البلدان وخططها وما ورد فيها من مدح وذم اوله «الحمد لله رب العالمين وآخره تم الكتاب بحمد الله تعالى الى هنا تأليف احمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني المعروف بابن الفقيه» أما تاريخ كتابته فمفقود لفقدان أوراق في آخره ويظهر عليه أثر القدم وقد نقلت منه عشرين صفحة .

وواقفه الشيخ اسد الله بن محمد مؤمن الخاتوني العاملي سنة ١٠٦٧ وهو من جملة كتبه الـ (٤٠٠) الموقوفة على هذه المكتبة .

(٩) مجموعة أشعار

عدد أوراقها (٢٦٧) طول (٣٠ س) وثلاثة اعشاره وعرض (٢٠ س) واربعة اعشاره . مرتبة على الحروف الهجائية والمفقود منها أكثرها والموجود من حرف اللام من (لو) (لو لم اهم الي وجهكم) الى (كيلا ولا عدداً لو عاش اعمارا) كما فقد قسم من حرف الياء من آخرها . وفي كل صفحة عشرة سطور وخطها من نوع النسخ وجامعها ناسخها وتاريخ نسخها كل اولئك مجهول .

وهي مكتوبة بشكل السفينة ويسمى بالفارسي بياضان وورقها من نوع (الابادي) والشعر المختار من شعر مشاهير شعراء الاسلام وهو لا يتجاوز البيت والبيتين في موضوع الحكم والأمثال ويظهر ان مؤلفها شاعر مجيد ومن شعره :

مال يخلفه للضد صاحبه خير له من سؤال الناس والطلب

أما أبيات الشعر فمكتوبة في الوسط وفي الهوامش اسماء الشعراء وموارد مضرب الأمثال .

والظاهر ان هذا المجموع كما يظهر من خزانه الأدب ج ١ ص ٣٩٦ هو كتاب الآداب لمؤلفه القاضي ابي القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد ابي الفضل جعفر السعدي المصري المعروف بابن سناء الملك الشاعر المعروف المتوفى سنة ٦٠٨ هـ ١٢١١ م .

قال في الخزانة : ولا أعلم قائل هذين البيتين (وهما :

عليك بأوساط الأمور فإنها طريق الى نهج الصواب قويم
ولا تك فيها مفرطاً او مفرطاً كلا طرفي قصد الأمور ذميم)

ولا رأيتهما الا في كتاب العباب في شرح أبيات الآداب وكتاب الآداب تأليف ابن سناء الملك ابن شمس الخلافة [1] وهو من كتب الأدب . وقد اشتمل على أبيات ومصاريع كثيرة لغالب الشعراء المتقدمين والمتأخرين تنيف على الفي بيت وقد نسب كل بيت ومصراع فيه الى قائله مع تتمة الشعر حسن بن صالح العدوي اليمني وسمى تأليفه العباب في شرح أبيات الآداب .

(١٠) كنز الفوائد

عدد أوراقه (٢٥٢) سطور الصفحة (١٩) طوله (٢٠) س وعرضه (١٠) س وثلاثة اعشار السانتيم وواقفه الشيخ أسد الله بن محمد مؤمن بن خاتون العاملي العيناثي

ومؤلفه ابو الفتح محمد بن عثمان الكراجكي المتوفى ٤٤٩ هـ ١٠٥٧ م وهو من فقهاء الامامية ومتكلميهم معاصر للشريف المرتضى طوف في البلاد وخاصة البلاد الشامية فزار طرابلس في عصر قضاتها بني عمار وصيداء وصور ومن فلسطين (الرملة) ومصر ومنها تنيس وله مؤلفات ورسائل باسماء بعض الامراء وغيرهم في الكلام والفقه والتفسير وجواب مسائل . أما كَراجُك البلد المنسوب اليه فيقول في مراصد الاطلاع بالفتح والجيم المضمومة قرية على باب واسط .

وهذا الكتاب من كتب الأمالي يشتمل على فوائد في الكلام والتفسير والفقه والحديث والأدب واللغة والأخبار والمناظرات والأجوبة على مسائل في مختلف العلوم

وهو جزآن بمجلد واحد وخطه نسخي وورقه اصفر من نوع الأبادي .

قال كاتبه في خاتمة الجزء الأول : ووافق الفراغ من تعليقه يوم السبت سابع عشر من شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وستمائة علقه وما بعده العبد

(١) وقال العلامة السيوطي في الجزء الثاني من حسن المحاضرة : السيد ابو القاسم هبة الله ابن الرشيد جعفر بن سناء الملك المصري الشاعر المشهور وانك لترى شيئاً من الاختلاف في القاب ابيه .

الفقير الى الله تعالى جعفر بن محمد بن سويد عفا الله عنه وعن والديه وعن المؤمنين آمين رب العالمين ·

والجزء الثاني كالأول خطاً وورقاً وحجماً وناسخه ناسخ الأول ·

(١١) الدرة النضيدة شرح الأبحاث المفيدة عدد أوراقها (٤٩) وسطور كل صفحة (٣٠) وطولها (٢٠ س) بعرض (١٠ س) وعشر خطها نسخي والواقف الشيخ اسد الله الخاتوني العاملي العيناثي سنة ١٠٦٧

رسالة في أصول الدين · الأصل للعلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٧ هـ ١٣٢٦ م والشرح كما هو على ظاهر الصفحة الأولى « تصنيف الشيخ الامام الفاضل الكامل بقية السلف عين أعيان الزمان عز الملة والدين حسن بن ناصر الدين الحداد العاملي » وعلى الحاشية على ظهر هذه الصفحة صورة ما كتبه المصنف على النسخة

ابتدأت في تصنيفه ثامن عشري شعبان وفرغت في رابع عشري رمضان فكان مجموع المدة ستة وعشرين يوماً وذلك في الحلة ·

أوله بعد البسملة « الحمد لله القادر القاهر العزيز الجبار المتكبر المتجبر الحليم الغفار » ينتهي الكتاب ببحث المعاد وقد فقد منه ·

وفي فهرست المكتبة في الجزء الأول ينسبه للشيخ ناصر بن ابراهيم الاحسائي العاملي ويؤرخ كتابة الكتاب ووفاة مصنفه في سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م)

أما نسبته للاحساء فلبلده والجبل عامل فلاقامته فيه لطلب العلم يوم كانت الرحلة اليه من مختلف الأمصار ومدارس جبع ومشغرة والنبطية وميس وعيناثا عامرة مكتظة بطلاب العلوم وكبار المدرسين ·

(١٢) الاشتقاق عدد اوراقه (١١) وعدد سطور كل صفحة (١٧) وطوله (٢٠ س) بعرض (١٠ س) وستة اجزائه وخطه من نوع النسخ وورقه أصفر ولم يؤرخ زمن كتابته والواقف نادرشاه المقتول سنة ١١٦٠ هـ ١٧٤٧ م والمدفون

في (مشهد) ضمن بناية فخمة امامها بناية متخذة مركزاً للشرطة (النظمية) ووراءها الى الشمال بناية فيها مكتبة عامة تسمى بالنادرية ٠

أما موضوع الكتاب فهو اعلام منقولة للآدميين وغير الآدميين من الفاظ استعملت لغير العلمية ومؤلفه ورواته تتبين اسماؤهم من بدايته وهي :

قرأت على ابي خليفة [١] قال قرأت على ابي محمد التوزي [٢] وابي عثمان المازني [٣] وابي الفضل الرياشي [٤] قالوا : قال الأصمعي [٥] الهيصم (الخ) وينتهي بكلمة الأنادر البيادر ٠

وورد ذكر لهذا الكتاب في فهرست ابن النديم وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ولم يذكره ملا كاتب چلبي في كشف الظنون ٠

وقد استنسخته وهو لا يخلو من بعض الأغلاط ومن طموس بعض كلماته وبعد عودتي من ايران ومراجعة أمهات الكتب اللغوية علقت عليه تعليقات ربما تزيد عليه ولعلي أنشرها في مجلة المجمع مع الأصل ان ساعدني القدر ٠

(١٣) مختصر المعرب

عدد أوراقه (٣٦) وسطور كل صفحة (١٧) وطوله (٢٠ س) بعرض (١٠) وثلاثة اعشاره واقفه ملا موسى ٠

أما المعرب او المعربات فهو تأليف ابي منصور موهوب بن احمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ١٠٧٣ م وقد طبع بتحقيق العلامة احمد محمد شاكر طبعة جيدة سنة (١٣٦١ هـ) وقدم له مقدمة جيدة مفيدة المجانة الأستاذ عبد الوهاب عزام ولم نجد ذكراً لهذا المختصر لا في مقدمة عزام ولا في مقدمة شاكر للكتاب

(١) المتوفى بالبصرة سنة ٣٠٥ هـ ٩١٧ م

(٢) المتوفى ٢٣٨ هـ ٨٥٢ م

(٣) المتوفى سنة ١٩ و ١٨ و ٣٠ ومائتين

(٤) قتله الزنج بالبصرة وهو قائم يصلي الضحى في مسجده سنة ٢٥٧ هـ ٨٧٠ م

(٥) المتوفى سنة ٠٦ و ١٤ او ١٧ ومائتين بالبصرة

ولا في كشف الظنون وعلى ظهر هذه النسخة مكتوب (اختصار الامام الأوحد ابي علي الحسن بن علي بن ابي بكر الغوري) .

وفي آخرها (نقلته من نسخة مكتوب آخرها على ذلك أفقر عباد الله وأحوجهم الى رحمة الله عمر بن عبد العزيز بن عبد الله القرشي الفارقي عفا الله عنه بمنه وكرمه آمين) .

وأولها بهذا الخط (كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ونطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول (ﷺ) تأليف الامام العالم ابي منصور ابن احمد بن محمد بن الخضر عرف بابن الجواليقي رحمه الله تعالى) وكذا بعد البسملة والحمدلة « قال الامام ابو منصور الخ . » هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي . وهذه النسخة المنقولة منها مقروءة على حافظ الاسلام جمال الدين المزني في سبعة مجالس ويصلح فيها أشياء بمواضع وصورة التبليغ في هوامشها . بلغ قراءة وبحثاً على شيخنا ابي الحجاج المزني . وفي آخرها قرأت جميع هذا الكتاب على شيخ الاسلام الحافظ الحجة جمال الدين بن الحجاج المزني قراءة تدبر وتفهم ولله الحمد في مجالس آخرها سادس عشر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة بدار الحديث الأشرفية بدمشق المحروسة .

وكتب محمد بن عبد القاهر بن عبد اللطيف بن عمر بن امين الدين الحنفي الحلبي غفر الله لهم وللمسلمين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

انتهى ما رأيته مكتوباً في آخر الأصل من النسخة وبخطه على الحاشية بازاء هذا الكتاب الظاهر انه مختصر من كتاب الجواليقي لا له فان الأصل الذي نقل منه هذا الكتاب هو بخط الحسن بن علي فان كثيراً ما يذكر فيه قال شيخنا ابن مالك وهذا الحسن وقع الى حلب سنة ١٠٠٨

هذا ما رأيته مكتوباً على النسخة نقلته بحرفه ونصه كما استنسختها وأولها الحمد لله رب العالمين على ما هدانا وآخرها ياهيا شراهيا

(١٤) ورأيت في مجموعة من مجاميع هذه المكتبة صورة كتابين من الامام الشيخ زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي المتوفى قتلاً سنة ٩٦٦ هـ ١٥٥٩ م لبعض علماء (مشهد) توصية بالعالم الشاعر الشيخ محمد الحياني العاملي نسبة الى قرية (بني حيان) من قرى جنوب جبل عامل قرب (بنت جبيل) .

ولولا هذان الكتابان لم نبين عصر هذا الشاعر الذي لم يترجم له صاحب (أمل الآمل) الذي ألفه صاحبه في (مشهد خراسان) .

وهناك طائفة من الكتب الخطية النادرة ومنها غير قليل لفريق من العلماء العامليين وغيرهم لم يتسع لنا الوقت لوصفها ولعل فيما وصفناه مما اطلعنا عليه في أنات متقطعة التدليل الكافي على ما تحويه هذه المكتبة من الكنوز العلمية وعلى حرص اخواننا الايرانيين على آثار الأجداد الخالدة جزاهم الله خيراً .

النبطية ـ جبل عاملة ـ لبنان — سليمان ظاهر



الأونسكو

برنامجه وآماله

بقلم السيد جوليان هوكسلي (المدير العام للاونسكو)

يتميز عصرنا الحاضر بامتداد أفق التربية والتعليم، ووصول طوائف اجتماعية جديدة اليها . وهذه ظاهرة تاريخية ذات أهمية بالغة، ولن تعدم أن يكون لها نتائج عميقة الأثر في حقل التعاون العقلي بين الشعوب . ولقد شعر رجال الأونسكو بهذه الظاهرة أتم الشعور . وهم عازمون على الاستفادة منها أكبر استفادة ممكنة، اذ أن هذه المنظمة تطمح الى توسيع هذا التعاون، وتطلب مساهمة كل العناصر الاجتماعية فيه، من غير ان تقلل من أهمية التعاون بين أفراد النخبة المفكرة . ولهذا نراها تهتم أكبر الاهتمام بوسائل نشر الفكر الحديث كلها : من صحافة الى مذياع، الى خيالة .

ولنقل الآن كلمتين حول دورة الأونسكو العامة التي انعقدت في مكسيكو من اليوم السادس من تشرين الثاني الى اليوم الثالث من كانون الأول الماضي . واجتمع فيها زهاء خمسمائة عضو من المربين والصحافيين والفلاسفة والعلماء والشعراء والسياسيين .

كان هذا الاجتماع أول اجتماع للأونسكو في أمريكا اللاتينية . ولقد وجدنا في العالم الجديد، ذات الروح التعاونية، التي كنا نحملها اليه . وكان استقبالنا حافلاً، لا من أعضاء الحكومة فحسب، بل من الشعب كله الذي كان يرى في الأونسكو أملاً في السلام . ورمزاً للتقدم الاجتماعي والثقافي .

ولقد أتاح اجتماع مكسيكو فرصة لالتقاء رجال من نزعات عقلية وروحية مختلفة أكبر الاختلاف، جاءوا اليه من القارات الخمس، واجتمعوا في سبيل

الدفاع عن الثروة الفكرية الانسانية ، والعمل لاغنائها ، وكانت الفرصة مناسبة لتوحيد الجهود في خدمة التعاون الدولي ، عن طريق عمل محسوس .

وليس من باب المصادفة أن تكون الثقافة محور الالتقاء ، ونقطة التفاهم في هذا العالم المغمور بالاضطراب وفقدان الثقة . ولكنّ على الاونسكو أن يغتنم هذه الفرصة ، وأن يستثمرها أحسن استثمار . ونحن عقدنا العزم على اغتنام الفرصة ، والسير بها الى النهاية . يبرهن على ذلك برنامج عملنا لعام ١٩٤٨ . ففي تشعب مراميه ، والمساهمات التي يقتضيها من جانب الأمم المختلفة ، ما يوضح عزمنا على خدمة مثلنا الأعلى الجريء ، بطريقة واضحة ، مطابقة لمقتضيات مدنيتنا الحاضرة .

ولقد أسفر اجتماع مكسيكو عن تحديد ميزانية المنظمة لعام ١٩٤٨ ، وتعيين برنامج العمل ، وقبول ثلاث دول جديدة كأعضاء ، عدا سويسرا . وهذه الدول واقعة في قلب أوروبا ، وهي ايطاليا والنمسا والمجر .

وهنالك شيء هام ، أحب أن أشير اليه ، وهو الدور الذي طلبت المنظمة من أعضائها القيام به في تنفيذ برنامجها . وذلك عن طريق لجانها الوطنية ، أو بتعبير آخر ، عن طريق شعوبها بالذات . والاونسكو متأكد من قيمة هذا الدور وأهميته . اذ لا سبيل الى تحقيق أغراض المنظمة إلا عن طريق اقناع الرأي العام ، هذا الرأي الذي لا يمكن التأثير فيه الا بجهد دائم . وعلى ذلك فان مساهمة أعضاء المنظمة (أي الدول الداخلة فيها) هي الشيء الذي يعتمد عليه الاونسكو في تحقيق برنامجه لهذا العام .

ولا أستطيع أن أشرح تفاصيل هذا البرنامج الذي يضم طائفة كبيرة من قضايا التربية والتعليم والثقافة ، في مثل هذا المجال الضيق . ولهذا أقتصر على ذكر بعض الأهداف الرئيسية ، لعلني أستطيع أن أوضح منهاج العمل ، من خلال خطوطه الكبرى .

١ – المساهمة في تثبيت دعائم السلم

وذلك بتنمية التفاهم العالمي ، والتعاون بين المربين والعلماء وممثلي الثقافة .

ويرى الأونسكو أن إعادة الحياة التربوية والعلمية والثقافية الى مجراها الطبيعي ، مهمة من أكبر مهامه . ولكن ذلك لا يعني ان منظمتنا مؤسسة إحسان ومساعدة ، أو نوع من (الاونرا) لأمور التربية . إذ لن تكفي في هذا العمل ملايين الدولارات . وعلى هذان فإن عملنا يقتصر على إحصاء الحاجات ، والدعوة الى التبرع لها ، ومدّها بما يكفيها ، من كل الطرق الحكومية والخاصة الممكنة ، وتوحيد الجهود في هذا السبيل .

ولقد آتى عملنا بعض ثماره : فقمنا بدراسة الأوضاع التربوية في بلاد اثنتي عشرة دولة ، وعرفنا حاجاتها من حسن الناحية ، ووجهت نداءات الى شعوب الولايات المتحدة برعاية الاونسكو ، لمساعدتها فاذا نحن أمام مبلغ يتجاوز المئة مليون دولار ، اذا حسبنا قيمة الأشياء التي قدمت مع الأموال . وذلك كله في عام ١٩٤٦ وهنالك جهود تبتذل وتنتظم في كندا وبريطانيا العظمى واستراليا ، في هذا السبيل . أما الأونسكو فإنه ينسق هذا التعاون العالمي ، ويراه يتسع ويتعاظم استجابة لنداءاته . واننا لننظر بعين الثقة والاطمئنان الى مساهمة سويسرا في هذا الموضوع . هذه الدولة التي عملت كثيراً في هذا المضمار .

ولقد استطعنا أن نعرف ، من ناحية أخرى ، حاجات البلاد التي أصابتها الحرب ، من وجهة الوسائل الفنية ، كالصحافة ، والمذياع ، والسينما . ولقد تقدمت لجنة خبراء ، كان ممثل سويسرا فيها السيد (رونه دوفاس René Dovas) مدير اذاعة جنيف ، باقتراح إنشاء قرض عالمي غايته مدّ البلاد التي قاست من الحرب أسوأ التخريب ، بحاجاتها من هذه الناحية .

وعندما ننتهي من هذا المشروع ، نأمل أن نحصل على مخصصات مالية ، دولية ،

تتيح للبلاد الفقيرة بالقطع النادر، أن تشتري من الخارج الأدوات الفنية والعلمية التي تحتاج اليها، مقابل بعض التسهيلات في الشئون الثقافية، كإنشاء منح دراسية، أو منح للسياحة .

وهكذا نأمل أن نرى المبادلات الثقافية العالمية، بمنجى من ظروف الضغط الاقتصادي والنقدي، التي مازالت تشلها، منذ نهاية الحرب .

والهدف الثاني للأونسكو، هو أن يساعد، بكل الوسائل الممكنة، على إعادة وتقوية الحياة الفكرية الى سابق عهدها، بين الأمم، وذلك بتسهيل انتقال الأفكار والرجال عبر الحدود .

ويريد الأونسكو بمساعدة الدول المنضمة اليه، ان ينشئ مشروعاً واسعاً للمبادلات، بحيث لا يستفيد منه الطلاب والأساتذة فحسب، بل العمال ورجال الصناعة، وممثلو الفنون والآداب أيضاً . ولا شك أن التفاهم الدولي انما يستند، آخر الأمر، الى علاقات صداقية محسوسة تنشأ بين الأفراد . وفي تقارب الناس مدعاة الى تقارب الأفكار . وليس بالامكان أن نقدر أهمية توسع هذه المبادلات بعد هذه الحرب التي قطعت كثيراً من الاتصالات الثمينة بين ممثلي مختلف البلدان، ومختلف الثقافات .

ويجب بعد ذلك أن تحذف — بمعونة السلطات الوطنية والعالمية المختصة — كل العقبات التي تحول دون انتقال الأفكار والأخبار من بلد الى أخرى . وهذه العقبات قد نشأت عن التقنين الاقتصادي، والحواجز المكسية، والتجنيد والرقابة، او عن غير ذلك من الأسباب التي تساهم في عزل الشعوب بعضها عن بعض .

وهنا يبدو الدور الذي يمكن أن تقوم به الصحافة، والإذاعة، والسينما، في التعليق على ما تحققه كل دولة من الدول من أعمال، في قضايا التربية والعلم والثقافة، ووصفه وصفاً حسناً، وذلك عندما توضع هذه الوسائل في خدمة التعاون العالمي .

وسوف يتقدم الأونسكو بمساعدته لكل الدول التي لم تستطع بعد أن تنمي هذه الوسائل الحديثة في نشر الأفكار . ولن يهمل أي وسيلة يمكن استخدامها في الإخبار عن تطور الحياة الثقافية لكل أمة من الأمم . وسوف تنظم مبادلات لمناهج الاذاعة على مقياس واسع ، كما سيشجع انتاج الأشرطة التربوية التي توضح ما يتحقق من تقدم في أمور التربية ، ويؤمن تبادلها بين أجزاء العالم . أما في عالم الصحافة فان الأونسكو سيشجع المختصين على كتابة مقالات قيمة غايتها بيان ما قدمت كل أمة من الأمم للثقافة والفن . ولا يفوتني أن اذكر أن الاونسكو قد خلق مؤسسة دولية للصحافة ، وأن أذكر المساعدة التي يقدمها لمنظمة الأمم المتحدة في سبيل الدعوة الى اجتماع دولي ، يخصص للبحث في حرية نقل الأخبار .

والهدف الثالث للأونسكو هو تعزيز التعاون الدولي في أمور التربية

ويعني ذلك أن الأونسكو سيشجع الدول المنضمة اليه ، والتي لم تبلغ شعوبها الدرجة الثقافية المناسبة ، على بذل الجهود الكافية لتحقيق هذه الغاية . وسوف يقدم لها كل مساعدة ممكنة في سبيل انشاء نظام تعليمي ديمقراطي ، يكون حجر الزاوية فيه الحصول على التعليم الابتدائي الاجباري والمجاني معاً .

وسوف يقوم الاونسكو ، في البلاد التي تطرح فيها المشكلة التربوية بشكل جاد ، بعمل تجريبي في مضمار التربية الأولية الأساسية . ولا تقتصر هذه التربية على مكافحة الأمية فحسب ، بل إنها تشتمل على منهاج تربوي عام ذي وجهة اجتماعية من ناحية ، واقتصادية من ناحية أخرى (كالعناية بالتربية الصحية ، والتربية المهنية ، والزراعية . الخ) . والهدف من هذا المنهاج رفع مستوى المعيشة في الشعوب البدائية ، من كل الوجوه . وسوف تحقق هذه المشاريع التجريبية خلال العام ١٩٤٨ ، بالتعاون مع الدول ذات العلاقة في هاييتي ، وافريقيا البريطانية الشرقية ، والصين ، وأمريكا اللاتينية . وبفضل هذه التجارب ،

يستطيع الأونسكو أن يساهم في إنشاء طرائق تربوية مناسبة لحاجات الشعوب المختلفة ، وملائمة لعقلياتها . وبذلك يستطيع باعتباره مركزاً للاطلاع والتنظيم ان يلعب دوراً هاماً في الحركة التربوية الكبيرة التي تنمو وتتسع في أرجاء هذا العالم .

وسيكمل هذا البرنامج ، ببرنامج آخر ، غايته دعم الوسائل التربوية التي تؤدي الى التفاهم الدولي ، وبمجموعة مشاريع تهدف الى تعزيز التعاون الدولي في ميدان تعليم الكهول ، والتوجيه المسلكي ، والتعليم الجامعي . وسوف نبذل ما يجب من الجهود لخلق مؤسسة عالمية تضم كل الجامعات ، بحيث نستطيع بالتعاون معها أن نحل المشاكل المختلفة ، كمشكلة تعادل الشهادات وغيرها . وسوف تقوم ببحث خاص غايته معرفة الدور الذي تلعبه الجامعة في الحياة الحديثة .

ولقد كانت العلوم الدقيقة والعلوم الطبيعية ، منذ البدء ، موضع اهتمام كبير في أوساط الاونسكو . ولقد تحقق لنا من ذلك شيء ايجابي ، أصبح الاونسكو بفضله مركزاً عالمياً للاتصال العلمي .

وهكذا نرى الأونسكو يمنح لجنة الاتحادات العلمية الدولية ، كل معونة مادية ومعنوية . ولقد أتاحت هذه المعونة لهذه الاتحادات العلمية الدولية أن تنشط من جديد ، وان تتابع عقد مؤتمراتها ، وطبع مذكراتها ، والعناية بأبحاثها .

ولقد أنشئت في الصين ، والشرق الأدنى ، وأمريكا اللاتينية ، مراكز للتعاون العلمي ، غايتها أن تقرب بين علماء هذه البلاد وبين مراكز الفعاليات العلمية الكبيرة ، وأن تتيح لها الحصول على معلومات دقيقة في كل ما يتحقق من تقدم العلوم في البلاد الأخرى .

وسوف ينشأ في البرازيل ، بمعونة الاونسكو وطلبه ، مؤسسة دولية للبحث في منطقة الأحراج الأمازونية ، وتتمتع هذه المؤسسة باهتمام كبير في أمريكا اللاتينية . وسوف تكون أول مثل للتعاون العلمي ، الذي ينشأ بدعوة الأونسكو وبالتعاون مع مؤسسات مختصة أخرى .

وليس المجال متسعاً للتبسط في ذكر تفاصيل منهاج عملنا، فيما يتعلق بالفنون والآداب، والفلسفة والعلوم الاجتماعية .

وأحب أن أذكر، مع ذلك، أن الاونسكو، بعد أن وُفق إلى إنشاء مؤسسة عالمية للمسرح، قد دُعي الى خلق مؤسسة دولية أخرى للموسيقى . والبحث الآن جار في تفاصيل مشروع غايته ترجمة الكتب النفيسة، من أية لغة كانت، الى اللغات الحية الكبرى . وهذا مشروع طلبت الأمم المتحدة البحث فيه . ثم إن هناك بحثاً يهيأ في سبيل معرفة الدور الذي يمكن أن تلعبه الفنون في التربية العامة . وسوف تطبع قريباً نتائج بحث يتعلق بمعرفة وايضاح الأسس الفلسفية لحقوق الانسان . ولقد تم هذا البحث بالتعاون مع لجنة حقوق الانسان التابعة لمنظمة الأمم المتحدة .

* * *

إن هذه اللمحة السريعة، قد أشارت إلى أهم المسائل التي يعني بها الأونسكو ويحاول تحقيقها، كما انها أشارت إلى ما في منهاج العمل من تنوع وغنى؛ إلا أن هذا التنوع لا ينفي وحدة الغاية، إذ الغاية أولاً وأخيراً ضمان السلم وحمايته من الأخطار بتعزيز التعاون في حقول التربية والعلم والثقافة .

وليس من شأننا أن نتعلق بأهداب الوهم : فالأونسكو لا يستطيع أن يفعل العجائب، أو يحدث المعجزات . إذ ان عمله عمل طويل المدى، وهو يقتضي تعاوناً قوياً بين كل هؤلاء الذين لا يسلمون بحتمية الحرب . ويعتقدون أن في وسع الإنسان أن يتغلب على قوى البغضاء والانقسام التي تهدد العالم .

جوليان هوكسلي
المدير العام للأونسكو

المترجم : حافظ الجمالي

الورق أو الكاغد
صناعته في العصور الاسلامية

محتويات البحث :

تمهيد – مواد الكتابة قبل صنع الورق – أوراق البردي (القراطيس) – الجلود والرقوق – الورق (الكاغد) – الورق السمرقندي – انواع الورق – صناعة الورق في العراق – صناعة الورق في بلاد الشام – صناعة الورق في الديار المصرية – صناعة الورق في ديار الغرب والأندلس – صناعة الورق في بلاد فارس – مقادير قطع الورق – المؤلفات القديمة في صناعة الورق – آداب صناعة الورق – ختام البحث .

١ – تمهيد

لا مراء في انّ « الورق » من أهمّ المواد التي ساعدت البشر على السير بخطى واسعة في مضمار العلم والحضارة . فكانت العلوم والآداب ، قبل أن يتوصل الناس الى صنع الورق ، ضيقة النطاق ، محدودة المناحي ، محصورة في طبقة معينة من الناس . ذلك انّ المواد المتخذة للكتابة في تلك العصور الخوالي ، لم تكن مما يسهل استعماله وحمله ولا مما يتيسر اختزانه بالوجه الذي نراه في الورق .

٢ – مواد الكتابة قبل صُنع الورق

وقد اتخذت الأمم القديمة مواد مختلفة لتدوّن فيها ما عندها من علوم وفنون وغير ذلك مما تقتضيه الحياة اليومية .

ومن أقدم المواد التي اتخذها الأقدمون للكتابة « الطين » . فكانوا يصنعونه قوالب ، ويكتبون عليه في حال طراوته ، ثم يجففونه بالشمس أو يطبخونه بالنار .

وقد عثر المنقبون في العراق وفي غيره من بلدان الشرق الأدنى، على عشرات آلاف ألواح الطين، المكتوبة بالخطوط المسمارية، تلك الخطوط التي كُتبت بها جملة لغات قديمة بائدة، كالسومرية والأكدية والآشورية وغيرها.

ومن تلك المواد: «الحجر». وهو مادة أقوى من الطين على البقاء، غير انها أثقل وزناً. وكلتا هاتين المادتين، أعني الطين والحجر، لا يمكن الاكثار منها، لصعوبة حملها ولضخامة حجمها.

وهنالك من المواد الأخرى، شيء كثير يتعذّر حصره. فقد وصف أبو الريحان البيروني (المتوفى سنة ٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م) ما كان يتخذه أهل الهند القدماء لكتابتهم، قال: «فالهند، أما في بلادهم الجنوبية، فلهم شجر باسق كالنخل والنارجيل، ذو ثمر يؤكل وأوراق في طول ذراع وعرض ثلاث أصابع مضمومة يسمونها تاري، ويكتبون عليها، ويَضُمّ كتابَهم منها خيطٌ ينظِمُها من ثقبةٍ في أوساطها فينفذ في جميعها. وأما في واسطة المملكة وشمالها، فانهم يأخذون من لحاء شجرة التوز الذي يُستعمل نوعٌ منه في أغشية القسيّ ويسمونه بهوج، في طول ذراع وعرض أصابع ممدودة فما دونه، ويعملون به عملاً كالتدهين والصقل يصلُبُ به ويتملس ثم يكتبون عليها، وهي متفرقة يُعرف نظامها بأرقام العدد المتوالي، ويكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب ومشدودة بين لوحين بقدرهما، واسم هذه الكتب پوتي، ورسائلهم وجميع أسبابهم تنفذ في التوز أيضاً»[(١)].

وذكر المسعودي (المتوفى سنة ٣٤٥ هـ — ٩٥٦ م) ضرباً آخر مما كان يُكتب فيه في الهند، وهو «الكاذي». ولم يتحقق عندنا ما إذا كان الكاذي هو «التاري» الذي وصفه البيروني أعلاه. قال المسعودي: «وكان كتابه [كتاب

(١) تاريخ الهند (= تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) للبيروني (ص ٨١، طبعة سخو، ليبسك ١٩٢٥).

ملك الهند الى ملك الفرس كسرى أنو شروان] في لحاء الشجر المعروف بالكاذي ، مكتوب بالذهب الأحمر . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين ، وهو نوع من النبات عجيب ، ذو لون حسن وريح طيبة ، لحاؤه أرقّ من الورق الصيني ، يتكاتب فيه ملوك الصين والهند »[١] .

وقد اختلفت الأمم الغابرة في المواد التي اتخذتها للكتابة عليها ، وهي مواد ، مهما قيل في بقائها على مرّ السنين ، فانها من وجهة عملية لا يمكن اتخاذها على الدوام ، لقلتها وثقلها وكبر حجمها على ما بيناه سابقاً . فلا غرو أن يكون عمرها — مهما طال — قصيراً محدوداً . قال ابن النديم (المائة الرابعة للهجرة) :
« ... ثم كتبت الأمم بعد ذلك برهةً من الزمان في النحاس والحجارة للخلود ...[٢] وكتبوا في الخشب وورق الشجر ... وكتبوا في التوز الذي يعلى به القسي أيضاً للخلود ... ثم دُبغت الجلود فكتبت الناس فيها . وكتب أهل مصر في القرطاس المصري ، ويُعمل من قصب البردي ... والروم تكتب في الحرير الأبيض[٣] والرَّقّ وغيره وفي الطومار[٤] المصري وفي الفلجان وهو جلود الحمير الوحشية . وكانت الفرس تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم . والعرب تكتب في أكتاف الإبل واللخاف وهي الحجارة الرِقاق البيض وفي العسب عسب النخل . والصين في الورق الصيني ويُعمل من الحشيش وهو أكثر ارتفاع البلد . والهند في النحاس والحجار وفي الحرير الأبيض »[٥] .

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٢٠٢) طبعة باريس .
(٢) نضع نقطاً (...) في مواضع الحذف .
(٣) جاء في تاج العروس (٧ : ٩٥) ، ان « المُهْرَق : ثوب حرير ابيض يُسقى الصمغ ويُصقل ويُكتب فيه . وفي شرح معلّقة الحرث بن حلزّة : كانوا يكتبون فيها قبل القراطيس بالعراق » .
(٤) الطومار : الصحيفة أو الورقة . وهي لفظة دخيلة يونانية الأصل .
(٥) الفهرست لابن النديم (ص ٢١ طبعة طوجل ليبسك = ص ٣١ — ٣٢ طبعة مصر) .

وقد أورد القلقشندي (المتوفى سنة ٨٢١ هـ — ١٤١٨ م) كلاماً شبيهاً بما أثبتناه أعلاه ، اكتفينا بالتنويه به [١] .

لقد خطا البشر خطوة واسعة في تحسين مواد الكتابة ، حين أخذوا يكتبون على أوراق البردي (Papyrus) ولنقل كلمة في هذا الموضوع ، نظراً الى ان أوراق البردي كانت فتحاً جديداً في مواد الكتابه .

٣ — اوراق البردي ـ القراطيس

عُني غير واحدٍ من الباحثين المستشرقين بدراسة أوراق البردي وكيفية صنعها . قال ألفرد بتلر : « كان في مصر السفلى ، عدد عظيم من غياضٍ فسيحة تنبت البردي ، ذلك النبات الطويل الحسن . وكان الورق يُتخذ من لبابه ، يشقّ شرائح تُجعل منها صحائف بالضغط ، ثم تُصقل بآلة من العاج . وكانت الصحائف بعد ذلك يُوصَل بعضها ببعض ، فتكون لفائف يسهل استعمالها . وكانت مقادير عظيمة من البردي تصدر من مصر من مرمى الاسكندرية المزدحمة . ولسنا ندري متى ضعف أمر هذه التجارة ولا الأسباب التي أدّت الى القضاء على هذا النبات في مصر » [٢] .

فكانت مصر ، البلد الذي يمدّ سائر الأقطار بأوراق البردي ، منها تُنقل الى بلاد الروم [٣] والى غيرها من الجهات .

وأوراق البردي كانت تُعرف في كثير من المراجع القديمة باسم « القراطيس » ، فذكر السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ — ١٥٠٥ م) ، انّ من خصائص مصر : « القراطيس ، وهي الطوامير . وهي أحسن ما كُتب فيه . وهو من حشيش أرض مصر ، ويُعمل طوله : ثلاثون ذراعاً وأكثر في عرض شبر » [٤] .

---

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٥ — ٤٧٦) ، وضوء الصبح المسفر (١ : ١٢) .

(٢) فتح العرب لمصر (ص ٩٥ من الترجمة العربية لمحمد فريد أبو حديد) .

(٣) فتوح البلدان للبلاذري (ص ٢٤٠ طبعة دي غويه ، ليدن ١٨٦٦) .

(٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (٢ : ١٧٣ ، القاهرة ١٣٢٧ هـ) .

والى قراطيس مصر ، أشار بعض الشعراء :

حملت اليك عروس الثناء على هودج ماله من بعير
على هودج من قراطيس مصـ ـر يلين على الطي لين الحرير [(١)]

وأشار ابن حوقل الى وجود البردي في جزيرة صقلية ، وابن حوقل من أشهر البلدانيين العرب في المائة الرابعة للهجرة ، قال : « وفي خلال أراضيها بقاع قد غلب عليها البربير ، وهو البردي المعمول منه الطوامير ، ولا أعلم لما بمصر من هذا البربير نظيراً على وجه الأرض ، إلا ما بصقلية منه ، وأكثره يفتل حبالاً لمرامي المراكب ، وأقله يعمل للسلطان منه طوامير القراطيس ، ولن يزيد على قلة كفايته » [(٢)] .

ونوّه البيروني بورق البردي في قوله : « إن القرطاس معمول بمصر من لب البردي يبرى في لحمه ، وعليه صدرت كتب الخلفاء الى قريب من زماننا ، إذ ليس ينقاد لحك شيء منه وتغييره بل يفسد به » [(٣)] .

و « القراطيس » ، واحدها « القرطاس » ، وقد ورد كلاهما في القرآن الكريم [(٤)] . وعدّه بعض اللغويين من الألفاظ الدخيلة . قال الجواليقي : « والقرطاس (بضم القاف وكسرها) ، قد تكلموا به قديماً [(٥)] . ويقال ان أصله غير عربي » [(٦)] .

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ص ٤٢١ ، القاهرة ١٩٠٨) .
(٢) صورة الأرض لابن حوقل (١ : ١٢٢ — ١٢٣ طبعة كريمرز ، ليدن ١٩٣٨) .
(٣) تاريخ الهند للبيروني (ص ٨١) .
(٤) سورة الأنعام (الآية ٦ و ٩٠) .
(٥) نقل الصولي كثيراً من الأقوال القديمة الواردة في القرطاس . (انظر : أدب الكتاب . ص ١٠٥ — ١٠٦ ، القاهرة ١٣٤١ هـ) .
(٦) المعرّب للجواليقي (ص ٢٧٦ بتحقيق أحمد محمد شاكر) ، وانظر : شفاء الغليل للخفاجي (ص ١٨٠ ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٢٨٢ هـ) .

قلنا : واللفظة من اليونانية (Chartes) ومعناه ما يكتب فيه ، ويقابله في العربية ورقة وصحيفة [١] .

اتخذ المسلمون أوراق البردي للكتابة عليها في أوائل عصور تاريخهم . ولقد عُثر في المائة سنة الأخيرة ، على جملة صالحة من أوراق البردي العربية ، كُشف عليها في مصر . وقد أماطت اللثام بنصوصها الثمينة عن كثير مما يتعلق بالادارة الاسلامية للقطر المصري [٢] .

وممن عُني من المستشرقين بدراسة أوراق البردي العربية ، كراباسك (J. Karabacek) وبكر (C. H. Becker) وغيرهما . ولعلّ أعظم المتوغلين في هذا الموضوع في عصرنا ، هو العلامة جروهمان (A. Grohmann) الذي درس ونشر جملةً من أوراق البردي العربية المحفوظة في ڤينّة والقاهرة [٣] وغيرهما .

* * *

ظل استعمال القراطيس قائماً في العراق مدة طويلة بعد الفتح الاسلامي . فذكر ابن عبدوس الجهشياري (المتوفى سنة ٣٣١ هـ — ٩٤٢ م) ، انّ الخليفة أبا جعفر المنصور ، باني مدينة بغداد « وقف على كثرة القراطيس في خزائنه ، فدعا بصالح ، صاحب المصلى ، فقال له : إني أمرتُ باخراج حاصل القراطيس في خزائننا ، فوجدته شيئاً كثيراً جداً ، فتولَّ بيعه ، وإن لم تُعطَ بكل طومار إلا دانقاً [٤] ، فان تحصيل ثمنه أصلح منه . قال صالح : وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم ، فانصرفتُ من حضرته على هذا . فلما كان في الغد ،

(١) انظر : Dozy , Supplément aux Dictionnaires Arabes . (Vol . 2 , p. 331 ; وتفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية للقس طوبيا العنيسي (ص ٥٥ ، بالقاهرة ١٩٣٢) .

(٢) محاضرات عن الأوراق البردية العربية لجروهمان وتعريب توفيق اسكاروس (مطبعة دار الكتب ، ١٩٣٠) .

(٣) Grohmann, Arabic Papyri in the Egyptian Library . ; 3 vols . , Cairo , (1934 - 38) والمجلد الأول منه ، نقله مؤلفه الى العربية ، باشتراك الدكتور حسن ابراهيم حسن (القاهرة ١٩٣٤) .

(٤) الدانق ، سدس الدرهم .

دعاني ، فدخلتُ عليه ، فقال لي : فكرتُ في كتبنا ، وانها قد جرت في القراطيس ، وليس يُؤمَن حادث بمصر ، فتنقطع القراطيس عنا بسببه ، فنحتاج الى أن نكتب فيما لم نعوّده عمالنا . فدع القراطيس استظهاراً على حالها . ولهذه العلة كانت الفرس تكتب في الجلود والرقّ ، وتقول : لا نكتب في شيء ليس من بلادنا » [١] .

وقد كان في الجانب الغربي من بغداد ، أعني في الكرخ ، درب يُعرف بدرب القراطيس ، أو درب أصحاب القراطيس ، ذكره غير واحد من الكتبة الأقدمين ، كالجاحظ [٢] والطبري [٣] والخطيب البغدادي [٤] وعمرو بن متى [٥] وماري بن سليمان [٦] وغيرهم . ولم يشيروا إلى هل كانت القراطيس تُصنع في هذا الدرب ، أم كانت تُباع فيه ؟

وذكر ابوسعد السمعاني (المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ـ ١١٦٦م) في مادة «القَراطيسي» ، ان «هذه النسبة الى عمل القراطيس وبيعها» [٧] . ثم ذكر غير واحدٍ ممن عُرف بهذه النسبة ، وأغلبهم من بغداد أو ممن قدم اليها . فلعل نسبتهم جاءت من سكناهم درب القراطيس ، أو من صنعهم أو بيعهم القراطيس ذاتها .

وأورد الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠ م) ، تراجم سبعة رجال عُرف كل منهم بـ « القراطيسي » . وأمرهم أمر مَن ذكرهم السمعاني في استبهام نسبتهم ، إذ انّ الخطيب لم يُفصح عن ذلك في تراجمهم المقتضبة [٨] .

(١) الوزراء والكتّاب للجهشياري (ص ١٣٨ طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٨) .
(٢) المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ (ص ٣٣٦ و٣٣٧ طبعة فان فلوتن ، ليدن ١٨٩٨).
(٣) تاريخ الطبري (٣ : ٩٩٩ طبعة دي غويه) .
(٤) تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي (٩ : ٨٦) .
(٥) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص ١١٩ طبعة جسمندي . رومية ١٨٩٦) .
(٦) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان (ص ٨٥ طبعة جسمندي . رومية ١٨٩٩) .
(٧) الأنساب للسمعاني (وجه الورقة ٤٤٥ طبعة مرجليوث ، ليدن ١٩١٢) .
(٨) تاريخ بغداد للخطيب (٢:٩١ ، ٤:٤٣٠ ، ١١:٢٣٣ ، ١٢:٣ و١٥١ ، ١٣:٤٥).

وقد انتقلت صناعة القراطيس الى مدينة سامراء في أيام المعتصم . فذكر اليعقوبي (المتوفى في أواخر المائة الثالثة للهجرة)، ان المعتصم، حين ابتنى مدينة سامراء، أقدم جماعات من أرباب المِهَن والصنائع، لتعمر بهم مدينته، ومن جملتهم انه «حمل قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس، فعملوها، فلم يأتِ في تلك الجودة»[1] .

٤ – الجلود والرقوق[2]

ولم تقصر مواد الكتابة على ما ذكرنا، بل اتخذ الناس من جلود الحيوان مادةً حسنة للكتابة، تعيش دهراً طويلاً قبل ان ينالها البلى .

وبعض الجلود الخفيفة، اذا خُدمت بالدباغة والصقل، كان منها الرقوق النفيسة التي يُعدّ بعضها آية في الصناعة، لجماله وخفته ولينه .

لقد كانت الرقوق مستعملةً قبل الاسلام، ثم اتخذت في صدر الاسلام، بيد ان ثمنها العالي حدّد من استعمالها وحصره في نُسخ القرآن والوثائق الرسمية والعقود وغير ذلك . قال البيروني في معرض كلامه على مواد الكتابة عند الأقدمين: «وليس للهند عادة بالكتابة على الجلود كاليونانيين في القديم . فقد قال سقراط حين سُئل عن تركه تصنيف الكتب: لستُ بناقلٍ للعلم من قلوب البشر الحية الى جلود الضأن الميتة . وكذلك كانوا في أوائل الاسلام يكتبون على الأُدُم، كعهد الخيبريين من اليهود، وككتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى، وكما كُتبت مصاحف القرآن في جلود الظباء والتوراة تكتب فيها أيضاً»[3] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٢ : ٥٧٧ طبعة هوتسما، ليدن ١٨٨٣)، والبلدان لليعقوبي (ص ٢٦٤ طبعة دي غويه، ليدن ١٨٩٢) .

(٢) من أنفس ما قرأناه في هذا الباب، مقال للأستاذ المحقق الكبير حبيب زيات، عنوانه «الجلود والرقوق والطروس في الاسلام» (مجلة «الكتاب» يولية ١٩٤٧، ص ١٣٥٨ – ١٣٦٦) وقد أغنانا هذا البحث عن الاطالة فيه ها هنا .

(٣) تاريخ الهند للبيروني (ص ٨١) .

وما زال في كثير من خزائن الكتب في بلدان الشرق والغرب ، أسفار مختلفة مكتوبة على الرقوق ، باليونانية واللاتينية والإرمية والعبرية والعربية وغيرها من اللغات .

٥ — الوَرَق — الكاغَد

« الكاغد » ، بفتح الغين ، لفظ فارسي [1] ، و « الكاغذ » بالذال المعجمة لغة فيه ، ولعل الكلمة من أصل صيني . وقد ورد ذكر « الورق » و « الكاغد » أو « الكاغذ » ، مراراً لا تُعد ولا تُحصى في المراجع العربية القديمة . بيد ان كيفية صنعه ، والمواد التي يُصنع منها ، والأقيام التي كان يقوم بها ، كل ذلك أمور قل ان تحفل بها مؤلفات الأقدمين . وغاية ما في الأمر ، إشارات وتلميحات خاطفة ، يمكن من جمع بعضها الى بعض أن يقوم موضوع دراسة للورق في العصور الاسلامية .

وحينما توصَّل الناس الى صُنع الورق ، ورأوا منه مادةً خفيفة لينة ، سهلة الحمل والنقل ، لا تتطلب حيزاً كبيراً ، أكثروا منه إكثاراً عظيماً ، جعل من الكتب أضعافاً مضاعفة .

٦ — الوَرَق السمرقنديّ

والمشهور في التاريخ ، ان أهل الصين كانوا أول مَن عرف صناعة الورق . وكان « الورق الصيني » يستورده التجار العرب الذين كانوا على اتصال تجاري قديم ببلاد الشرق الأقصى .

ولكن بدء صنع الورق في العالم الاسلامي ، كان من نتائج بعض الحروب . وأول مدينة اسلامية صُنع فيها الورق ، كانت سمرقند ، التي فتحها العرب سنة ٨٧ للهجرة (٧٠٤ م) . وسمرقند من أشهر مدن ما وراء النهر وأجلّها شأناً .

قال الثعالبي (وفاته سنة ٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) في كلامه على ما يُضاف الى

(١) الألفاظ الفارسية المعربة لأدّى شير (ص ١٣٦ ، بيروت ١٩٠٨) .

البلدان والأماكن من فنونٍ شتى، انَّ «كواغد سمرقند: هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها، لأنها أنعم وأحسن وأرفق، ولا تكون إلا بسمرقند والصين. وذكر صاحب المسالك والممالك، انه وقع من الصين الى سمرقند في سبيٍ سباه زياد بن صالح، في وقعة أطلخ، مَن يصنع الكواغيد، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند، فعمَّ خبرها والارتفاق بها جميع البلدان في الآفاق»[1].

فهذه الواقعة، التي جرت بين العرب بقيادة زياد بن صالح، وبين أمراء الترك وحلفائهم الصينيين كانت على ضفاف نهر طراز سنة ١٣٤ هـ (٧٥١ م)، وقد أشارت اليها المراجع العربية ومثلها الصينية. فهؤلاء الأسرى الصينيون الذين جيء بهم الى سمرقند لا بدَّ ان يكونوا قد أُسروا في تلك الحادثة.

ونقل القزويني (المتوفى سنة ٦٨٢ هـ — ١٢٨٣ م) ما يشبه كلام الثعالبي الذي أوردناه آنفاً، بقوله: «وبسمرقند من الأشياء الظريفة تُنقل الى سائر البلاد. منها الكاغد السمرقندي الذي لا يوجد مثله إلاَّ بالصين. وحكى صاحب الممالك والمسالك، انه دُفع من الصين الى سمرقند سبيٌ، وكان فيهم مَن يعرف صنعة الكاغد، فاتخذها، ثم كثرت حتى صارت متجراً لأهل سمرقند. فمنها تُحمل الى سائر البلاد»[2].

ولم يتعين عندنا أي كتابٍ هذا الذي نقل عنه الثعالبي والقزويني، ووسماه بالمسالك والممالك. فبين يدينا الآن ثلاثة أسفار عناوينها من هذا القبيل:

الأول: كتاب مسالك الممالك للاصطخري.

الثاني: كتاب المسالك والممالك لابن حوقل (وطُبع ثانيةً بعنوان «صورة الأرض»).

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص ٤٣١ — ٤٣٢)، وانظر: لطائف المعارف للثعالبي (ص ١٢٦ طبعة دي يونغ، ليدن ١٨٦٧)، وتاريخ الهند للبيروني (ص ٨١).

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص ٣٦٠ طبعة وستنفلد، غوتنجن ١٨٤٨).

الثالث : كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه .

وهذه الكتب الثلاثة قد طُبعت ضمن مجموعة « الخزانة الجغرافية العربية » في ليدن .

ولم نجد في أيّ واحدٍ منها شيئاً من هذا الكلام المنقول . فهلاّ يكون الثعالبي والقزويني قد نقلا من كتابٍ آخر غير ما ذكرنا ، لا سيما ان في المراجع القديمة (١) الباحثة في أحوال الكتب وصفاتها ، ذِكراً لمؤلفاتٍ عديدة عُرفت بالمسالك والممالك .

وقد أشار النويري الى الورق السمرقندي ، وعدّه من خصائص هذه المدينة . قال في كلامه على سمرقند : « ومن خصائصها : الكواغد التي عطلت قراطيسَ مصر والجلودَ التي كان الأوائل يكتبون عليها ، لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأرق . ولا تكون إلا بها وبالصين » (٢) .

وممن تطرّق لذكر ورق سمرقند ، ابن الوردي (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨م) . ففي الفصل الذي خصّه بأعاجيب البلدان ، لم يفته أن ينوّه بأعاجيب سمرقند قائلاً : « ومن خصائصها : الكواغد التي أزرت بكواغد الأرض في الطول والعرض ، والجلود والرقاق التي لا توجد في الدنيا . وكان الأوائل يكتبون كتب العلوم والحكمة والتواريخ لحسنها ولينها وإقامتها » (٣) .

ولقد ضُربت الأمثال بكاغد سمرقند ، نظراً الى جودته ونفاسته . ومما قرأناه في هذا الشأن ، ما ورد في رسالة لأبي بكر الخوارزمي بعث بها الى أبي الحسين علي بن داية ، وقد تأخرت عنه رسائلة : « ... أم لأنّ سمرقند بعدتْ عليه ، والكاغد عزّ لديه ؟ فأنا أجهّز اليه قوافل تحمل من الكاغد أوقاراً ، ويتصل مني اليه قطاراً قطاراً » (٤) .

(١) الفهرست لابن النديم (في مواطن عديدة متفرّقة) ، وكشف الظنون للحاج خليفة (٢ : ١٦٦٤ - ١٦٦٥ طبعة وزارة المعارف التركية) .

(٢) نهاية الأرب للنويري (١ : ٣٥٤ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٣) خريدة العجائب لابن الوردي (ص ٢٣١ طبعة محمد شاهين ، القاهرة ١٢٨٠ هـ) .

(٤) رسائل أبي بكر الخوارزمي (ص ٢٥ طبعة الجوائب ، الاستانة ١٢٩٧ هـ) .

وقد قطع أبو سعد السمعاني بكون الكاغد لا يُعمل في المشرق إلا في هذه المدينة . قال في مادة «الكاغذي» ، «هذه النسبة الى عمل الكاغد الذي يُكتب عليه وبيعه . ولا يُعمل في المشرق إلا بسمرقند»[١] .

ونقل ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م) ، في ترجمة الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات المعروف بابن حنزابة ، المتوفى سنة ٣٩١ هـ (١٠٠٠ م) ، انه كان يستورد الورق من سمرقند لاتخاذه فيما يستنسخه له الوراقون لخزانته ، قال : «قال محمد بن طاهر المقدسي : سمعتُ أبا اسحاق الحبال يقول : كان يُستعمل للوزير أبي الفضل ، الكاغد بسمرقند ويُحمل اليه الى مصر في كل سنة . وكان في خزانته عدة من الوراقين ، فاستغنى بعضهم ، فأمر بأن يحاسَب ويُصرف ، فكمل عليه مائة دينار ، فعاد الى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء . قال : وسمعتُ أبا اسحق ابراهيم بن سعيد الحبال يقول : خرج ابو نصر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ ، لم يبقَ منهم غيري . وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب ، وكتبها في كاغد عتيق . فسألتُ الحبال عن الكاغد ، فقال : هذا من الكاغد الذي كان يُحمل للوزير من سمرقند ، وقعت اليَّ من كتبه قطعة ، فكنتُ اذا رأيتُ فيها ورقة بيضاء قطعتها ، الى أن اجتمع هذا . فكتبتُ فيه هذه الفوائد»[٢]

ونقل السيوطي قول بعضهم «قراطيس سمرقند لأهل المشرق ، كقراطيس مصر لأهل المغرب»[٣] . والمراد هنا بقراطيس سمرقند كاغدها .

ولما كانت سمرقند من أعمال ما وراء النهر ، سرَت شهرتها في صنع الورق الى تلك الديار . فقد أطرى بعض الكتّاب البلدانيين ما وراء النهر لاشتهارها

(١) الأنساب للسمعاني (وجه الورقة ٤٧٢) .
(٢) معجم الأدباء (٢ : ٤١٢) طبعة مرجليوث) .
(٣) حسن المحاضرة (٢ : ١٧٣) .

بالكاغد . من ذلك ما أورده ابن حوقل في أهلها « . . . ولهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة » (١) .

ومثل ذلك ما ذكره الاصطخري (وهو ، كابن حوقل ، من أهل المائة الرابعة للهجرة) بقوله : « وليس في شيء من بلدان الاسلام النوشاذر والكاغد ، إلا فيما وراء النهر » (٢) .

٧ – أنواع الورق

اتخذ العرب القطن ومواد نباتية أخرى في صنع الورق . وليس من شك في ان اختلاف المواد الأولية للورق ، أدّى الى ظهور جملة أنواع من الورق ، تختلف في ثخانتها ومتانتها وصقلها ولونها ولينها . قالوا : « وأحسن الورق ، ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً ، متناسب الأطراف ، صبوراً على مرور الزمان » (٣) .

وقد ذكر ابن النديم ، ستة أنواع من الورق كانت معروفة في زمانه . قال بعد أن وصف أصناف المواد التي اتخذتها الأمم القديمة للكتابة عليها : « فأما الورق الخراساني ، فيعمل من الكتان ، ويُقال انه حدث في أيام بني أمية ، وقيل في الدولة العباسية ، وقيل انه قديم ، وقيل انه حديث ، وقيل أنّ صنّاعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني . فأما أنواعه : السليماني ، الطلحي ، النوحي ، الفرعوني ، الجعفري ، الطاهري » (٤) .

هذا ما كان شائع الاستعمال من ضروب الورق في البلدان الاسلامية ، في أواخر المائة الرابعة للهجرة .

فالورق السليماني ، منسوب الى سليمان بن راشد ، الذي كان والياً على خراسان في أيام هرون الرشيد (٥) .

(١) صورة الأرض لابن حوقل (٢ : ٤٦٥) .
(٢) مسالك الممالك للاصطخري (ص ٢٨٨ ، طبعة دي غويه ، ليدن ١٩٢٧) .
(٣) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦) .
(٤) الفهرست لابن النديم (ص ٢١ طبعة ليبسك = ص ٣٢ مصر) .
(٥) تاريخ الطبري (٣ : ٧٤٠) .

والورق الطلحي ، ينسب الى طلحة بن طاهر ، ثاني أمراء الدولة الطاهرية في خراسان . وقد حكم من سنة ٢٠٧ الى ٢١٣ هـ (٨٢٢ — ٨٢٨ م) .

والورق النُوحي ، كأنه منسوب الى « نوح » الساماني ، أحد أمراء الدولة السامانية التي حكمت تركستان وفارس . وقد قام في هذه الدولة اثنان بهذا الاسم :

أولهما : نوح الأول الساماني ، وقد حكم من سنة ٣٣١ الى ٣٤٣ هـ (٩٤٣ — ٩٥٤ م) .

ثانيهما : نوح الثاني الساماني ، حكم من سنة ٣٦٦ الى ٣٨٧ هـ (٩٧٦ - ٩٩٧ م) .

ولم يتحقق عندنا الى أيهما نُسب هذا الصنف من الورق .

أما الورق الفرعوني ، فضربٌ آخر نافس ورق البردي حتى في عقر داره . وأقدم النصوص العربية التي عُثر عليها مدوّنة في هذا الورق ، يرتقي تاريخها الى سنة ١٨٠ — ٢٠٠ هـ (٧٩٦ — ٨١٥ م) [1] .

ولكن استعمال هذا الورق ، لبث مئات سنين بعد هذا التاريخ . فقد ورد في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ - ١٠٣٦ م) قول تلميذٍ له : « ... وأمرني الشيخ باحضار البياض [2] وقطع أجزاء منه ، فشددتُ خمسة أجزاء ، كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني » [3] .

والورق الجعفري ، نُسب الى جعفر البرمكي الذي قُتل سنة ١٨٧ هـ (٨٠٢ م) حين نكبة البرامكة .

والورق الطاهري ، وهو يُنسب الى طاهر الثاني ، من أمراء الدولة الطاهرية في خراسان ، وكان حكمه من سنة ٢٣٠ الى ٢٤٨ هـ (٨٤٤ — ٨٦٢ م) .

وأشار ياقوت الحموي الى « الارق الجَيْهاني » [4] و « الورق المأموني » [5] .

(١) دائرة المعارف الاسلامية (مادة : كاغد) .
(٢) يريد به الورق .
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٢ : ٨)
(٤) معجم البلدان (٢ : ٩٥ طبعة ليبسك) .
(٥) معجم الأدباء (٦ : ٢٨٥) .

فأولها يُنسب الى مدينة جَيْهان إحدى مدن خراسان ، وثانيها الى الخليفة المأمون العباسي (خلافته من سنة ١٩٨ الى ٢١٨ هـ) (٨١٣ — ٨٣٣ م) .

وذكر السمعاني ضرباً آخر من الورق ، سماه « الكاغذ المنصوري » . قال : ومن عُرف بالكاغذي : « ابو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم الكاغذي ، من أهل سمرقند . واليه يُنسب الكاغذ المنصوري المشهور ببلاد خراسان . توفي سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣١ م) بسمرقند »[١] .

وكان لهذا الورق المنصوري شهرة بعيدة في كثير من الأقطار الاسلامية ، حتى انه صار يُصنع منه في جملة أماكن ، كالعراق ومصر ، وذلك من باب التقليد والاقتباس .

غير اننا وقفنا على ذكرٍ لورقٍ منصوري آخر ، يسبق عهده عهد الورق المنصوري الذي ألمعنا إليه . ولم يتعين عندنا الى أي منصور نُسب . فقد روى بعض المؤرخين ، ان الوزير ابا الحسن بن الفرات (المتوفى سنة ٣١٢ هـ — ٩٢٤ م) ، كان من رسمه في أيام وزارته « أن لا يخرج أحد من داره في وقت عشاء ، إلا ومعه شمعة ودرج منصوري »[٢] .

والدرج المنصوري ، كان طبقةً من الورق تُلفّ لفاً ، وتستعمل لكتابة الرسائل وما إليها[٣] .

ومن أنواع الورق الأخرى التي لم يتحقق عندنا الى اي شيء يُنسب ، « الورق الصلحي » . وقد رأيناه مذكوراً في مخطوط في خزانتنا[٤] .

ومن ضروب الورق الأخرى ، التي لم يتعين عندنا اسمها ، ما ذكره ابو سعد السمعاني في كلامه على أبي الحسين بن ناصر الكاغدي المعروف بالدهقان ،

(١) الأنساب (وجه الورقة ٤٧٢) .
(٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابيء (ص ٦٣ طبعة امدروز ، بيروت ١٩٠٤).
(٣) معجم الأدباء (١ : ٣٤٢) .
(٤) كتاب فضل القلم والخط واعمال المداد (مخطوط في خزانتنا . وجه الورقة ٤٦)

انّ «اليه ، يُنسب الكاغد الحسن الذي لم يلحقه مَن سبقه في جودة الصنعة ونقاء الآلة وبياضها»[١] .

وقد كان أبوعلي الكاغدي ، معاصراً للسمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦م) .

وعقد هلال بن المحسّن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ — ١٠٥٦ م) ، فصلاً في «الطروس التي يُكتب فيها الى الخلفاء وعنهم» ، قال فيه : «الذي جرت به العادة القديمة في الكتب السلطانية ، أن تكون في القراطيس المصرية العريضة . فلما انقطع حملها وتعذّر وجودها ، عُدل الى الكاغد الشيطاني العريض . هذا في كتب العهود والولايات والألقاب ، وما يُكتب به الى أصحاب الأطراف وما يكتبون به . فأما ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع من وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة ، فالمستحبّ فيه الكاغد النصفي»[٢] .

ولم تكن خزائن الكتب الواسعة ، تخلو في الزمن القديم من أنواع الورق الذي يُتخذ للنسخ ، بل كان في بعضها أصناف نفيسة منه ، كالذي حكاه ياقوت الحموي عن خزانة الكتب لبهاء الدولة البويهي بشيراز ، وذلك في ترجمة الخطاط الشهير المعروف بابن البوّاب ، المتوفى سنة ٤١٣ هـ (١٠٢٢م) ، قال : «وحدّث في كتاب المفاوضة قال : حدثني أبو الحسن عليّ بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال : كنتُ أتصرّف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له وأمرها مردود إليّ . فرأيتُ يوماً في جملة أجزاء منبوذة جزءاً مجلداً بأسود ففتحته واذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن بخط ابي علي بن مقلة ، فأعجبني وأفردته ، فلم أزل أظفر بجزء بعد جزء مختلط في جملة الكتب الى ان اجتمع تسعة وعشرون جزءاً وبقي جزء واحد استغرقتُ تفتيش الخزانة في مدة طويلة فلم أظفر به ، فعلمتُ أنّ المصحف

(١) الأنساب (وجه الورقة ٤٧٢) .

(٢) رسوم دار الخلافة لهلال الصابئ (ص ١٧٨ من المخطوط . وقد حقق ميخائيل عوّاد — أخي — هذا الكتاب وأعدّه للنشر) .

ناقص . فأفردته ودخلتُ الى بهاء الدولة وقلتُ : يا مولانا ، ها هنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها ، وهي مخاطبة ابي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له ، ومعه هدية ظريفة تصلح لمولانا . قال : أي شيء هي ؟ قلت : هي مصحف بخط ابي علي بن مقلة . فقال : هاته وانا أتقدم بما يريد . فأحضرتُ الأجزاء ، فأخذ منها واحداً وقال : أذكر وكان في الخزانة ما يُشبه هذا وقد ذهب عني . قلتُ : هذا مصحفك ، وقصصتُ عليه القصة في طلبتي له حتى جمعته ، وقلتُ : هكذا يُطرح مصحف بخط ابي علي إلا انه ينقص جزءاً فقال لي : فتممه لي . قلتُ : السمع والطاعة ، ولكن على شريطة انك اذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعةً ومائة دينار . قال : أفعل . واخذتُ المصحف من بين يديه وانصرفتُ الى داري ، ودخلتُ الخزانة أقلّب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف ، وكان فيها من انواع الكاغد السمرقندي والصيني العتيق كلّ ظريف عجيب . فأخذتُ من الكاغد ما وافقني وكتبت الجزء وذهّبته وعتّقتُ ذهبه وقلعتُ جلداً من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعتُ منه الجلد وعتقته . ونسي بهاء الدولة المصحف ، ومضى على ذلك نحو السنة . فلما كان ذات يوم ، جرى ذكر ابي علي بن مقلة ، فقال لي : ما كتبت ذلك ؟ قلتُ : بلى . قال : فأعطنيه . فأحضرت المصحف كاملاً ، فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً ، وهو لا يقف على الجزء الذي بخطي ، ثم قال لي : أيما هو الجزء الذي بخطك ؟ قلت له لمَ لا تعرفه فيفتر في عينك ، هذا مصحف كامل بخط ابي علي بن مقلة ونكتم سرّنا . قال : افعل ، وتركه في ربعةٍ عند رأسه ولم يُعده الى الخزانة . وأقمتُ بها مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يمطلني ويعدني . فلما كان يوماً قلتُ : يا مولانا ، في الخزانة بياض صيني وعتيق ومقطوع وصحيح ، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير . قال : مرّ خذه . فمضيتُ وأخذتُ جميع ما كان فيها من ذلك النوع ، فكتبتُ فيه سنين »[1] .

(١) معجم الأدباء (٥ : ٤٤٦ – ٤٤٨) .

٨ — صناعة الورق في العراق

عمت شهرة الورق السمرقندي الأقطار ، وظلت سمرقند تمدّ البلاد الأخرى بما تنتجه معاملها من صنوف الورق . ولكن الحال لم تدم طويلاً ، فالأخبار التاريخية التي وقفنا عليها ، تنبئ ان صناعة الورق لم تلبث ان خرجت من مكمنها وتسرّبت الى بعض البلدان الاسلامية ، وفي طليعتها مدينة « بغداد » .

وقد أشار ابن خلدون إشارةً نفيسة في هذا الموضوع بقوله في الفصل الذي وسمه بـ « صناعة الوراقة » : « كانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد لكثرة الرفه وقلة التآليف صدر الملة ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقتصروا على الكتاب في الرق تشريفاً للمكتوبات وميلاً بها الى الصحة والاتقان . ثم طما بحر التآليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرقّ عن ذلك . فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه ، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية ، وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت » [١] .

فالفضل بن يحيى البرمكي ، وهو من أعيان وزراء بني العباس ، كان أنشأ أول معمل لصنع الورق في بغداد . فاذا علمنا أنّ مولد الفضل كان سنة ١٤٧ هـ (٧٦٤ م) ، ووفاته سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨ م) أدركنا ان دخول صناعة الورق الى بغداد كان في نحو الربع الأخير من المائة الثانية للهجرة .

وهذه الصناعة الجديدة ، طرأ عليها تحسين كبير ، فلم تمضِ غير بضع سنين ، حتى كان اخوه جعفر بن يحيى البرمكي ، الذي أعقبه في دست الوزارة ، قد أحلّ الورق محلّ الرّق في دواوين الدولة .

وقد قال القلقشندي بصدد بدء صنع الورق في العراق انه « أجمع رأي

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٠٦ ، بولاق ١٢٧٤ هـ)

الصحابة ، رضي الله عنهم ، على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه ، أو لأنه الموجود عندهم حينئذٍ . وبقي الناس على ذلك الى ان ولي الرشيد الخلافة[١] ، وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس ، أمر أن لا يكتب الناس إلا في الكاغد : لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير ، بخلاف الورق ، فانه متى مُحي منه فسد ، وان كُشط ظهر كشطه . وانتشرت الكتابة في الورق الى سائر الأقطار ، وتعاطاها مَن قَرُب وبعد ، واستمر الناس على ذلك الى الآن »[٢] .

وكانت صناعة الورق ببغداد في المائة الرابعة للهجرة ، زاهرة بما كان يُرى فيها من معامل تصنعه ، وحوانيت تبيعه .

ذكر الصولي ان في ذي القعدة من سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣ م) ، « وقع بالكرخ حريق عظيم ، من حد طاق التكك السماكين ، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال »[٣] .

وأشار ياقوت الحموي الى صنع الورق ببغداد في زمنه (المائة السابعة للهجرة) . قال في كلامه على « دار القز » انها « محلة كبيرة ببغداد ، في طرف الصحراء ، بين البلد وبينها اليوم نحو فرسخ ، وكل ما حولها قد خرب ، ولم يبقَ إلا أربع محال متصلة : دار القز ، والعتابيين ، والنصرية ، وشهار سوك . والباقي تلول قائمة . وفيها يُعمل اليوم الكاغد »[٤] .

وزاد ابن عبد الحق (المتوفى سنة ٧٣٩ هـ - ١٣٣٨) ، ان دار القز ، في الجانب الغربي من بغداد[٥] .

ثم أشار ياقوت إشارة ثانية الى صنع الورق ببغداد في أيامه . قال في كلامه على « چهارسوج » انها « من محال بغداد ، في قبلة الحربية ، خرب ما حولها

---

(١) كانت خلافته من سنة ١٧٠ الى سنة ١٩٣ هـ (٧٨٦ - ٨٠٩ م) .
(٢) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٥ - ٤٧٦) .
(٣) أخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتاب الأوراق للصولي (ص ٢٦٠ ، القاهرة ١٩٣٥) .
(٤) معجم البلدان (مادة : دار القز) .
(٥) مراصد الاطلاع (مادة : دار القز) .

من الحالّ ، وبقيت محي والنصرية والعتابيون ودار القزّ متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد . يُعمل في هذه الحالّ في أيامنا هذه الكاغد»[1] .

وقد أطرى القلقشندي نفاسة الورق البغدادي ، فقال : وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه[2] البغدادي : وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب اجزاء ، وقطعه وافر جداً ، ولا يُكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة . وربما استعمله كتّاب الانشاء في مكاتبات القانات ونحوها[3] » .

وفي كلامنا على أنواع الورق ، كنا نوهنا بالدرج المنصوري الذي كان يُعطى لمن يخرج من دار الوزير ابي الحسن بن الفرات وقت عشاء . وقد ذكر ابن الطقطقي الخبر بوجه آخر نسوقه ها هنا لفائدته في معرفة وفرة الورق يوم ذاك في العراق ، قال : «وتولى ابن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر . قالوا : كان إذا ولي ابن الفرات ، يغلو الشمع والثلج والكاغد لكثرة استعماله لذلك . لأنه ما كان يشرب احد ، كائناً من كان ، في داره في الفصول الثلاثة إلاّ الماء المثلوج ، ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب إلا وبين يديه شمعة كبيرة نقية ، صغيراً كان أو كبيراً . وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد ، كلّ من دخل واحتاج الى شيء من الكاغد اخذ حاجته منها»[4] .

ولفظة «الكاغد» الواردة في هذا النص ، جاءت بصورة «القراطيس» في نص آخر لهذا المعنى . قال هلال الصابئ : «وفي جانب الدار (دار ابن الفرات) ، ادراج كثيرة لأصحاب الحوائج والمتظلمين ، حتى لا يلتزم احد منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك ، وأنصاف قراطيس وأثلاث»[5] .

(١) معجم البلدان (مادة : جهار سوج) . وهذه المادة ذكرها في نصٍّ سابق نقلناه اعلاه بصورة : چهار سوك .

(٢) توفي القلقشندي ، في سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) وقد ذكرنا ذلك سابقاً .

(٣) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦) .

(٤) الفخري (ص ٣١٢ طبعة اهلورد ، غوطا ١٨٦٠) . وقد لمّح مسكويه (تجارب الأمم ١ : ١٢٠ طبعة امدروز) الى غلاء هذه المواد الثلاث ببغداد أيام وزارة هذا الوزير .

(٥) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (ص ١٩٥) .

ما ما كان ينفق على الورق في الشهر ، في ايام المعتضد [(١)] فقد جاء في العمل الذي وجده هلال الصابئ ، في ذكر احمد بن محمد الطائي ، وما ضمنه من الاعمال وشرطه على نفسه من حمل مال الضمان مياومةً الى بيت المال ، وقد شرح فيه وجوه خرج المياومة . فمن ذلك أثمان الورق ، قال : « أرزاق أكابر الكتاب واصحاب الدواوين والخزان والبوابين والمديرين والاعوان وسائر من في الدواوين ، وثمن الصحف والقراطيس والكاغد ... اربعة آلاف دينار وسبع مائة في الشهر مائة وستة وخمسين ديناراً وثلثين » [(٢)] .

٩ — صناعة الورق في بلاد الشام

بعد ان اتسع نطاق صناعة الورق في العراق ، انتقلت منه الى بلاد الشام ، فأنشئت فيها معامل صنعت أنواعاً نفيسة من الورق . وكانت طرابلس الشام من عيون المدن التي فاقت ما سواها من البلدان في صنع الورق . وقد زارها الرحالة الشهير ناصر خسرو في سنة ٤٣٨هـ (١٠٤٧ م) واطري ورقها بقوله انّ اهل هذه المدينة « يصنعون بها الورق الجميل مثل ورق سمرقند ، بل احسن منه [(٣)] » .

ومثل هذا الاطراء لا يقع مالم تكن تلك الصناعة قد تقدّمت في هذه المدينة تقدماً محسوساً ، استرعى انظار هذا السائح الفارسي .

ومن البلدان التي تميزت بصناعة الكاغد منذ المائة الرابعة للهجرة ، طبرية . وقد نوّه بذلك البشاري المقدسي [(٤)] .

اما « دمشق » وهي أم المدائن الشامية ، فقد اشتهرت بمعامل ورقها اشتهاراً بعيداً . وقد نوّه بورقها مؤرخو اليونان [(٥)] . أما المؤرخون العرب ، فقد مدحوا

(١) كانت خلافته من سنة ٢٧٩ الى ٢٨٩ هـ (٨٩٢ — ٩٠٢ م) .
(٢) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء (ص ٢٠ — ٢١) .
(٣) سفرنامه لناصر خسرو (ص ١٣ من الترجمة العربية ليحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥) .
(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري المقدسي (ص ١٨٠ طبعة دي غويه : ليدن ١٩٠٦) .
(٥) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي بك (١ : ٢١٥) .

الورق الدمشقي وأطروا محاسنه . قال ابو البقاء البدري (وهو من أهل المائة التاسعة للهجرة) : وفيها تعمل صناعة القرطاس بحسن صقاله ونقي أوصاله » [1] . والمراد بالقرطاس هاهنا الكاغد .

وكانت تجارة الورق الشامي رائجة رواجاً عظيماً ، فقد « كانت اوربة الشرقية تبتاع ورقها من بلاد الشرق الأدنى مباشرةً ، على ما يشهد لذلك اسم الورق الدمشقي (شارتا داماسينا) ... » [2] .

وقد وصف العلامة محمد كرد علي بك ورق الشام بكلام يحسن بنا إيراد بعضه في هذا المقام ، قال : « وكان الورق يُصنع أشكالاً في مكابس صغيرة ، ويعمل من الخروق البالية أو الحرير ، واستبدل ورق القطن الذي منه الورق الدمشقي بالحرير في سنة ٧٠٦ م رجلٌ اسمه يوسف بن عمرو . ولا يزال في خزانة دار الكتب العربية بدمشق كتابٌ كتب سنة ٢٦٦ هـ على ورق يُظنّ انه من الورق الشامي وهو أقدم مخطوط عُرف بالشام ولا يزال على متانته » [3] .

ثم تطرق الى الكلام على صنع الورق في مدينة « حلب » فقال : « وحدثني احد علماء حلب ، أن الورق كان يُصنع في الشهباء . وإن حيّاً من أحيائها لا يزال اسمه الوراقة ، حيث كانت معامل الورق . والورق الحلبي الصقيل المتين مشهور الى عهدنا » [4] .

وقد عُرف غير ما ذكرنا من بلدان الشام بصنعها للورق ، مدن اخرى كانت معامله قائمة فيها ، منها حماة ومنبج [5] وغيرهما .

وأشار القلقشندي الى الورق الشامي ، فقال بعد كلامه على الورق البغدادي ،

---

(١) نزهة الأنام في محاسن الشام للبدري (ص ٣٦٣ ، القاهرة ١٣٤١ هـ) .
(٢) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي بك (١ : ٢١٥) .
(٣) خطط الشام (٤ : ٢٤٣) .
(٤) خطط الشام (٤ : ٢٤٤) .
(٥) خطط الشام (٤ : ٢٤٢) .

«ودونه في الرتبة الشامي . وهو على نوعين : نوع يُعرف بالحموي ، وهو دون قطع البغدادي . و (نوع) دونه في القدر ، وهو المعروف بالشامي ، وقطعه دون القطع الحموي» [1] .

وفي هذا النص إشارة الى ما كانت عليه حال الورق في الشام ، في أوائل المائة التاسعة للهجرة ؛ والى انّ مدينة «حماة» كانت أيضاً من جملة المدن التي اشتهرت بورقها .

١٠ — صناعة الورق في الديار المصريّة

ولم يبقَ صنع الورق مقصوراً على العراق والشام ، بل تعداهما الى ديار النيل ، فانتشرت فيها معامل الورق التي أجادت صنعه ووفّرت كمياته .

ذكر المقريزي في كلامه على خطة بني رية بن عمرو ، بالفسطاط ، انّ «هذا الموضع اليوم [2] وراقات ، يُعمل فيها الورق» [3] .

وذكر في موطن آخر عن صنع الورق المنصوري بمصر ، بقوله : «والمطابخ التي يُصنع فيها الورق المنصوري ، مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة» [4] .

وأشار الى «خط خان الوراقة» [5] . وفي هذه التسمية دليل على كون بعض الصناع يعملون الورق في ذلك الخان .

ولم يفت القلقشندي أن يصف الورق المصري . قال بعد ان ذكر الورق العراقي والورق الشامي : «ودونها في الرتبة : الورق المصري ؛ وهو أيضاً على قطعين : القطع المنصوري ، وقطع العادة ، والمنصوري أكبر قطعاً . وقلما يُصقل

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦) .

(٢) توفي المقريزي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) فكلامه يدلّ على ما كان في النصف الأول من المائة التاسعة للهجرة .

(٣) خطط المقريزي (= المواعظ والاعتبار) (٢ : ٧٧ مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٥ هـ) .

(٤) خطط المقريزي (٢ : ١٨٩) .

(٥) خطط المقريزي (٣ : ٣٧) .

وجهاه جميعاً . أما العادة فان فيه ما يُصقل وجهاه ، ويسمى في عُرف الورّاقين المصلوح . وغيره عندهم على رتبتين : عالٍ ووسط . وفيه صنف يُعرف بالفوّي صغير القطع ، خشن غليظ خفيف الغرف ، لا يُنتفع به في الكتابة ، يُتخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك [1] » .

١١ — صناعة الورق في ديار الغرب والأندلس

انتقلت صناعة الورق من ديار الشرق ، من العراق والشام ومصر ، الى ديار الغرب . فصار يُصنع في جزيرة صقلية ومراكش والأندلس . ومن هذه البلدان انتقل الى ديار الافرنج الأخرى ، على ما هو معروف في تاريخ صناعة الورق عند الأوربيين .

لقد أنشأ العرب في جزيرة صقلية « مصانع لصنع الورق ، ومنها انتشرت صناعة الورق في ايطالية » [2] .

وكانت أشهر مدن الأندلس التي عُرفت بإجادة ابنائها صنع الورق « شاطبة » ، وهي مدينة كبيرة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة . وقد أطنب البلدانيون في مديح كاغدها . قال الشريف الادريسي : « وُيعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير » [3] . وقال ياقوت الحموي : « ويُعمل الكاغد الجيد فيها ، ويُحمل منها الى سائر بلاد الاندلس » [4] .

وقد نوّه المقّري (المتوفى سنة ١٠٤١ هـ — ١٦٣١ م) بالورق المنصوري في بلاد الأندلس [5] . وهذا الضرب من الورق ، مرّ بنا ذكره في كلامنا على « أنواع الورق » من بحثنا هذا .

---

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٦ — ٤٧٧)

(٢) الاسلام والحضارة العربية (١ : ٢٦٣) .

(٣) مختصر نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي (ص ١٦٨ ، طبع رومية ، سنة ١٥٩٢م) .

(٤) معجم البلدان (٣ : ٢٣٥ طبعة وستنفلد) ، وانظر : خريدة العجائب (ص ٢٨)

(٥) نفح الطيب للمقّري (١ : ٦٩٤ طبعة دوزي) .

أما ورق بلاد الغرب، فقد ذمه القلقشندي. قال بعد وصفه ورق العراق والشام ومصر: «ودون ذلك، ورق أهل الغرب والفرنجة. فهو رديء جداً، سريع البلى، قليل المكث. ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى، طلباً لطول البقاء»[1].

١٢ — صناعة الورق في بلاد فارس

لم تلقَ صناعة الورق، في هذه البلاد، العناية اللائقة بها في صدر الاسلام. وكان منتظراً ان تنتقل صناعته من سمرقند الى هذه الديار، قبل انتقالها الى بغداد. غير ان الأنباء التاريخية لا تروي شيئاً عن اهتمام الفرس بصنعه إلاّ في عصور متأخرة، أعني بعد انتشاره في العراق والشام وغيرهما.

ومن أشهر بلاد فارس التي عُرفت بجودة ورقها، بلدة «خُونَج» التي تسمى أيضاً «خونا». يقول فيها ياقوت انها تسمى الآن (في أوائل المائة السابعة للهجرة) «كاغد كنان» أي صنّاع الكاغد[2]. وهذه البلدة على مسيرة يومين من زنجان.

١٣ — مقادير قَطْع الورق

كثيراً ما يعثر المطالع في التصانيف العربية القديمة، على الفاظ تتصل بالورق من حيث حجمه. فان قطوع الورق عند الأقدمين، تختلف باختلاف الغرض الذي يُتخذ له. وباختلاف البلدان التي تصنعه. قال القلقشندي في هذا الصدد ما هذا بعضه: «قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة[3]: ان الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان.

(١) صبح الأعشى (٢ : ٤٧٧).

(٢) معجم البلدان (٢ : ٥٠٠ طبعة وستنفلد).

(٣) هذا الكتاب ضائع. وفي النصّ الذي نقله عنه القلقشندي دليل على نفاسته وجلالة قدره. فكم فقدنا من هذه الأسفار المثمّنة؟

وذاك انه يُكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار . والى الأمراء من نصف طومار . والى العمال والكتاب من ثلث . والى التجار وأشباههم من رُبعٍ . والى الحساب والمساح من سُدُس . فهذه مقادير لقطع الورق في القديم ، وهي : الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس . ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة ، وهي المعبر عنها في زماننا بالفرخة . والظاهر انه أراد القطع البغدادي ، لأنه الذي يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامي . لا سيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة . فلا يحسن أن يُقدَّر بغير ورقها ، مع اشتماله على كمال المحاسن » [1] .

وقد أوضح القلقشندي عن مقادير الورق المستعمل في زمانه (المائة التاسعة للهجرة) ، فتكلم [2] على ما كان مستعملاً منها بديوان الانشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، وهي تسعة مقادير :

١ قطع البغدادي الكامل : عرضُ دَرْجه عرضُ البغدادي بكماله : وهو ذراعٌ واحد بذراع القماش المصري ؛ وطول كلّ وصل من الدَّرج المذكور ذراعٌ ونصفٌ بالذراع المذكور .

٢ — قطع البغدادي الناقص : عرض درجه دون عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة .

٣ — قطع الثلثين من الورق المصري : المراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري . وعرض دَرْجه ثلثا ذراع .

٤ — قطع النصف : المراد به قطع النصف من الطومار المنصوري ، وعرض درجه نصف ذراع .

٥ — قطع الثلث : والمراد به ثلث قطع المنصوري . وعرض درجه ثلث ذراع .

٦ — القطع المعروف بالمنصوري : عَرضه تقدير ربع ذراع .

٧ — القطع الصغير : ويُقال فيه قطع العادة . وعرض درجه تقدير سدس ذراع .

(١) صبح الأعشى (٦ : ١٨٩) .

(٢) صبح الأعشى (٦ : ١٩٠ — ١٩٣) ، وضوء الصبح المسفر (١ : ١٣ : ٤ — ١٥ : ٤) .

٨ — قطع الشامي الكامل : عرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله ·

٩ — القطع الصغير : وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير · وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية ، وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام ·

أما مقادير الورق المستعملة في ايام القلقشندي بدواوين الانشاء في بلاد الشام ، فلا تخرج عن اربعة مقادير ، وكلها من الورق الشامي :

١ — قطع الشامي الكامل : وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي الكامل في طوله ·

٢ — قطع نصف الحموي : عرض درجه عرض نصف الطومار الحموي وطوله بطول الطومار ·

٣ — قطع العادة من الشامي : وعرض درجه سدس ذراع في طول الطومار أو دونه ·

٤ — قطع ورق الطير المقدم ذكره ·

١٤ — المؤلفات القديمة في صناعة الورق

قليلة هي المؤلفات العربية القديمة التي تصف كيفية صنع الورق ، ومم يصنع ؟ ولعل هذه القلة ناشئة عن فقدان كثير من الكتب ، وبينها ما يتناول هذا الموضوع · أو لعل مرد تلك القلة الى عدم احتفال القوم بتدوين هذه الأمور ، كشأنهم في الإقلال من التأليف في أحوال كثير من الصناعات الأخرى ·

والى هذه القلة ، امكننا بطول البحث أن نقف على بعض مادون في موضوع صنع الورق ·

ففي خزانتنا ، مخطوط حديث الخط ، في ٥٣ ورقة ، عنوانه «كتاب فضل القلم والخط وأعمال المداد» · ولا نعلم من أمر مؤلفه شيئاً · وقد كسره على عدة أبواب ، عنوان الحادي عشر منها ، وهو آخر ابواب الكتاب : «في عمل

الكاغد وصقله وترتيب الأقلام» . وكلامه على صنع الكاغد ملأ أربع صفحات من هذا الباب .

وفي دار الكتب المصرية ، رسالة مخطوطة عنوانها « صناعة الورق والليق والحبر »[١] ، تأليف محمود خليفة ابن سليمان بن عبد الرحمن بن مصطفى افندي ، وهي في أربع ورقات ، كتبت سنة ١١٣٩ هـ (١٧٢٧ م) .

وفي الخزانة الآصفية بالهند ، مخطوطة برقم ٢٢١ ، وهي نسخة فريدة من كتاب « المخترع في فنون من الصنع »[٢] ، كتبها محمد بن قوام بن صفي بن محمد ضياء ترك ناگوري ، المعروف بقاضي خان ، في سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) . أما المؤلف فغير معروف . ويقوم هذا الكتاب من خمسة عشر باباً ، خامسها « في عمل الكاغد البلدي على اختلاف اصنافه ووضع الأسرار في الكتب وما يمحو الدفاتر والرقوق » .

١٥ — آداب صناعة الورق

ولقد أطلنا البحث والتنقير في ما انتهى الينا من كتب « الحسبة » أملاً في الوقوف على ما ينير السبيل في موضوع صنع الورق وما يترتب على صناعه ، فلم نظفر بطائل . فالذين بحثوا في شؤون الحسبة لم يتطرقوا قط الى هذا الموضوع .

وقد يكون المصدرُ الوحيد الذي أفادنا كثيراً في هذا الباب ، كتاب « المدخل » لابن الحاج ، المتوفى في القاهرة سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) . فقد عقد فصلاً في نية الوراق وكيفيتها وتحسينها[٣] » لا نرى بأساً من أن نقتطف منه ما يفيد بحثنا . قال وينبغي للورّاق صانع الورق : « أن يحذر من الغش فيما هو يحاوله . مثاله : أن يُعطي الدست الذي يساوي ثلاثة دراهم فيبيعه على

(١) فهرست دار الكتب المصرية (٥ : ١٥١ ، الرقم ٣٩ صناعات) .

(٢) وصف الاستاذ عبد القدوس الهاشمي هذا الكتاب وصفاً مفيداً في كتاب « المباحث العلمية من المقالات السَّنية » (حيدر آباد ١٣٥٨ هـ ، ص ١٥٢ — ١٥٨) .

(٣) المدخل لابن الحاج (٤ : ٧٩ : ٨٣ ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٢٩) .

انه من الدست الذي يساوي أربعة ، لأن الورق في ذلك يختلف ثمنه بسبب صفته . فقد يكون زائداً في البياض وفي الصقال ، ويكون مما عُمل في الصيف ؛ وآخر عكسه ، أعني فيه سُمرة ونقص في الصقال او البياضة وعُمل في الشتاء . وما بين ذلك . وإذا كان كذلك ، فيتعين عليه أن يبين حتى يخرج ببيانه من الغش . فان لم يفعل دخل بكتمانه تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام : «من غشنا فليس منا»(١) .

ثم قال :

« وليحذر ، عند شرائه الورق من الوراقة (٢) ، ان يكون في وقت يعلم انه يكشف فيه على عورات من يعمل فيها من الصناع ، إذ أنّ اكثرهم يجعلون في أوساطهم خرقة تصف العورة لصغرها وانحصارها على العورة وابتلالها بالماء ، والفخذ عن آخره مكشوف . فان دخل والحالة هذه فهي معصية ... فيحتاج لهذا المعنى ان يتحرّى وقتاً يكونون فيه سالمين مما ذُكر »(٣) .

ثم انتهى المؤلف الى القول : « وليحذر (بائع الورق) من أن يخلط الورق الخفيف بالورق الجيد الذي يصلح للنسخ ، لأنّ ذلك تدليس على المشتري ، لأنّ الخفيف لا يحمل الكشط لخفته ، بل يكون ذلك عنده بمعزل . فاذا علم انّ المشتري ممن ينسخ فيه ، أعطاه مما يوافقه منه . وإن علم انه ممن يكتب فيه الرسائل وما أشبهها مما يجوز ، أعطاه من الورق الخفيف بعد أن يبين له ذلك »(٤) .

ولم يفته أن يوصي الورّاق الذي في الوراقة « أن لا يعمل شيئاً من الورق المكتوب ، إلا بعد أن يعرف ما فيه . لأنه قد يكون فيه شيء له حرمة

---

(١) المدخل (٤ : ٨١) .
(٢) المراد بالوراقة هنا ، معمل الورق . وقد مرّت هذه اللفظة في تضاعيف بحثنا .
(٣) المدخل (٤ : ٨١) .
(٤) المدخل (٤ : ٨١ – ٨٢) .

شرعية ، بل هو الغالب . . . فيجتنب ذلك كله لحرمته وتعظيمه في الشرع الشريف ، لأنّ الصناع يدوسون ذلك بأرجلهم وغيرها ، وهذا من أعظم ما يكون من الامتهان » [١] .

١٦ — ختام البحث

لا نتعدى وجه الصواب إذا ما قلنا ، انّ للعرب اليد الطولى والفضل الأعظم في صناعة الورق . فهم الذي عنوا بنقله ، منذ عهدٍ بعيد ، أعني منذ المائة الثانية للهجرة ، من بلاد الصين الى ديار العراق ، فالشام ، فمصر ، فالمغرب والأندلس . وأدخلوا عليه من فنون التحسين والتجويد ، ما تشهد به عشرات ألوف الأسفار العربية المخطوطة ، المنبثة اليوم في كثير من خزائن كتب العامة والخاصة في بلدان الشرق والغرب .

لقد ازدهرت معامل الورق في كثير من بلاد الاسلام منذ المائة الثانية للهجرة . فأنتجت أصنافاً عديدة تختلف في قطعها وصقلها ولينها وغير ذلك من الصفات . ثم تسربت هذه الصناعة من بلدان الاسلام الى كثير من ديار الغرب ، فتفنن أهلها في صنعه ، وأدخلوا عليه — بفضل الآلة — من التحسينات الكثيرة ما نافسوا بها صناعة الورق الشرقي ، فزاحموه حتى كسدت سوقه ، وذهبت تلك المعامل في ذمة التاريخ .

(بغداد) كوركيس عواد



---

(١) المدخل (ص ٨٢) .

مخطوطات ومطبوعات

كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

المقدمة

عزمت جمعية « الآداب الرفيعة » في باريز على نشر نصوص من الأدب العربي برعاية محل « غليوم بوده » فقد رأت هذه الجمعية وهي تصنع تأريخ الحضارة مستندةً الى نصوص منقولة للغة الفرنسية ان تجعل مقاماً كبيراً في هذا التأريخ لفكر العرب وأدبهم ٠

وأول أثر ظهر على يدها ترجمة مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، فقد ترجم هذه المقدمة المستشرق « غودفروا دمومبين » عضو المعهد الفرنسي وعلّق عليها ٠

والذي يطالع هذه التعليقات باللغة الفرنسية يجد فيها اموراً توضّح من أدبنا بعض ما خفي منه أو بعض ما لا يزال مبعثراً في تضاعيف الكتب ، مما يحتاج الى مجهودات كثيرة ، كالكلام على هذا النزاع الذي قام بين أنصار المحدثين والقدماء في الشعر على زمن ابن قتيبة ، أو بين رجال المعتزلة وأهل السنة ٠

وقد صدّرت الترجمة بمقدمةٍ يرى فيها القارئ مباحث لا بأس بها عن شعر العرب وعن طبقات الشعراء وعن عبقرية الشعر وغير ذلك ، قد تكون مقتبسة عن ادبنا نفسه ولكن اسلوب الخوض فيها والتعليق عليها شيء طريف ربما لم نتعوده في أدبنا القديم ٠ ويهتدي القارئ في خلال هذه المقدمة والتعليقات الى آراء ناضجة مثل رأي الاستاذ « ماسينيون » في الشعر العربي فانه يقول ان هذا الشعر اذا نظر فيه ناظر ولم يتعمق في أغواره ظن انه وحيد الأشكال والصور غير متنوعها ، ولكنه اذا تغلغل الى تفاصيله وأعماقه انكشفت له فيه اختراعات دقيقة خصبة ٠

كنت أطالع هذه المقدمة في كلية الآداب فلفت ذهني الدكتور حكمة هاشم أستاذ الفلسفة والاجتماع في كليتنا الى الأمر الآتي :

يقول ابن قتيبة في كلام له على شعر بعض الشعراء : وهذا الشعر منحول ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن الا قوله ... وقد ترجم الأستاذ « غودفروا دومومبين » كلمة : منحول ، بكلمه نحيل ، وهي ترجمة فيها خطأ فقال لي الدكتور حكمة هاشم : انظر الى مقدار اعتناء رجال الغرب بالتسلسل المنطقي في الفكر ، فان الذي حمل المترجم على أن يخطئ في ترجمة كلمة المنحول انما هو ابن قتيبة نفسه ، لأن ابن قتيبة بعد ان قال : وهذا الشعر منحول ، عطف على قوله بعبارة لا تتصل بما قبلها من حيث المنطق الفكري فقال : ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن الا قوله ... مع ان المنطق كان يقضي بان يقول : ولا أعلم فيه شيئاً صحيحاً الا قوله ... حتى يتم التناسب بين الجملة الأولى وبين الجملة الثانية ، من حيث الاطراد المنطقي ، فالأستاذ المستشرق ظن ان معنى منحول في هذا المقام هزيل بدليل ان العطف جاء بعبارة تسرد شعراً غير هزيل ... وقد رأيت ان قول الدكتور حكمة هاشم في محله لأن المترجم قد مرّت عليه كلمة المنحول في مقام آخر من مقدمة ابن قتيبة فترجمها ترجمة صحيحة ، مما يدل على انه يفهم معناها .

شفيق جبري

ديوان ابي فراس الحمداني (الجزء الأول)

سامي الدهان : دكتور دولة في الآداب

ذكر الأستاذ « بلاشير » في مقدمة هذا الديوان ان أكثر الشعراء الذين أعجب العرب بشعرهم على مرّ السنين لا يزالون مجهولين : مثل بشار بن برد وأبي نواس وابن الرومي وابن الحجاج وابي فراس وغيرهم ورأى أن جهل الناس شعرهم ناشئ عن ان هذا الشعر اما ان يكون قد نشر في ديوان غير كامل اواما ان يكون قد نشر في ديوان غير كاف .

وقد أثنى الأستاذ على الدكتور سامي الدهان الذي بذل المجهودات الكبيرة في دور كتب اوروبة ومصر والشام وافريقية في التنقيب عن المخطوطات المشتملة على شعر ابي فراس ·

كان أبو فراس من بيت رفيع ، فلم يُعن بشعره أو بجمعه فأدّى هذا الاهمال الى تعدد نسخ دواوينه والى اختلاف هذه النسخ ، والاختيار في مثل هذه الحال صعب جداً ولكن الأستاذ « بلاشير » يرى ان الدكتور سامي الدهان قد اهتدى الى أصح النسخ التي يمكن ان تكون محوراً لنسخته المنشورة ·

وبعد أن أشار الأستاذ « بلاشير » هذه الاشارات وعرف للدكتور سامي الدهان فضله وقدره ومجهوده أشار الى أغراض شعر ابي فراس فذكر أن الروميات اذا نقلت الى لغة اجنبيه فانها تحتفظ برونقها وجوهرها ، وقد قابل مقابلة يسيرة بين المتنبي وبين أبي فراس ، بين قريحتين مختلفتين ، متحاسدتين ، قريحة بنت الفن والفكر والبحث وقريحة بنت الطبع والحس ·

تشتمل نسخة الدكتور سامي الدهان على فهارس ديوان ابي فراس وتشير الى الدراسات التي نشرت عنه في القديم والحديث والى صور بعض المخطوطات وكل هذا يدل دلالة واضحة على مقدار عناء الدكتور سامي الدهان في عمله الجليل فقد أهدى الى المكتبة العربية نسخة من ديوان ابي فراس سيقدرونها حق قدرها ·

ش · ج

هل العربية منطقية

أبحاث ثنائية ألسنية

تأليف الأب مرمرجي الدومنكي . طبع في مطبعة المرسلين في جونيه لبنان . سنة ١٩٤٧ م عدد صفحاته ١٦٠ صفحة متوسطة القطع

في تسمية هذا الكتاب شيء من غموض ، يريد مؤلفه ان اللغة العربية في معاجمها لم تنسّق كلماتها تنسيقاً منطقياً (فلا دقة في التحديد ، ولا وضوح في

الشروح ، ولا تناسق في الألفاظ ، ولا تناسب في المشتقات ، ولا تتابع في التطورات) . ويريد (بالثنائية) أن كلمات اللغة العربية إذا أُرجعت الى أصولها كانت أصولها حرفين اثنين لا ثلاثة كما هو مذهب علماء اللغة العربية كافة . ويريد بالألسنية النسبة الى الألسن . وقد عنى بهذه الألسن الألسن السامية أي اللغات السامية : فان المتأمل في هذه الألسن يجد الأدلة متوفرة على صحة دعواه (أي دعوى المؤلف) من أن أصول كلمات اللغة هي الألفاظ ذوات الحرفين لا ذوات الأحرف الثلاثة ، حتى ان ذوات الثلاثة نفسها ينبغي أن تُردّ الى اصول ثنائية الأحرف .

وكان المؤلف بسط رأيه هذا في مقال نشره في المجلد ١٤ من مجلة مجمعنا العلمي العربي ، ثم زاد الموضوع بسطاً وشرحاً في كتاب خاص : (سماه المعجمية العربية على ضوء الثُنائية والألسنية السامية) بلغ زهاء ٢٣٠ صفحة وطبعه في مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس سنه ١٩٣٧ م . ولكن في كتابه هذا لم يتسنَّ له الاكثار من الأمثلة والشواهد على رأيه في ثنائية أصول كلمات اللغة العربية ولذا أعاد الكرَّة على هذه الأمثلة فاستكثر منها هنا أي في كتابه الثاني الذي نقرظه وهو (هل العربية منطقية) .

وكنا لحين صدور كتابه الأول كتبنا اليه مُعجبين مُثنين على طول باعه في اللغات السامية ، واستبطان أسرارها . غير أنا اعتذرنا اليه عن الاقتناع بصحة رأيه في فكرة (الثنائية) وانما نحن نقلده فيها تقليداً ، حتى اذا تصفحنا كتابه الثاني الذي بسط فيه الأمثلة والشواهد رأينا فيها ما حملنا على كتابة ما يلي ، وحكمنا بأن في رأي صديقنا المؤلف إحالةً وتحكّماً وشيئاً من إبهام ، واللغة العربية الى غير هذا الرأي من الخدمات المتواضعة أحوج . وإلى نوعٍ آخر من الغذاء الاصلاحي أنجع وأنضج . والا فكيف نؤمن بأن مادة (س و د) التي ترجع مدلولاتها الى معني (السيادة) و (السوَاد) في اللغة العربية — ليست

أحرفها الثلاثة أصولاً وانما أصولها حرفان فقط ، أعني الـ (س) و الـ (د) المهملي المعنى في حال تركيبها . ثم لما جاء المؤلف الى الاستدلال على رأيه الثنائي لم يأتنا بسين ودال فقط ، بل إنما كانت حجته في ثلاثة أحرف (س) و(د) و(د) وهي اللواتي يتركب منها فعل (سدّ) الثلاثي المضاعف الذي أصله (سدَدَ) فشدّد : بدليل انه (اي المؤلف) فسره بمعناه اللغوي وهو : ردم . أغلق . سدّ القارورة الخ . وكل هذه معانٍ لسدَّ الثلاثي المركب من ثلاثة أحرف سين ودالين لا من حرفين فقط سين ودال واحدة : اذ لا يوجد في اللغة العربية كلمة مركبة من سين ودال واحدة (أي غير مشددة) ويكون لها معنى في اللغة العربية . ويظهر أن الحال كذلك في اللغات السامية الأخرى : فان كل الكلمات السامية التي سَرَدَها المؤلف سواء أكانت سريانية أم عبرانية هي مركبة من سين ودال وبينهما حرف صوتي ثالث لا اعرف كيف انطق به : ففي السريانية كلمة (sawwèd) اذا نطقت بها يبعد ان تنطقها (سَد) اي بسين مفتوحة ودال ساكنة ، وانما تنطقها سيناً ودالاً بينهما حرف علة صوتي يمال الى الواو أو الياء وهو الذي عُبر عنه بحرف (ww) فيكون ذلك اللفظ السرياني ثلاثياً كلفظ (سود) العربي لا ثنائياً .

ويوشك ان يقوم زميل آخر فيرى رأياً جديداً في أصول كلمات اللغة العربية غير الرأي الثنائي الذي تبنّاه المؤلف ويسمي رأيه (الرأي الأُحادي) فيزعم ان اصل كلمة (سود) العربية مثلاً هو (السين) وحدها ، او (الواو) وحدها ، او (الدال) وحدها ، ويؤيد قوله بأن الانسان الابتدائي او الانسان الأوّل إنما كان ينطق بصوتٍ ساذج تمكن الدلالة عليه والتعبير عنه بحرف واحد صوتي يُعَدُّ مَدّاً إذا لُفظ ، ثم تطور هذا الحرف الواحد الساذج وتكيَّف وتولدت منه سائر الكلمات في مختلف اللغات .

واحسب ان غيري من خَدَمة اللغة العربية يرون رأيي في أن الصواب هو ما قاله علماؤنا المحققون من ان اصول الكلمات (اسماء وافعالاً) لا تكون اقلّ من ثلاثة احرف ينألف منها لفظ له معنى في اللغة العربية ومنه تشتق سائر مشتقاته ·

أما ان يشتق لفظ عربي من لفظ ثنائي مهمل لا معنى له في العربية — او يشتق لفظ عربي من لفظ سرياني ثنائي او ثلاثي فهذا لا قائل به ، وانما صرحوا بخلافه : ففي المزهر (قال بعض العلماء : ومحال أن يشتق العجمي من العربي او العربي من العجمي : لأن الاشتقاق نتاج وتوليد · ومحال أن تُنتَج النوق الا حورانا [1] ، وتلد المرأة الا انسانا) · وقال ابو بكر بن السري (ومن اشتقّ الأعجمي المعرّب من العربي (كيعقوب من عقب مثلاً) كان كمن ادعى ان الطير من الحوت)

ولا يخفى ان ما قلناه إنما يصدق على اللغات بعد استقلالها وقيامها بنفسها على ألسن أهليها المتحضرين · أما هي في دور نشوئها وطور تكونها وبداءة المتكلمين بها فلا جرم ان تكون في أصلها واحدة ساذجة ثم — بطريقة يصعب تعيينها واكتناهها — تأخذ في التطور والتشعّب الى شعب وفروع طبقاً للناموس الطبيعي أو التكوين العام · على اننا معها خالفنا زميلنا الأب الفاضل في رأيه البكر المتعلق بأصل (الثنائية) فنحن موافقون له على رأيه الآخر من انه يجب تنسيق كلمات اللغة في معاجمها بحسب تطورها في الاشتقاق بحيث يسهل ردّها الى اصولها العربية ، ولا بأس في ردها او رد بعضها الى اصولها السامية أيضاً ، كما فعل المؤلف في كتابيه ، وكما يفعل المجمع اللغوي المصري في معجمه الكبير الذي يضعه اليوم : فهو يذكر المادة العربية ويذكر بجانبها ما بمعناها من موادّ اللغات السامية المختلفة · وهذا يكفي في خدمة اللغة ، وتحقيق اصول كلماتها ، وتوسيع دائرة ابحاثها ، على ضوء الألسنية (ولا نقول على ضوء الثنائية) ·

---

(١) حوران جمع حُوّار ، وهو ولد الناقة الرضيع الى أن يفطم ويفصل فيكون فصيلاً

ومهما يكن فإن دعوى (الألسنية الثنائية السامية) ما زالت في بدء تكوّنها وما زال الباحثون فيها – لها او عليها – قليلين . حتى اننا لا نعلم منهم سوى صديقنا الأب مرمرجي . فلعل علماء اللغات السامية [1] ينبرون الى هذا البحث الجديد، فيتبارون فيه ، وينيرون السبيل الى غوامضه وخوافيه .

المغربي

محاضرات مختارات

في الدين والفلسفة والاجتماع

مؤلفه أيضاً الأب مرمرجي وقد طبع في جونيه في ٢٥٠ صفحة

هذا الكتاب مجموعه محاضرات وخطب للأب المحترم مؤلف الكتاب السابق : « تتناول مواضيعها أبحاثاً شتى في الدينيات والفلسفيات والاجتماعيات . وقد أنشئت بطريقة عصرية يعتمد فيها على البراهين المنطقية » : فمنها محاضرة في (نفوذ السيد المسيح في حياتنا الدينية) ، واخرى في (نفوذه في حياتنا الاجتماعيه) ، وثالثة في (نفوذه في حياتنا الأدبية) . ثم محاضرات في (الأخلاق) و (الأسرة) و (الألفة الاجتماعية) و (الملكية الفردية) و (أبطال البشرية) . فموضوعات الكتاب تتردد بين الآداب المسيحية، والآداب الاجتماعية . ومن ثمّ كانت فائدته عظيمة للشبان والشابات لما فيه من تهذيب النفوس ، وتطهير الأرواح ، ولا غرو فالمؤلف يُعرف بالتقوى والاخلاص في دينه وعقيدته فحبذا المخلصون أمثاله .

المغربي

---

(١) (المجمع) تتمنى أن يكون الأب مرمرجي أهدى نسخة من كتابيه (المعجمية العربية) و (هل العربية منطقية) الى غبطة (مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم) بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس صاحب مقالات (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية) التي تنشر تباعاً في مجلة مجمعنا – حتى نرى رأيه في (الثنائية على ضوء الألسنية) فانه ابن بجدتها وفارس حلبتها .

الرسالة العامية في الشفعة

تأليف الاستاذ خليل جريج رئيس محكمة في بيروت

٢٦٠ صفحة مطبعة جان دارك ببيروت سنة ١٩٤٧

هذا الكتاب المفيد مؤلف من اربعة عشر فصلاً وملحق ، وكل فصل منها مشتمل على كثير من المسائل والأحكام ، وهي مباحث فقهية ، نظرية وعملية ، قد تضمنت التعريف بالشفعة وحكمتها وضرورتها ومصدرها الشرعي ، وحكمها القانوني ، ولمحة تاريخية عنها ، وأصحاب الحق فيها ، ومراتبها ، والعقود التي تجري فيها ، وما يترتب على الشفيع لطلبها ، وما يشترط لها من الأهلية الواجبة ، والأصول المفروضة ، والاختصاص القضائي في دعاوي الشفعة ، ونتائج الشفعة بالنسبة للطرفين وللغير ، وقاعدة عدم تجزئة حق الشفعة ، وانتقال هذا الحق ، وسقوطه ، وطبيعته ، وقيمته ، وتعديل أحكامه ، ثم ذيل كتابه بملحق حوى نصوص أحكام الشفعة في المجلة العدلية ، وفي القوانين المدنية الفرنسية ، الموضوعة للحكومات العربية في شمالي افريقيا وفي سورية ولبنان .

وطريقة المؤلف في كتابه هذا أنه يورد في كل فصل من فصوله (أولاً) ما قاله فقهاء المسلمين ، ومعظم ما ينقله عن كتب المذهب الحنفي المعتبرة ، وهو ما يسميه بالقانون القديم ، (وخير من ذلك أن يقال الكتب الفقهية او الشرعية) .

(ثانياً) قانون الملكية السوري اللبناني اي القرار (٣٣٣٩) الصادر في عهد الانتداب الفرنسي . (ثالثاً) القانون المصري (الرابع) قوانين افريقيا الشمالية (تونس والجزائر ومراكش) . وختمت هذه المباحث بالملحق المشتمل على نصوص احكام الشفعة في مجلة الأحكام العدلية ، وفي القوانين المدنية الموضوعة لهذه البلدان العربية من قبل الفرنسيين كما قدمنا .

أما مواضع النظر فيه فنذكر منها ما يأتي :

ص ١٩٤ وقد نهى الله عنها بقوله : «لا تحلّ الخديعة لمسلم» وهذه الجملة

ليست من كلام الله في القرآن، ولو تناول المؤلف بيمينه مثل كتاب « فتح الرحمن » او « المرشد الى آيات القرآن » لما وجدها ، وهو يعزو في جميع ما ينقله الى الكتب وصفحاتها ، ليؤدي أمانة العلم ، وما ندري كيف غفل عن أقدسها وأولاها بالاهتمام وهو القرآن ؟

ص ٥ : في حديث عمرو بن الشريد الذي نقله عن البخاري : فقال سعد : والله لا أزيد على اربعة آلاف مجمعة او مقطعة .

والرواية في البخاري : منجمة (بالنون) او مقطعة « شك من الراوي » والمراد أنها مؤجلة على أقساط معلومة .

ص ٢٠٠ فضلاً عن أن بعض الأحاديث الشريفة تؤيد رأينا كقول الحكيم .. وقول الشعبي : صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٤ » .

الحديث الشريف هو ما أضيف الى النبي ﷺ قولاً او فعلاً او تقريراً او صفة ، كما هو معلوم عند علمائه ، وهذان الخبران ، لم يسندا اليه (ﷺ) فما هما بحديثين .

ثم انا لم نفقه السر في ترجمة المؤلف لأقوال (مختصر سيدي خليل) الشهير في الفقه المالكي ، عن الفرنسية للدكتور برون Perron في سنة ١٨٥٤ وترجمة سينيات Seignette في سنة ١٨٧٨ عند ايراد الشواهد من المختصر على علم المؤلف بطبعته العربية ، واطلاعه على حاشية الخرشي ونقله عنها ، كما فعل في ص ١٢٩ وهو مطبوع طبعات أخرى مع الشروح ، وشهرة « المختصر » بالعربية عند أهله تفوق شهرته بالفرنسية بكثير .

هذا وإنا نوجه نظر القاضي الفاضل الى الفرق بين الشريعة الاسلامية التي هي القرآن ، والحديث ، وبين كتب الفقه المسماة عنده بالقانون القديم ، فإن مؤلفي هذه الكتب ليسوا مؤيدين بالعصمة ، وإنما يؤخذ من أقوالهم ما وافق الدليل ، وكان أكثر انطباقاً على عرف الزمن ، وحاجة أهله ، وكل ما ليس فيه نص صريح ، ولا قياس صحيح ، فالناس غير ملزمين به ، ولكل زمن عرف ومصالح .

على أن ما جاء في هذه الرسالة العلمية من المقارنة في الشفعة بين القديم والحديث ، دلّ على فضل الأول على الثاني ، ومن شواهده ما أورده المؤلف في تعريف الشفعة من كتاب (مرشد الحيران) مادة (٩٥) انها «حق تملك العقار المبيع كله او بعضه ولو جبراً على المشتري بما قام عليه من الثمن والمؤن» وفي مجمع الأنهر : أنها ضم بقعة مشتراة إلى ملك الشفيع بسبب الشركة او الجوار»

وفي مشروع موران Morand أي مشروع القانون الاسلامي الجزائري ، (م ٥٠٧) إن حق الشفعة هو الحق المعترف به لكل شريك في العقار عند ما يتفرغ شريك آخر عن حصته بعقد رضائي ، لأخذ هذه الحصة ، مقابل دفعه بدل الشراء» فأنت ترى أن تعريف مجمع الأنهر ومرشد الحيران ، أخصر وأجزل من تعريف موران .

وقد ذكر المؤلف الأستاذ ابن جريج في كتابه هذا أمرين عظيمين :

(الأول) لزوم الأخذ بقواعد الشريعة الاسلامية ، على شرط انسجامها مع المبادئ الأساسية في التشريع الحديث ، وقد نصر المؤلف هذا القول لأن احكام الشفعة مأخوذة من الشريعة الاسلامية (ص ٢٨) .

(الثاني) انه ظهر فى الجيلين الأخيرين اهتمام العلماء الأجانب بدرس الفقه الاسلامي ، وكان من نتيجة ذلك وضع مؤلفات متعددة في اللغة الفرنسية والانكليزية والايطالية والألمانية ، وترجمة بعض الكتب الشرعية النفيسة الى هذه اللغات ، خصوصاً الى اللغة الفرنسية ، وقد ذكر في ذيل الصفحة (١٣) طائفة منها»

إن في ذلك لعظة بالغة ، وبرهاناً حسياً على أصالة الفقه الاسلامي ، واستقلاله ، فنقدم هذه الشهادة العادلة الى فقهاء عصرنا ليُعنوا بتخريج ما يتجدد من ضروب المعاملات على قواعد الشريعة السمحة ومقاصدها ، فان في أصولها ما يقوى على معالجة المسائل الاقتصادية والاجتماعية في عهد المدنية الحديثة .

هذا وقد وقع لهذا القاضي الفاضل ، وهمٌ واشتباه في بعض المسائل ، كقوله

ص ٢٩ : فقد كان الجيل الأخير عهداً خصباً في التشريع والتنظيم ، وفي الخروج على طائفة من القواعد الشرعية التي لم تعد تتلاءم مع الحالة الحاضرة »

أقول : لقد سبق علماء الشريعة إلى مثل هذا التصريح ومنهم الشهاب القرافي الذي جاء في قواعده ما نصه :

«ومن جهل المفتي جموده على النصوص في الكتب غير ملتفت إلى العرف »

وفي المادة ٣٩ من مجلة الأحكام العدلية التي استندوا اليها في أحكام الشفعة وغيرها « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » وفسرها الشراح بالأحكام المستندة على العرف والعادة ، إذ هما عرضة للتغير بتغير الناس والأحوال ، بخلاف الأصول العامة للأحكام التي وضعها الاسلام ، فهي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ، ولا تتبدل بتبدل الشعوب والأقوام ، كالمساواة في الحقوق ، وإقامة القسط « ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ومن قواعده المأخوذة من نصوصه الكثيرة « اليسر ، ورفع الحرج والعسر ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن استنباط الأحكام من مآخذها وأدلتها مبني على درء المفاسد وجلب المصالح » فأية قاعدة من هذه القواعد الثابتة يجوز هدمها أو الخروج عليها ؟

وكقوله في ص ١٤٠ وهذا ما حمل المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية على ترك المذهب الشافعي واعتناق المذهب الحنفي حتى تسنى له الارتقاء إلى مركز الإفتاء » والصواب أنه كان مالكي المذهب من قبل كما ترى في مقدمة تقريره في إصلاح المحاكم الشرعية (المطبوع بمطبعة المنار سنة ١٣١٧ هـ ١٩٠٠ م) وإنما الذي كان شافعياً هو صديقه الشيخ عبد الكريم سلمان أحد قضاة المحكمة الشرعية العليا بمصر ، وفي الكتاب أغلاط مطبعية وشبه مطبعية تركناها لطول المقام .

والكتاب جميل التبويب ، كثير العناوين ، جليل النقول ، جيد التحليل والتعليل ، حري مؤلفه الفاضل بالثناء الطيب والشكر الجزيل .

محمد بهجة البيطار

تراجم أعيان دمشق

في نصف القرن الرابع عشر الهجري ١٣٠١ - ١٣٥٠

« هو ذيل لروض البشر في أعيان دمشق في القرن الرابع عشر »

للأستاذ محمد جميل الشطي

طبع بمطبعة دار اليقظة العربية بدمشق

هذا كتاب سلك فيه مؤلفه الطريقة التي سلكها في كتابه السالف «روض البشر» مع اعتدال قليل في الحكم على الرجال بيد انه ما زال حكمه يغلب فيه على المؤلف حسن الظن، فيذكر الحسنات وربما جسمها ويغضي عن السيئات جملة وبذلك تصعب معرفة صاحب الترجمة على حقيقته .

وقد وقع له ان ترجم لأناس هم في حكم العامة والأميين لم يؤهلهم للذكر الا انه كانت لهم وظائف ومراتب ما كانوا فيها ايضاً ممن تحمد سيرتهم ، والمؤلف مثلنا يعرفهم ويعرف مقاماتهم وقبيح صفاتهم لكنه رأى السكوت عنها أسلم وأخذ بحنبليته ولا يلام المرء على اجتهاده .

محمد كرد علي

قضية العرب

ألفه الأستاذ علي ناصر الدين

ونشرته : دار العلم للملايين ببيروت

هذا الكتاب كتاب ايمان ، ألفه رجل مؤمن بوطنه وقومه ، ايماناً مجرداً عن كل مطمع إلا مصلحة أمته واعلاء شأنها . واهداه (الى روح فيصل الكبير ، الزعيم ، والقائد ، والملك الخالد ، الى ارواح الذين استشهدوا في سبيل قضية العرب في كل معصر منذ ان تفتق ضمير الدهر عن هذه القضية . . . . . الى المؤمنين الذين اشتغلوا ويشتغلون لهذه القضية . . . . .)

يسرد المؤلف في مقدمة كتابه حكاية هذا الكتاب ، كيف ألفه وكيف حال بعض أصدقائه الحاكين دون طبعه ، وينتهي من هذا الى قوله : (وبعد

فلست اعرف من بين امم الدنيا ، امة نزل بها من الكوارث والمحن ما نزل بهذه الأمة العربية في عهد من الانحطاط طال امده ، ولم تفنَ ، او تندمج في غيرها من الأمم ، او يشد عليها الشلل على الأقل ، غير هذه الأمة) .

ويجعل المؤلف كتابه حواراً : سؤالاً وجواباً فيتناول : الرسالة القومية ، والعربية والأقطار العربية ، والأمة ووحدة اللغة ، والعادات والتقاليد ، والميول والرغبات . وكلها من مقومات الأمة ومشخصاتها التي توفرت في هذه الشعوب العربية التي تقطن الأقطار العربية .

ثم يعود فيبحث في الأمة العربية وبقية الأمم ، وفي موجات الجزيرة ، والعرب بعد الرسالة ، والاقليمية الهدامة ، والوعي القومي ، وتاريخ العرب والحكومات العربية ، والقومية والدين .

وهو في ابحاثه هذه يثبت عروبة الأقطار العربية ، وعروبة الناطقين بالعربية ، ويؤيد وحدتهم ، ويدفع التهم الباطلة الموجهة اليهم ويدحض الافتراء التاريخي الذي يزعمه الشعوبيون وغيرهم من اعداء العرب .

كل هذا بعبارة بينة ، وحجة دامغة ، ونصوص تاريخية استشهد بها من اقوال العرب وغير العرب .

عارف النكدي

نظام الحكم في العراق

تأليف الدكتور مجيد خدوري

الأستاذ بدار المعلمين العالية

هذا الكتاب وضعه صاحبه رسالة باللغة الانكليزية ثم نقله الى اللغة العربية بمعاونة بعض اصدقائه . في جملة ابحاث هذا الكتاب : تأسيس الدولة العراقية ولمحة عن تاريخ العراق . والحكومة العراقية . وتجربة الانتداب . وتحرير العراق من الانتداب . ووضع الدستور العراقي ومصادر هذا الدستور والمجلس التأسيسي والجهاز الحكومي ... والتنظيمات الادارية والنظام القضائي . والادارة العامة

والوزارات العراقية والسلطة التشريعية والأحزاب السياسية والقوى المؤثرة في سير الحكم ٠

وكليا من الأبحاث القانونية التي عالجها المؤلف فوفاها حقها وكشف بها عن نواحٍ مهمة من نواحي نظام الحكم في العراق ٠

والكتاب يحتاج اليه كل عراقي ، بل كل عربي ٠ فنشكر للمؤلف عنايته ولمن عاونه جهودهم ٠

ع ٠ ن

التشريح الطبي الجراحي لمؤلفه الدكتور مصطفى شوقي

ان مؤلف هذا الكتاب هو شيخ المشرحين في سورية فقد رافق المعهد الطبي منذ نشأته وشغل منصب استاذ التشريح فيه منذ تأسيسه حتى إحالته على التقاعد ٠ وقد رأى معهد الطب حاجة ماسة الى علمه وعلوّ كعبه في الفرع الذي يدرسه فرجا منه ان يظلّ مشرفاً على هذه الشعبة ومثابراً على القاء محاضراته فلبى الطلب وهو لا يزال يشغل حتى اليوم منصب استاذ التشريح في الكلية ٠ والكتاب الذي اتحفنا به المؤلف وطبعه في مطبعة الجامعة السورية بدمشق في السنة ١٩٤٦ فريد في بابه فلسنا نذكر ان في خزائن الكتب العربية مؤلفاً بهذا الموضوع ٠

ان كتاباً كالتشريح ولا سيما كالتشريح الطبي الجراحي او ما كان يُسمى التشريح الناحيّ لا يُعدُّ كتاباً مفيداً الا اذا زيّن برسوم ملونة تسهّل على المطالع ما يقرأه فيه وقد خلا الكتاب من هذه الرسوم ، لا عن اهمال بل عن تعذّر بلوغ هذه الغاية فان صنع الرواسم (الكليشات) في سورية لم يبلغ من الرقي درجة كافية تمكن المتهن من صنع رواسم ملونة متقنة ، حتى ان هذه الرواسم ولو صنعت في خارج سورية لما استطيع طبعها باتقان لأن فن الطباعة عندنا لا يزال في مهده ، وترقيتُهُ وابلاغُه الى مستوى رفيع لائق بمكانة البلاد امرٌ واجب ، كيف لا والكتب العلمية اجمالاً تفقد كثيراً من قيمتها اذا لم تبرز بحلة جميلة ولم تزدن برسوم ملونة متقنة ، وان التعب الذي يعانيه المؤلف في طبع

مؤلفه يكاد يعادل الجهد الذي يبذله في وضع تأليفه . فلا عجب ، والحالة هذه ، اذا ما خلا هذا الكتاب المفيد من الرسوم الملونة لأن تزيينه بها يكاد يكون أمراً مستحيلاً .

واذا استثنينا هذا النقص في الطباعة وبعض الأخطاء اللغوية وبعضاً من المصطلحات التي لا توافق الأستاذ الزميل عليها كان الكتاب مثالاً للكتب العلمية التي يجدر بكل طبيب اقتناؤه لما فيه من الأبحاث المفيدة ولأنه كما قلنا فريد في بابه ولا مثيل له في اللغة العربية . واننا لنؤمل ان تكون الطبعة الثانية منه أكثر اتقاناً ولائقة بما في هذا الكتاب من الفرائد .

اما ابحاث هذا المؤلف فشاملة لأرجاء الجسد كافة : القحف والوجه والعنق والصدر والبطن والأطراف وجهاز الرؤية وقد درست في كل من هذه الأقسام النواحي التي تقع فيه ففي الوجه مثلاً درست النواحي التالية : الشفوية ، والذقنية ، والخدية ، والماضغة ، والجناحية الفكية ، والحنكية ، والبلعوم ، والخلاء حوله ، والنكفية ، وقرب اللوزة ، واللسانية ، وتحت اللسان ، وفوق اللامي .

يتبين من هذا ما يشتمل عليه هذا المؤلف من الأبحاث الواسعة المفيدة . وقد وُصفت في كل ناحية الطبقات التي تتألف منها منذ السطح حتى القحف وما يمرّ فيها من الأعصاب والشرايين والأوردة وعروق اللنفا والعضلات وغير ذلك .

ان هذا الكتاب قد سدّ ثلمة كبيرة في لغة الضاد فالى زميلنا الأستاذ أصدق تهانينا بكتابه الفريد .

الدكتور مرشد خاطر

السير برسي نن : التربية ، حقائقها وأصولها الأولى

عربه الأستاذ عبد العزيز ابراهيم البسام . ونشرته لجنة الترجمة والتأليف والنشر في وزارة المعارف العراقية . طبع في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٤٦
عدد صفحاته ٣٨٣ من القطع الوسط

مؤلف هذا الكتاب هو استاذ التربية بجامعة لندن ومن كبار العلماء المعاصرين

وأعلامهم كعباً وأبعدهم أثراً ، عرض في كتابه هذا لكثير من المباحث الجليلة كالبحث في هدف التربية ، والحياة الفردية ، وارادة الحياة ، والذاكرة ، وعلاقة الدافعة بالحافظة ، واللعب ، والحرية ، والطبع والتطبع ، والقياس العقلي ، والاحتذاء ، والغريزة ، ونمو الذات ، واداة المعرفة والعمل ، وتطور الفكر ، والمدرسة والفرد .

أما مذهبه في التربية فهو كما قال المعرب الأستاذ عبد العزيز ابراهيم البساء تأييد للنزعة الطبيعية وتجديد لها . «فهو يرى ان التربية يجب ان ترمي الى اعانة الناشئين على ان يبلغوا أسمى ما تسمح به طبائعهم من مراتب النمو والامتياز الفردي . وهو يدعو الى الحرية الفردية ، ويرى انها ميزة تتصف بها الحياة في جميع درجاتها . وليس في هذا اضعاف لواجبات الفرد الاجتماعية او انتقاص من مطالب المجتمع وحاجاته ، لأن الميل الاجتماعي كما يرى المؤلف انما هو جزء أصيل في النفس الانسانية لا تستطيع الافلات منه» .

وقد أحسن المعرب بنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية لأنه من الكتب الأساسية التي نحتاج اليها في توجيه تربيتنا القومية واصلاح طرق التعليم في العالم العربي .

الا ان رغبة المترجم في المحافظة على الأصل قد أوقعته في الغموض والالتباس ، ولو عُني بوضوح عبارته عنايته بالمحافظة على المعنى لسهل على القراء فهم الكتاب دون الرجوع الى أصله الانكليزي .

وفي الكتاب هنات لغوية ، ينبو عنها الطبع ، لو سلم المؤلف من الوقوع فيها لجاء عمله أكمل وأدق .

جميل صليبا

Excavations at Dura - Europos . Final report IV . Part III , the lamps , by P. V. C. Baur .

حفريات دورا – اربوس ، القسم الثالث من التقرير الرابع النهائي : السرج – وضعه السيد بور . يقع في (٨٤) صفحة من القطع الكبير و(١٦) لوحاً مصوراً. طبع بنيوهافن عام ١٩٤٧

يحتوي هذا التقرير على دراسة واسعة عن السرج الخزفية والمعدنية اليونانية

والرومانية التي اكتشفتها بعثة جامعة يال الأثرية اثناء حفرياتها في صالحية الفرات (دورا ـ اربوس) . وقد وصف المؤلف هذه السرج وصفاً دقيقاً ورتبها ترتيباً علمياً بحسب أشكالها وعصورها ، وقارنها بامثالها من السرج المكتشفة في حفريات البلاد المجاورة المعاصرة لدورا ـ اربوس ، وعززها بصور واضحة زادت البحث فائدة وسهلت الانتفاع به .

وتعطينا هذه الدراسة برهاناً جديداً على مدى تبادل المصنوعات بين بلاد الشرق الأوسط منذ أقدم العصور فجعلت منها وحدة اقتصادية اضمحلت معها منافساتها الاقليمية ومنازعاتها المذهبية التي كانت تعمل على تفرقة صفوفها والقطيعة بينها .

وقد توفق المؤلف في دراسته واتحف المشتغلين بعلم الآثار مرجعاً جديداً يستعينون به في أبحاثهم ويسهل عليهم عناء مهمتهم .

جعفر الحسني

مأساة هندسية أو النهر المجهول

للدكتور احمد سوسا في (٨٨) صفحة من القطع الصغير و (٥) مصورات
طبع في بغداد عام ١٩٤٧

استهل المؤلف كتابه بدراسة وافية عن منشأ نهر الجعفري الذي أمر بحفره الخليفة المتوكل في سامراء لايصال الماء الى المتوكلية مدينته الجديدة . وعلل في كتابه العوامل التي أدت الى فشل هذا المشروع . ونحن مع اعجابنا بدراسته الفنية لا نشاطر المؤلف فيما ذهب اليه في اسباب فشل هذا المشروع وتحامله على اصحابه ورميهم بالعجز وعدم الخبرة الفنية ، لأننا لم نجد في كل ما أورده في كتابه ما يبرر استنتاجه هذا ، بل وجدنا شواهد عديدة تدل على عظمة المشروع ومهارة أصحابه .

ان انحدار النهر بين صدره ونهايته لا يمكن الاعتراض عليه فهو يبتدئ بارتفاع (١٠٦) م · وينخفض الى (٨٧٦٥٠) م في نهايته ، ولذلك لا يعقل ان يكون اختلاف مناسيب ارتفاع النهر في قسمه الأوسط خطأً أساسياً في تخطيط النهر بل هو ناشئ عن صعوبة الحفر في بعض المناطق الصلبة وبطء العمل فيها حيث : « كانوا يحفرون حصاً وافهاراً لا تعمل فيها المعاول » . وهكذا فاجأتهم الأحداث بقتل المتوكل فحالت دون انجاز المشروع وأدت الى هجره حتى بقي مبتوراً كما عرفناه اليوم .

وأما رواية ابن ابي اصيبعة عن قصة النهر التي نقلها المؤلف واستشهد بها ليدعم نظريته ، فهي قصة ملفقة ينفيها الواقع . فقد جعلت حوادث هذه القصة قبل شهرين من مقتل المتوكل ، أي في أوائل شهر شعبان الموافق لمنتصف شهر تشرين الأول ، اي في الفصل الذي تكون فيه مياه دجلة في أقصى شحها وانخفاضها ، وقبل شهرين من موسم فيضانه على أقل تقدير . فكيف لنا والحالة هذه ان نوفق بين هذه الحقيقة وقول ابن ابي اصيبعة بأنه كان وقت فيضان دجلة والماء يغمر النهر ، ولا يمكن لمسند (؟) بن علي ان يتحرى حقيقة الاخطاء المرتكبة في حفر النهر الا بعض مضي أربعة أشهر .

كما انه لا يعقل ان يركن من يعتمدهم الخليفة في أمور خطيرة الى اقوال المنجمين في تقرير اعمالهم الرسمية حتى يبلغ بهم حد الاستخفاف بتنفيذ أوامر السلطان .

هذه ملاحظة أوردتها على هامش التاريخ كي لا يغمط حق الذين وضعوا اسس مشروع حفر هذا النهر العظيم ولدفع تهمة العجز عنهم . وكل هذا لا ينتقص من قيمة الكتاب ومافيه من دراسات فنية ممتعة تثير الاعجاب وتدل على سعة الاطلاع والعناية بالتدقيق والتحقيق .

ج · ع

آراء وأنباء

الأستاذ عبد الله مخلص

ولد في المحرم سنة ١٢٩٦ الموافق ٢٧ كانون اول سنة ١٨٧٨ في مدينة «عين تاب» من أعمال حلب موطن آبائه وهو من أسرة جاءت عين تاب من اليمن ، واستوطنت ودرجت مع الزمن وهي تعرف بأسرة شيجي خوجه زاده . وكانت اسرة علم وثقافة وقد تقدم أفرادها ، بكثير من الأعمال والخدمات الاجتماعية بما لهم من المواهب والعلم . ووالده محمد عبد الله كان من ضباط الجيش العثماني جاء بأسرته الى حيفا وكانت سن



ولده عبد الله تقرب من الرابعة ، وانتقل به والده الى جنين ، وبقي بها مدة حتى وافاه الأجل في ١٠ صفر سنة ١٣٤٢ الموافق ٢٢ ايلول سنة ١٩٢٣

وقد نشأ نشأة دينية صالحة على تربية علمية تقليدية ، وبدأ دراسته في مدرسة تدعى المكتب الرشدي في حيفا وكانت المدرسة جزءاً من الجامع على طريقتهم في ذلك الحين ، وقد استقى منها أول مؤهلات المعارف وكانت تعتبر مدرسة عالية وقتئذ . وكان حريصاً بالطبع على احراز أوفى ما يمكنه من العلم ، ودرس اللغات الثلاث ، العربية والتركية والفارسية دراسة خاصة ، وأتقن معرفتها ،

وجود أساليبها وفي سنة ١٨٩٩ أنهى المدرسة وعكف على التحصيل بنفسه مندفعاً بمواهبه ، سائراً بقوة من وراء الغيب ، لأن ُبعدَّ هذا الاعداد العجيب ، ولأن يكون علماً من أعلام العلم والثقافة والفضل ، فعمل على الاجادة والتحصيل ، ولم يدع عالماً أو أديباً أو مؤرخاً الا اتصل به ، وأخذ عنه واستفاد منه ، وأخذ يجمع نفائس الكتب ، وأمهات المصادر ، وانقطع عليها دراسة وتحقيقاً ، وقد استظهر كثيراً منها ، وجمع بين الدراسة التاريخية وبين الأدب والدين . وقد عكف على القرآن مدة يستظهره ويفسره ولم يدع أحداً لديه أثارة من علم الاّ اجتمع به واستوضح منه وروى عنه . وأما في الحديث فقد أخذ إجازته عن بعض الشناقطة المحدثين . ثم أخذ يخصص نفسه بدراسة التاريخ والآثار الشرقية فجمع لها المصادر ولم يكن كتاب مطبوع في هذه المادة الا استحضره أو استنسخه أو اطلع عليه واشتمله وأفاد منه . من أجل ذلك قد اجتمع لمخلص من النبوغ والتقدم ما لم يجتمع لأولئك الذين كانوا من أعمال الجامعات الكبرى في عصرنا الحديث . فعلم مخلص كان شاملاً في مادة التاريخ التي خصص نفسه بدراستها ، وشاملاً نواحي كثيرة في اللغة وآدابها وفي الأخلاق والأصول وسائر الفروع الدينية ولم تفته نظرية من نظريات العلم الحديث سواء أكانت في الفلسفة أم في الطبيعيات والفلكيات والنشوء والارتقاء ، فكان يملأ مجالسه علماً وينشر في هذه المجالس آراءه ، بعد المقارنة والنظر والمقابلة بين آراء الأقدمين وعلمهم ونواحي تفكيرهم ، وبين علم المحدثين وما وصلوا اليه . وكان المرحوم اسعاف النشاشيبي يقول : الجاحظ اعجوبة البيان ومخلص اعجوبة الزمان ، يعني بالزمان التاريخ . وأما في فضائله فليس لمخلص نظير . كان يمثل السمو في أرقى معانيه وهو على فضيلة من دينه وعلى كمال من دينه وفضله مما جعله نسيج وحده لا يدانيه كثير من ذوي المطامح الى الرجولة الكاملة . وله من مواقف الفضل ما يدل على قلبه الكبير ، ونفسه السامية ، وتفكيره الناضج ، ومن استوضح مخلصاً من خلال آثاره ومؤلفاته ، عرف ان مخلصاً كان أمة جمع في نفسه

ما تفرق من خلال الفضل في كثير من الرجال ، ونحن إذ نذكره بهذا الثناء ، نترك التاريخ يتمم ما عجزنا عنه من إيفاء الرجل حقه ، وعسى أن يمنحنا الله الاخلاص ، لنخرج له كتاباً يعرف مبلغ علمه ومقدار فضله ، ليكون مثلاً لمن أراد ان يكون معيناً في العلم لا ينضب ، ومصدراً لمكارم الأخلاق لا ينفد .

مؤلفاته

قد ترك ثروة من البحوث العلمية ، والتحقيقات التاريخية ، تقدر بقيمة كبيرة في ميزان الثقافة العربية ، وان هذه الثروة هي التي ستجعله خالداً في نفوس العلماء الذين يقدرون الانتاج العقلي ، والمواهب النابغة التي تزيد في قيمة الثقافة الشرقية العربية . فمن مؤلفاته المخطوطة (١) تاريخ المسجد الأقصى ، عرض فيه الأطوار التي مرت بهذا المسجد بطريقة فنية لم تعهد في كتابة التاريخ ، وقد حلّ جميع الكتابات المرسومة ، على جدران المسجد وصحح كثيراً منها مثل إسناد بناء قبة الصخرة الى المأمون (٢) تاريخ الخليل وقد صفى تاريخ هذا البلد مما علق به من تضليل الرحالة الاميركان في معالمه (٣) تاريخ صفد استنبط من تاريخ هذا البلد ما لم يستنبطه مؤرخ قبله اذ كان في تاريخ صفد كثير من الغموض وكثير من الاهمال (٤) تاريخ بيت لحم بيّن فيه معاني القداسة التاريخية التي زادت في قداستها الدينية . (٥) أعلام الاسلام في مواطن الانبياء . (٦) أدوات الحرب عند العرب بيّن فيه تطور الأسلحة العربية ، وتفنّن الدول في اعدادها ، ومبلغ نجاحهم فيه . هذا وله في اللغة ، كتب مخطوطة أيضاً . (١) أدوات الزينة عند نساء العرب ، وهو كتاب جميل في بابه يصور نظر المرأة الى تجميل نفسها من أقدم العصور (٢) ملابس العرب بيّن فيه الأدوات التي مرت بالملابس العربية وأثرها في تدرجهم في مضمار الحضارة وسرد ما لها من صفات ، في لغة العرب وأدبهم (٣) العاطفة عند العرب ، بيّن فيه فعل العواطف في العربي في مختلف أطواره ، وكيف تتحكم العاطفة فيه ، وتوجه سلوكه ، وتحمله على حفظ الذمار ، ومراعاة العهود ، والدفاع عن الجار

(٤) أبيات العادات ، بين فيه العادات العربية التي دلت عليها أشعارهم ، ونظمها أديبهم ، (٥) الثياب المنسوبة بيّن فيه مثل « القباطى » من النسيج المنسوب الى بلدان خاصة وما قيل فيها في اللغة والأدب . وحقّق كتاب الاشارة في من نال الوزارة وترجم عن التركية سيرة السلطان محمد الفاتح تأليف نامق كمال (٦) ما قيل في صفات البئر عند العرب وأسباب الاعتماد على أوصافها في استنباطها . هذا وله مقالات متفرقة في المجلات العلمية الكبرى وكثير من الجرائد ، مثل جريده الزمان ، واللواء ، والأسبوع ، والترقي ، وغيرها مما يصح أن يكون كتاباً جم الفوائد لو جُمع .

وظائفه

لقد تقلب في وظائف حكومية كثيرة ، وما كان تقديره خفياً في كل وظيفة أسندت إليه ، وقد أحرز رئاسات كثيرة في الأقلام والدوائر التي مرّ بها من البلديات ، والمعارف ، والادارات العامة ، وكانت له أعمال تجارية خلال سني الوظيفة ، وهذه الأعمال مما جملته كابن خلدون ، يخبر الحياة عن كثب ، ويعلم أثر الناس في تصريف التاريخ ، وصبغ الزمن بصفتهم ، وكانت آخر وظيفة شغلها ، وظيفة مدير الأوقاف الاسلامية العامة في فلسطين . تولى ادارتها سنة ١٩٣٨ وبقي حتى سنة ١٩٤٤ وله في وظائفه عمومها ، مواقف يضيق المقام عن سردها في مجلة المجمع الغراء . ويكفي أن نعطي فكرة عن تاريخه المجيد في شخصيته العلمية ، ونرجئ كل شيء عنه الى كتاب خاص . من أجل ذلك ، نضرب صفحاً عن ذكر حياته السياسية ، وانها من هذه الناحية ، حافلة بالأحداث الجسام ، مليئة بالمواقف المجيدة ، وان رجلاً فيه إخلاص مخلص ، وقد حضر الدولة العثمانية في عهديها ، عهد القوة ، وعهد الضعف ، وكان على مظهرين ، مظهر العلم والاخلاص للوطن ، ومظهر العقيدة العجيبة ، والايمان المكين ، ان رجلاً هذه مظاهره ، لابد أن يكون ، ذا تاريخ مجيد في الحياة السياسية ، والمفاخرات الوطنية ، ولقد صحّح قول ابن خلدون ، ان العلماء أبعد الناس عن السياسة

قولاً وعملاً . فقد جمع بين العلم والسياسة ، ودل على ان العلماء هم الذين يجيدون حبك النظم السياسية ، وخصوصاً بدافع الاخلاص ، والدفاع عن الحقيقة ، والاحتفاظ بالوطن ، موئل الدين ، وملاذ العروبة ، وقبلة الاسلام ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثالث من شهر صفر سنة ١٣٦٧ الموافق ١٦ كانون الأول سنة ١٩٤٧

محمد حسن مكي

المجمع العلمي العراقي

صدرت الارادة الملكية بانشاء مجمع علمي يعمل على العناية بسلامة اللغة العربية ، ونبش تاريخ علمائها وادبائها ومخطوطاتها ، وبالعلوم الحديثة وفنونها تأليفاً وترجمةً ، وغير ذلك مما له صلة به من مبارياتٍ ثقافية واتصالٍ بالجامعات والمجامع العلمية ، وعقد مؤتمراتٍ وانشاء دار طباعة ومجلةٍ ودار كتب .

وقد جُعل اعضاؤه اربعة أصناف : عاملين ومساعدين وفخريين ومراسلين وحُدّد عدد أعضائه العاملين بخمسة عشر عضواً .

وللمجمع (ديوان رئاسة) يتألف من رئيسٍ هو معالي محمد رضا الشبيبي (وزير المعارف الحالي) ونائبي رئيسٍ هما الأستاذان : توفيق وهبي (وزير المعارف السابق) والدكتور هاشم الوتري ، ومن سكرتير هو الدكتور جواد علي (بموجب انتخاب جرى في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٧) .

فنهنئُ القطر الشقيق بما وفق اليه من انشاء هذا المجمع كما نهنئُ اعضاءه الأفاضل بما نالوه من هذه الثقة . ونرجو لهم النجح والتوفيق .

انتخاب عضو عامل جديد

انتخب المجمع العلمي العربي في ٢٤ أيار سنة ١٩٤٨ معالي الدكتور منير العجلاني عضواً عاملاً مكان المرحوم الأستاذ عبد القادر المبارك . وقد صدر مرسوم تعيينه في ١ حزيران سنة ١٩٤٨ رقم ١١٨٥

مسألة الوصف بفعلاء

ومسائل أخرى

كنت أهديت الى عضو مجمعنا المستشرق الكبير الأستاذ كرنكو (أو سالم الكرنكوي) نسخة من كتابي (الاشتقاق والتعريب) (طبعته الأخيرة ذات الملاحق) فجاءني منه جواب ضمنه أبحاثاً ذات شأن ، وقد أحببت نشره في مجلتنا هذه ثم التعليق عليه موافاةً لرغبة الزميل المحترم وهذه هي صورة كتابه :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلني منذ أكثر من اسبوع كتاب (الاشتقاق والتعريب) تأليفكم هدية فأشكركم من صميم قلبي على همتكم العالية وما كنت أجيبكم حتى قرأت تأليفكم من اوله الى آخره . فأستحسن ترتيبكم المسائل المختلفة المتعلقة في هذا التفتيش[1] فأقول أولاً انه ليس على وجه الأرض لغة اكثر مأخذاً عن اللغات الأجنبية من الانكليزية لولا الهندية المسماة (أردو) إذ الهندية أخذت من كل أوب حتى المضحكات اما الاشتقاق فكانت لغة أهل اليمن قبل الميلاد تختلف كثيراً عن اللغة التي نعرفها من القرآن الشريف واشعار شعراء الجاهلية . ثم تغيرت هذه اللغة من قرن الى قرن حتى نجد في النقوش الحجرية زمان المبعث توافق أو كادت توافق لغة العرب في شمال الجزيرة وشبيه لهذا كانت لغة موجودة في النقوش في الشمال فان النبطية في أقدم النقوش كانت آرامية ومع الدهور تغيرت حتى نجد النبطية صارت عربية تدريجاً .

ولا أشك (وهذا رأيي الخاص) انه كان في القرن الأول الاسلامي اختلاف غير يسير بين لغتي قحطان وعدنان . ومن ذلك تلفظ حرف الجيم فان القحطانيين لفظوه مثل الحميريين اليوم وبالعكس العدنانيون تكلموا مثل اهل العراق والشام اليوم والله أعلم .

(١) أراد بالتفتيش ما نريده بقولنا (البحث) وهما بمعنىً واحد في اللغة لكنّ استعمال (البحث) أليق وأحسن وقعاً في الآذان .

كانت العرب قبل المبعث تأخذ من الفرس اكثر من الروم إذ الوفود الى ملوك الحيرة كانت اكثر من وفودهم الى ملوك غسان في الشام واما اللغة الفارسية القديمة فقد اختلفت من اللغة التي نجدها في أشعار اقدم شعراء الفرس : مثلاً الهاء في آخر كلمات كثيرة كانت كافاً الى نحو وسط القرن الثاني للهجرة ولهذا نجد في المعربات تارة الكاف والقاف وأيضاً الجيم والسبب في هذه الجيم تغير تلفظ هذا الحرف مع الزمان .

أما تدوين الألفاظ المعربة والدخيلة (وانا اجنبي ضعيف) فرأيي ان تدوّن بلا شك كل كلمة دخلت قديماً ولكن لا تدون الفاظ مثل بوسته بيونو الخ الفاظ مأخوذة من اللغات الفرنجية الحديثة ولكن هذا عمل المجامع : المجمع العلمي العربي والمجمع المصري .

أما الأساليب الأجنبية المدخلة في المجلات والقصص فشيء آخر فكانت عندي انا الذي كنت أدرس الآداب القديمة الى وقت سقوط بغداد ـ غريبة جداً . ورأيي ان هذه الأساليب ليست من عبقرية اللغة العربية ولكن اللغات كلها تنمو وتتغير من دهر الى دهر بما تستعملها العامة وليس للعلماء القدرة ليوقفوا ما اعتقدوا انه يفسد اللغة الفصيحة وشاهد لهذا الكتب العديدة المؤلفة في خطأ العوام

لو كنت اريد ان اذكر اغاسن كلها لكتابكم لكتبت ورقات ولكن اذكر ان في ما أعلم اول من اعتنى بذكر المعرب جملة هو ابو بكر ابن دريد في الجمهرة ثم وجدت ان ابن الجواليقي في معرّبه لخص ما أورد ابن دريد وزاد حسب بحثي كلمة واحدة . ذكر ذلك أيضاً الأستاذ عبد الستار الصدّيقي أحد علماء الهند في رسالة طرحها منذ سنين لنيل درجة الدكتورية في ألمانية وقد استقصيتم في كتابكم كل ما يتعلق بهذا الأسلوب فأشكركم لعملكم الصالح رجاء ان تفيد به مؤلفي المستقبل .

تبقى لي مسألتان كنت أتفكر فيها لعلكم تتفضلون بالجواب في مجلة المجمع

العلمي . اولها اني أرى المؤلفين بلا استثناء يكتبون اللغة الفصحىّ مكان اللغة الفصيحة وبعد البحث لم أجد المؤنث فصحى في اللسان ولا في غيره من معاجم اللغة

والثانية استعمال المؤنث مكان الجمع وهو فاش في مصر والشام والعراق وليس في المغرب : أمثال :

محمود تيمور ما تراه العيون ص ٢٨ وهو بعدو بين المروج الخضراء . .

محمود تيمور رجب افندي ص ٢٥ بعض اشباح بيضاء

محمد طاهر لاشين حواء بلا آدم ص ٧٨ كانت القوائم سوداء ثم ابيضت

محمد امين حسونه الورد الأبيض ص ٥٦ في ملابسهم المفضضة البيضاء

عبد الرزاق الحسيني تاريخ البلدان العراقية الطبعة الثانية ص ٤٥ والمروج الخضراء

ويكثر هذا جداً ولولا اني مريض لأوردت شواهد كثيرة . ولعلكم تتفضلون بايضاح هذا الاصطلاح .

وفي الختام رأيت وهماً عجيباً في كتابكم عند إيراد بيت لأبي دؤاد الأيادي الجاهلي ص ٥٩ وانما يصف بهذا البيت فرساً فالشوهاء الفرس الواسعة الفم وقد كثر انشاد هذا البيت وله شرح في كتاب الاقتضاب طبعة بيروت ص ٣٢٦ وأيضاً في لسان العرب ١٠/٣٧٨ و ١٧/٤٠٣ و ١٥/٣١٦ وفي كتاب الخيل لأبي عبيدة وفي غير ذلك من المصادر .

وفي الختام أكرر جزيل شكري . سالم الكرنكوي

هذا هو كتاب العلامة كرنكو بنصه وأعلق عليه مجاوباً له بما يلي :

أشكر لكم ملاحظتكم على بيت ابي دؤاد :

(وهي شوهاء كالجوالق فوها مستجاف يضلّ فيه الشكيم)

وقد جاء الوهم فيه من جهة الظن أن كلمة (شوهاء)جاءت من تشويه الخلقة الذي لا يوصف به عادة الا الانسان . اما هو في الخيل فبمعنى سعة الفم ، وفي هذا المعنى ورد قول الايادي في بيته المذكور .

وقولهم (الفُصحى) في وصف (اللغة) صحيح بمقتضى قاعدة تأنيث (أفعل) على (فُعْلى) نحو افضل وفُضلى ، وأمثل ومُثلى ، وأكبر وكُبرى ، وكذا أفصح وفُصحى ، فتكون فصحى تأنيثاً لأفصح لا لفصيح الذي يقال في تأنيثه فصيحة بالتاء . وانما لم تذكر المعاجم صيغة (فصحى) للعلم بأنها من متناولات القاعدة المذكورة وقد استعمل العلماء صيغة فصحى في كلامهم : ففي شرح الألفية لابن عقيل عند قول ابن مالك :

(وتلو أَلْ طبقٌ وما لمعرفة أُضيفَ ذو وجهين عن ذي معرفة)

فقد فصل الشارح القولَ في حكم أفعل التفضيل المضاف الى معرفة ، وانه تجوز فيه المطابقة لما قبله وعدمها ، وان المطابقة أفصح ، ثم قال ما نصه : (ولهذا عيب على (ثعلب) صاحب الفصيح قوله : فاخترنا أفصحهن (أي أفصحَ لغات العرب) قالوا : وكان ينبغي أن يأتي بالفُصْحى فيقول فُصحاهن اهـ) .

فهذا نصٌّ صريح في جواز استعمال وصف (الفُصحى) مؤنث الأفصح في وصف (اللغة) وقد نطق به أشهر نحوي في المتأخرين .

أما قولكم (والمسألة الثانية استعمال المؤنث مكان الجمع الخ) فتريدون أن تقولوا : (إن استعمال (فَعْلاء) المؤنث وصفاً للجمع مكان فُعْل الخ) فكتّاب مصر والشام والعراق يستعملون المفرد (فَعْلاء) مكان الجمع (فُعل) مذ يقولون مثلاً (المروج الخَضْراء) مكان (المروج الخُضْر) .

وهذه المسألة اللغوية تستحق ان تلقب بمسألة المسائل لكثرة ما تناظر فيها علماء اللغة والأدب وقد كنتم أنتم أول من نبَّه المرحوم الأب (انستاس الكرملي) الى الصواب فيها . فانتبه اليها ثم تبنّاها : فجعل يجادلهم ويجادلونه . ويجالدهم ويجالدونه . حتى قام الزميل الأستاذ مصطفى جواد فنقض على (الأب) دعواه بأنه أول من نبه الى هذا الغلط ورد الحق الى صاحبه .

وقد طال الجدل – كما اشرنا – بين (الأب) وبين علماء اللغة في الأقطار العربية . وتعرَّض لها المجمعان مجمع دمشق ومجمع مصر في غير ما مرة وفي

آخر جلسات مؤتمر المجمع المصري لعام ١٩٤٨ م ألقى الأستاذ (محمد الخضر حسين) بحثاً (أو تفتيشاً على حد تعبيركم) خاصاً بهذه المسألة (مسألة جواز وصف الجمع بفعلاء وعدم جوازه) . وفي آخر الأمر صرّح الأكثرون بجواز هذا الاستعمال . وذلك لقيام الشواهد المعتبرة عليه وان كانت قليلة نادرة . وهذه القلة جعلته غير فصيح ويكون الفصيح استعمال القرآن الكريم : فهو لا يصف الجمع الا بفُعْل الجمع لا بفعلاء المفرد فقد قال تعالى غرابيب سُود ولم يقل غرابيب سوداء فمسألة الوصف بفَعْلاء إذن أصبحت في حكم المنتهية إن شاء الله .

المغربي

بين اللغة والنحو [١]

لديّ بحثان في موضوعين لغويين نحويين يتجهان في طريقة إخراجهما اتجاهاً فيه تشابه ، وفيه تعاكس : احدهما عنوانه (توهم الأصالة) اي توهم أصالة الحرف الزائد في بعض كلمات من اللغة خولف فيها القياس . والبحث الآخر عنوانه (توهم الزيادة) اي توهم زيادة الحرف الأصلي في بعض كلمات من اللغة خولف فيها القياس أيضاً . وقد بُني على كل من التوهمين حكم . أما البحث الأول أعني (توهم الأصالة) فقد نبهني اليه خبرٌ رواه صاحب الأغاني عن عُمارة بن عقيل من شعراء البادية في القرن الثالث للهجرة :

كان عمارة هذا ممن يطرأ على الحضر فتؤخذ عنه اللغة : سمعه ابو حاتم السجستاني يوماً يقول في شعر له (الأرياح) بالياء في جمع ريح فقال له ابو حاتم : هذا لا يجوز انما هو الأرواح بالواو فقال عمارة معتذراً لقد جذبني اليها (اي الى أرياح) طبعي : أما تسمعهم يقولون (رياح) . فأجابه ابو حاتم نعم ! ولكن هذا شيء وذاك شيء آخر . اقول : والتفرقة بين الشيئين معروف لديكم فلا حاجة الى تفصيله .

---

(١) كلمة ألقاها الشيخ عبد القادر المغربي في احدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوي المصري .

فعمارة توهم أصالة الياء في (ريح) أي ظنها أصلية لا منقلبة عن واو فقال في جمعها أرياح والقياس أرواح .

وقد استملحت ما جاء في هذه الرواية من خبر هذا الأعرابي القح ، فرأيت ان افترصها واستنبط منها قاعدة لغوية عامة اسميها قاعدة (توهم الأصالة) أخرّج عليها ما ذكره علماء اللغة في تأويل بعض الكلمات المخالفة للقياس في صيغتها ، وأضيف الى كلماتهم التي ظفرت بها كلمات أخرى من بابتها كنت أهتدي اليها من وقت الى آخر . وأجعل كل ذلك مقيساً بموجب قاعدة (توهم أصالة الحرف الزائد) .

وعلماء اللغة ـ وإن كانوا أنكروا على عُمارة قوله (أرياح) ولم يَرْضَوْا منه اعتذارَه بانجذاب طبعه اليها ـ فانهم عادوا هم أنفسهم فقَدَّرُوا توهمه وانجذابَ طبعه قدرهما ، وجعلو يعللون ما خالف القياس من الكلمات بما اعتذر هو به : أعني بتوهم أصالة الحرف الزائد . حتى إنهم سوّغوا أرياح في جمع ريح وعلّلوه بالتوهم وقاسوا عليه (أعياد) في جمع (عيد) وان كان القياس ان يقال (أعواد) بالواو لأن اصل (عيد) عِوْد ، لكن العرب توهموا أصالة الياء فيها اي في (عيد) فجمعوها على اعياد . وهو عذر عمارة نفسه في قوله (أرياح) .

وها كم مثالاً آخر مما خرجوه على قاعدة التوهم : قولهم (تمنطق) فعلاً مشتقاً من كلمة (مِنطقة) ومعنى تمنطق شد المنطقة على وسطه . وكان القياس أن يقال تنطّق من دون ميم ، لكنهم توهموا أصالة (الميم) الزائدة في منطقة وانجذب طبعهم الى إقحامها (اي الميم) في صيغة الفعل ، فقالوا (تمنطق) على نحو صنيع عمارة بن عقيل في توهمه وانجذاب طبعه في أرياح .

ولا يخفى ان هذا التوهم لا يؤخذ به في تعليل كل كلمة خالفت القياس ويكون فيها حرف زائد وانما يؤخذ به في بعض الكلمات مما يكثر دورانه

على الألسنة ، بحيث يُخيَّل الى الناطقين به انه اسم جامد : ككلمات ريح وعيد ومنطقة وغيرها مما ذكرته المعاجم ، عدا ما لمحته أنا من هنا وهناك حتى بلغ مجموعه اكثر من خمسين كلمة ، وهو مقدار كافٍ في اعتقادي لتُبنى عليه قاعدة (توهم أصالة الحرف الزائد) .

وآخرُ تلك الكلمات ما سمعته هنا (أي في مصر) مما ينتظمه بحثي هذا ويدخل في موضوعه قولُ بعض الكتاب (تَمَجْمَعَ وتمجمعوا) يريد انتُخب وانتُخبوا اعضاء للمجمع . وقول أديبة مشهورة (مُصَيْف) في تصغير من اسمه (مصطفى) ـ كل ذلك من توهمهم أصالة (الميم) في كلمتي (مجمع) و (مصطفى) وانجذاب طبعهم الى إدخالها في صيغة فعليها على غير القياس والقياس (تجمّع) و (صُفَيّ)

وعلماء اللغة لم يأتوا في تعليل مخالفة القياس في هذه الكلمات بأكثر من قولهم (توهم أصالة الحرف) من دون ان يُشيروا الى ان هذا التوهم قاعدة يصح القياس عليها . أما أنا فقد اقتحمت العقبة وجعلتها قاعدةً مقيسة لكثرة الكلمات التي ظفرت بها كما أشرت آنفاً .

وسأفرد لهذا البحث بحث (توهم أصالة الحرف) مقالاً أسهب فيه الشرح وسرد الكلمات التي قلت إنني ظفرت بها ، وأتلوه عليكم في احدى جلسات المجمع من عام قابل ، إن كان في العمر بقية .

أما حديثي في هذه الجلسة فهو في الموضوع الآخر ، المشابه للبحث الأول من جهة ، والمعاكس له من جهة أخرى ، كما أشرت اليه في صدر المقال . وقد سميته (توهم الزيادة) أي زيادة الحرف الأصلي في الكلمة ، بحيث يسوّغ لنا هذا التوهم استعمال تلك الكلمة وان كانت مخالفة للقياس في صيغتها .

وقد نشأت لديّ الفكرة في هذا البحث (أعني بحث توهم الزيادة) من عهد قريب ، ولذا لم يعلق بكفي من شواهدها الا كلمتان وثالثة أخرى .

(الكلمة الأولى)

قول العرب (أشياء) في جمع شيء . والإشكال في هذا الجمع أنهم منعوه من الصرف مع ان صيغته وهي صيغة (أفعال) ليست من صيغ الجموع التي اعتبروها علةً مانعةً من الصرف : فالخليل وسيبويه قالا في تعليل (أشياء) من الصرف إنّ اصلها (شيئاء) وان الألف والهمزة في آخرها للتأنيث وانها (أي شيئاء) جمع لشيء كما أن قَصْبَاء الممنوع من الصرف جمع لقَصَب . لكنهم (أي العرب) قلبوا أو يقال قدّموا همزة شيئاء الأولى وقالوا أشياء فبقي أشياء على رغم هذا القلب ممنوعاً من الصرف : لا بعلة أنه جمع بل بعلة ما في آخره من ألف التأنيث الممدودة .

وقال الأخفش والفراء مثل قول الخليل وسيبويه من أن أشياء ممنوع من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة في آخره ، لكنهما خرّجا (أشياء) ـ ليصح منعُه من الصرف ـ تخريجاً آخر فقالا : إن وزنه ليس فعلاء كقصباء كما قال الخليل وسيبويه . وانما وزنه (أفعِلاء) كأَنْصِباء في جمع نَصيب : فأشياء اذن أصلها أشْيِئاء حذفت همزتها الوسطى فأصبحت أشياء وبقيت ممنوعة من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة في آخرها .

وفي كلا القولين تعسّف . وفي تخريجها إبعاد وتكلّف . وكأنّ الكسائي رحمه الله لاحظ هذا منهما فرأى رأياً في منع صرف (أشياء) فيه تقريب ، وفيه تسهيل ، وفيه مكافحة الواقع وجهاً لوجه من دون مراوغة . غير أن قوله جاء مدمجاً رأيت تبسيطه على هذه الصورة :

إنّ وزن أشياء (أفعال) لا (شيئاء) ولا (أشْيِئاء) وهو (اي أشياء) جمع لشيء كما أن أفياء جمع لفيء . وأفياء مصروف لأن همزته الأخيرة أصلية لا زائدة للتأنيث . فيكون أشياء مثله (أي مثل أفياء) مصروفاً . لكنهم منعوه من الصرف لأمرين :

(الأمر الأول) كثرة استعماله وتكرره في كلام الناس فمنعوه ابتغاء التخفيف و (الأمر الثاني) مشابهته (اي مشابهة أشياء) لحمراء .

هذا ما قاله الكسائي وقد أصاب لعمري . ولا افهم من قوله (مشابهة أشياء لحمراء) الا أن العرب أُلبس عليهم أمر همزة أشياء الأخيرة فتوهَّموها زائدة كزيادة همزة حمراء ، ولا سيا أن قبلها ألفاً كألف حمراء . وحمراء ممنوعة من الصرف فتكون (أشياء) مثلها ممنوعة .

وهذا ما جعلني أقول إن منع أشياء من الصرف إنما وقع بناء على توهم الزيادة أي زيادة همزتها الأخيرة والا فهي أصلية محضة كهمزة أفياء .

وبهذه الطريقة نكون قد وقعنا على قاعده جديدة في اللغة أو في النحو فيها لين ، وفيها سهولة ، وفيها تخفيف ورحمة ، ونسميها (قاعدة توهم الزيادة) بحيث يصح لنا أن نخرِّج عليها بعض الألفاظ التي خولف فيها القياس .

هؤلاء علماء اللغة رضوا لأنفسهم ان يقولوا تمنطق بناء على توهم اصالة الميم في (منطقة) فلماذا لا نرضى لأنفسنا أن نقول ان منع صرف (أشياء) كان بناء على توهم زيادة الهمزة في آخرها استئناساً بقول الكسائي ، ثم نتخذ من قوله مستنداً لرأينا ؟

(الكلمة الثانية)

والكلمة الثانية المضروبة على غرار (أشياء) في كون منعها من الصرف مبنياً على القاعدة التي سميتها (توهم الزيادة) ـ قولهم (بُرَآء) على وزن (غُراب) في جمع (بريئْ) .

وبديهي ان الهمزة في آخر (بريئْ) أصلية لانه وصف من البُرْء فيكون (بُراء) الذي هو احد جموع (بريئْ) منوناً مصروفاً لا ممنوعاً من الصرف لعدم وجود علة المنع فيه ، لكن قوماً منعوا (بُراء) من الصرف لأنهم استبعدوا ان تكون جمعاً لبريئْ ما لم يكن أصلها (بُرَءاء) بهمزتين بينهما

ألف مد : الهمزة الأولى اصلية ، والثانية لإفادة الجمعية والتأنيث . فبُرَءاء اذن جمع مضروب على غرار فُقهاء في جمع فقيه وكُرماء في جمع كريم ونحوهما . وهذه الجموع ممنوعة من الصرف لمكان الف التأنيث فتكون (بُرَءاء) أيضاً ممنوعة . غير انها (اي بُرَءاء) لم تبق على حالها وانما تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى واصبحت (بُراء) على وزن غُراب . وبقيت بعد هذا الحذف ممنوعةً من الصرف كأصلها الذي هو (بُرَءاء) .

وفي هذا التخريج لمنع الصرف تعسّف صارخ لا يخفى . والأحجى بالقبول ان نخرّج منع (بُراء) من الصرف ـ عند من يقول به ـ على قاعدة (توهم الزيادة) اي توهم زيادة الهمزة التي في آخرها لافادة التأنيث ، وبسببها منعت من الصرف ، وان كانت الهمزة في الواقع ونفس الأمر اصلية كاصالة همزة أشياء .

ومحصل القول ان علماء اللغة خرّجوا بعض الصيغ الشاذة على قاعدة (توهم الاصالة) كجمع أرياح وفعل تمنطق وانا خرجت هذين الجمعين (أشياء) و (بُرَاء) الممنوعين من الصرف على قاعدة سميتها (توهم الزيادة) محاكاةً لتسمية القاعدة الأولى .

واذ قد تقرر في علم الأصول أنه لا بد في الاجتهاد الديني من سنَد مأثور يَستند اليه المجتهد فقد جعلتُ مستندي في إثبات قاعدة (توهم الزيادة) قولَ الإمام الكسائي في تعليل منع صرف (أشياء) : (إنها أشبهت حمراء) وهذه المشابهة جرّت الى الاشتباه . والاشتباه والتوهم أخوان رضيعا لبان .

وغرضي مما عرضته ان يكون لدينا قرار من المجمع في أن منع الصرف في (أشياء) و (بُرَاء) انما جرى على توهم زيادة الهمزة فيهما فُنماء وهذا القرار يؤدي بالطبع الى شيء من تيسير قواعد اللغة العربية أو تيسير (عملية) الاعراب على الأقل : فبدل ان يقول الطالب في إعراب قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياءَ) ان أشياء ممنوعة من الصرف لمكان الهمزة الزائدة في آخرها وهو قول كذب حِبْرِيت ـ يقول الطالب إن (أشياء) ممنوعة من الصرف لتوهم زيادة همزتها

الأخيرة . وهذا التوهم حق لا ريب فيه : بدليل منعها (أي منع أشياء) من الصرف . ويسهل حينئذ تغيير الضابط المشهور من قولهم (موانع الصرف تسع كلما اجتمعت) إلى قولنا (موانع الصرف عشر) .

(الكلمة الثالثة)

ويمكنني أن أعد من أمثلة (قاعدة توهم الزيادة) كلمة جرى (توهم الزيادة) فيها على نمط آخر غير ماجرى عليه في (اشياء) و (بُراء) وهي كلمة (أملاك) جمعاً لملك مراداً به واحد ملائكة السماء فان القول المشهور في تصريف (مَلَك) ان اصله (مألك) مشتقاً من (الأَلوك) بمعنى الرسالة . والفعل منه (ألَكه) اذا أبلغه الرسالة . فحدث في (مألك) قلب (أي تقديم وتأخير) وقيل ملأك ثم حذفوا الهمزة تخفيفاً فقيل (مَلَك) ، ويجوز إبقاء الهمزة مع تسهيلها ألفاً : فيقال (مَلاَك) . وقد غلب هذا التسهيل في اللهجة النصرانية : مَلاَك الرب و ياملاكي . كما غلب حذف الهمزة في اللهجة الاسلامية وفي القرآن (إنْ هذا إلاّ مَلَك كريم) .

ثم ان مَلأك ومَلاَك يجمعان على ملائكة وهو القياس أما مَلَك المستعملة في اللهجة الاسلامية فتجمع أيضاً على ملائكة باعتبار ان الجموع ترد الأشياء الى أصولها : إذ أن أصل مَلَك مَلأك كما مر . لكن العرب كما جمعوا مَلَك على ملائكة جمعوه أيضاً على (أملاك) . وجمعه على أملاك ليس قياساً لأن القياس ان تَرُدَّ الجموعُ الأشياء الى أصولها ، واذا رُد ملك الى أصله حين إرادة جمعه قيل ملأك ويكون جمعه ملائكة لا أملاك .

فكيف جمع على أملاك اذن ؟ جُمع على أملاك بناءً على ان العرب توهموا الهمزة في ملأك زائدة لا أصلية وان ميم (ملك) ولامها وكافها هي كل حروفها . وما كان على وزن فَعَل صحيح الحروف يجمع على أفعال كفرس على أفراس ، وفلك على أفلاك . وهكذا جُمع (مَلَك) على أملاك ، بناءً على توهم زيادة

الهمزة في (مَلْأَك) ولولا هذا التوهم لوجب أن يقال في جمعه ملائكة أما الآن فله (أي لَلَك) جمعان جمع جاء على الأصل المقيس وهو (ملائكة) وجمع غير مقيس وقد جاء على توهم زيادة الهمزة وهو (أملاك) .

وما لي لا أقول إن جمع مَلَك على أملاك فيه عمل بالقاعدتين (قاعدة توهم الزيادة) بالنسبة الى زيادة الهمزة كما قلنا و (قاعدة توهم الاصالة) أيضاً بالنسبة الى ميم (ملك) فان الميم زائدة فيه كما مر من ان اصل المادة (ألك) ، فكان القياس ان يقال مثلاً في جمع ملك (ألائك) بحذف الميم بناء على ان الجمع يرد الأشياء الى أصولها ، لكنهم لم يقولوه وانما قالوا في جمع (ملك) املاك متوهمين ان الميم فيه أصلية فأقحموها في الجمع . وهذا أي اجتماع قاعدتي التوهم في لفظ واحد ثلاثي من لطائف الاتفاق .

المغربي



إنسان العيون — ابن أبي عذيبة

جواباً على تعليق الدكتور مصطفى جواد

كنت قابلت إنسان العيون بابن أبي عذيبة فتبين أنه عينه . وهذا واضح لا لبس فيه ، صريح يفهمه كل أحد ، وذكرت ذلك سنة ١٩٣٩ م في تاريخ العراق (ج ٣ ص ١٤١ ـ ١٤٢) كما أشرت في مقالي الأخير ، فأي دليل أقدمه غير مقابلة النسخ ؟ لم أجبر أحداً أن يقبل ذلك ، وإنما يهمني أنني ذكرت ما اعتقدت صحته ، أو أنه الصواب ، وبينت أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد . والاشتباه له حدود ، فأبدى الدكتور مصطفى جواد شبهة ، ولا كشبهة ابن كمونة ، ولم يعين سبباً سوى ما ذكر من أنه طالب معرفة في حين أنني قد سبق أن أخبرته بذلك .

يوضح هذا أن الدكتور كان — كما قال — اتصل بإنسان العيون من سنة ١٩٣٤ م . ولما نشرت التاريخ راجعني في نصه مستوضحاً ، وكان آنئذ في باريس

في التحصيل . فبينت له أن الأستاذ الكرملي كان قد نقل النسخة المصورة الى خط آخر، وسألني عن مؤلفها فتصفحتها، وكنت آنئذ قريب العهد بمطالعة كتاب ابن أبي عذيبة، فرأيت فيه أمراً لا يهمل وهو قوله (وممن توفي في خلافته) وجهات أخرى كانت قد علقت في الذهن من مادة الكتاب، فقلت له: هذا تاريخ ابن ابي عذيبة، وطلبت أن أقابله بنسختي لأتأكد، فأعطاني الكتاب، وبعد المقابلة وجدته عينه، وأخبرته بذلك، فكان الباعث للتدوين في تاريخ العراق، وبسطت للدكتور ما جرى .

وفي هذه المرة أعاد (الشبهة) استدلالاً من أنني قابلت نحو عشرين صفحة فلم أجد إلا بعض الكلمات شذت عن النظر، أو غابت عن الكاتب الناسخ، وترجمة صغيرة قد طويت وبينتُ له السبب في أن الاسم متفق في تلك الترجمة واسم الأب كذلك، فزاغ بصر الناسخ منها الى الترجمة التالية . وهكذا في مقابلتي هذه المرة قد عينت ما فات، ودوّنته في نسختي، وذكرت الاختلاف بين النسختين، وهو لا يذكر في مقابلات الكتب مع أنه مجلد ضخم، وأن (كتاب المستجاد) قد ظهر في بعض نسخه ما لم يوجد في الأخرى، وكذا في كتب عديدة قد يضاف اليها اضافات . والزيادة والنقص مشهودان . والتحوير في الكلمات لا يحصى . في حين أنه طبعت كتب قرّت من الطابع والمصحح . فظهرت فيهـا أغلاط كما تشهد جداول الخطأ والصواب . (فالعينية التامة) — كما اشترط الدكتور — غير ملتزمة حتى فيما طبعه نفسه من الكتب .

والمهمّ في هذه الحالة أن كتاب إنسان العيون عين تاريخ ابن أبي عذيبة في المقابلة واطراد المباحث وتواليها يبدأ بما يقابل أواخر المجلد الرابع من ابن أبي عذيبة، وينتهي في أوائل المجلد الخامس منه حتى يتم ويستمر ابن أبي عذيبة في طريقه وباطراده الى آخر المجلد فينتهي الكتاب فهو داخل في كتاب ابن أبي عذيبة . فكيف يقال انه غيره ؟ فاذا نسي الناسخ بيتاً أو كلمة ،

أو فاتته ترجمة أو اكثر في إحدى النسختين فهل يصح أن يعد غيره ؟ واذا كان هذا غير مستحيل فهل وجد الدكتور كتاباً منسوباً لآخر معروفاً بالاسم والصفة وقد أخذ منه ابن أبي عذيبة ليصرف الانظار اليه ؟ أو ان هناك كتاباً آخر أخذ من ابن أبي عذيبة منسوباً لمؤلف آخر معلوم ؟

لم يتحقق شيء من ذلك للدكتور الى الآن . وكيف يطمئن ولا دليل لديه يدعم الغيرية ، وقد ظهرت ادلة الصحة بالمقابلة ، وان المخالفات التافهة من نتائج الاستنساخ لا تدعونا الى الاعتقاد بالمباينة وإلا صح لنا الاشتباه بكل مؤلف ، ولم نجد حينئذ ضرورة لالتماس النسخ للمقابلة ، ولا للأخذ بأكمل نسخة واصحها ، أو للانتفاع من هذه المقابلة ، لا سيما وقد قام الدليل وتبين أن إنسان العيون داخل ضمن تاريخ ابن أبي عذيبة المكتوب بخط كاتب واحد ، ولا شائبة فيه تدعو للشبهة . وكان الدكتور في بغداد موظفاً في دار الآثار ، وكان بوسعه أن يطلب مني المقابلة ، فلم يفعل مع أن النسخة المصورة نقلت من خزانة المعارف الى دار الآثار .

ومن الجهة الأخرى أن الدكتور لم يبد شيئاً عن مؤلف صاحب (إنسان العيون) لقول بالأخذ منه مع أن صاحب كتاب (النشر في التاريخ) متأخر ، ولكنه ظن أولاً أنه مؤلف إنسان العيون كما كتب الى الأستاذ الكرملي بتاريخ ١٥ كانون الأول سنة ١٩٣٧ م[1] ، ثم عدل عن هذا الرأي في هذه المرة ، وقال إن الوصف الذي ذكره السخاوي غير متحقق ، والشرط لم يكن متعيناً .

أعدت المقابلة على نسخة الآثار فلم يظهر خلاف او اشتباه يجعل النسختين متغايرتين بل تبين أن القصيدة التي أشار اليها الدكتور مذكورة في الأجزاء كلها حتى في إنسان العيون الا أن خلافة الناصر استغرقت ذكر وفيات كثيرين

(١) أشار الأستاذ الكرملي في أول المصوّرة الى ذلك بخطه .

لطولها فلم ينتبه اليها الدكتور ، ولو كان قد طالع الكتاب حقيقة لرآها فقد جاء قسم من القصيدة في صفحة ٤٠٣ من كتاب إنسان العيون وتبدأ بقوله :

ثم أتى مصر بنو أيوبا فألفوا عليهم القلوبا
وقام من فيها لهم بالنصر وأهلك العاضد وسط القصر

الى آخر ماهنالك . ثم ذكر أحوال بني أيوب موافقاً لما في تاريخ ابن ابي عذيبة كما انه جاء فيه التصريح باسم ابن أبي عذيبة (كذا) في الصفحة ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٣٨ من الأصل المصور لإنسان العيون .

هذا . وان تاريخ ابن أبي عذيبة استمر لما بعد إنسان العيون وذكر من القصيدة قسماً في مبحث هولاكو ، وقسماً آخر في بني تومرت ... ولم يكن من شرط المؤلف أن يكرر اسمه ، أو تذكر مؤلفاته في كل صفحة ، أو في كل جزء من أجزاء كتابه كما ذكر الدكتور مع أن اجزاء ابن ابي عذيبة في كل واحد منها قد ورد اسم الكتاب واسم مؤلفه ، وأما مؤلفات ابن ابي عذيبة فانما تذكر لمناسبات عارضة يقتضيها البحث ، فلا يتعرض لها المؤلفون بلا مناسبة .

وهنا مسألة جديرة بالالتفات وهي أنه اذا كان ابن ابي عذيبة أخذ تأليف غيره عيناً وأدرجه في كتابه كما هو الشأن في بعض المؤلفين فهذا الأمر موكول اليه ، وهو المسؤول عنه والمؤاخذ من أجله . وان الدكتور لم يظفر بشيء من ذلك . فان اليقين لا يزول بالشك ، كما لا عبرة بالتوهم البين بطلانه . ولو تحقق له شيء من ذلك فحينئذ يتوجه اللوم على المؤلف . لأني رأيته موافقاً لإنسان العيون وهذا داخل فيه ، او ان يوجه الدكتور اللائمة على المتأخر منهما فيما اذا كان قد فعل هذه الفعلة ، ولكن لم يتبين للدكتور ذلك .

هذا . ولا يهمني باقي ما ذكره من مدح نفسه في أنه له إلمام بنعوت إنسان العيون ، وأنه تقدم على غيره في المعرفة لهذا الكتاب ، في حين أن الأستاذ المرحوم احمد تيمور باشا قد عرفه قبل الكل ، وما تفيد الدكتور هذه المعرفة ،

او ما يفخر به من أنه يملك مجموعة كبيرة في (اصول التاريخ والأدب)، يتكتم في ذكر نصوصها، ويبالغ في اخفائها وفي ذكر عدد اوراقها مما يدعو للشبهة اكثر مما ندعو اليه مقابلة كتاب في حين أن الكثير منها يرجع الى اصل مطبوع، معروف لم ينفرد به، وليعذر الدكتور ان الصراحة اولى من هذا التكتم، وارجو ان يكون ظاهره كباطنه كما هو المأمول . وآخر ما اقوله انني لم اسند الفعل (ذُكرتْ) إلى التاء التي هي ضمير ابداً . والله ولي الأمر .

(بغداد) عباس العزاوي



أخطاء مطبعيـة

ورد في مقالي (العمراني وتاريخه) المنشور في الجزء الأول من (المجلد الثالث والعشرين) بعض اخطاء مطبعية تصحح كما يلي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٩	٢١	السنحاوي	السخاوي
٥٠	١		
٥١	١١	بجنون	بخبون
٥٢	٧	ابن جنيب	ابن حبيب
٥٣	١٧	ابو اسحن	ابو اسحق
″	٢١	بدوام	بقدوم
٥٤	١٠	للتهجم	ليهجم
٥٧	١٣	حمر	أحمر
″	″	جاء بها	جاء
٦٠	١٥	القضاء	القضاة

ع . ع



حول (دمية القصر) للباخرزي

يُعجَب الباحث عن المخطوطات الإسلامية بما يكتبه الدكتور السيد أسعد طلس عن مكاتب فلسطين وايران وغيرها من المكتبات التي تجهل الكثير من مقتنياتها الثمينة وكنوزها الغالية . وهو بهذا العمل الطيب يدلنا على همة شماء وعزيمة ماضية لا تعرف الكلل ولا الملل أينما حلت وحيثما كانت ، ويستحق الشكر من كل محب للمخطوطات ومشتغل بإحيائها .

ونراه اذ يحدثنا عن مخطوطة من « دمية القصر » للباخرزي في مكتبة المجلس النيابي في طهران يقول في المجلد الثاني والعشرين ص ٣١٣ من هذه المجلة « وهي نسخة حسنة كاملة لا كالتي نشرت في حلب في المطبعة العلمية سنة ١٣٤٨ » . فهو يشير الى أن المطبوعة من هذا الكتاب فيها شيء من النقص بالنظر الى النسخة التي عثر عليها .

ثم نراه يقول في حديثه عن خزانة المدرسة الاسپهسالارية بطهران في المجلد نفسه ص ٥١٤ : « طبع الشيخ راغب الطباخ قطعة صغيرة من الدمية طبعاً مشوهاً في حلب عن نسخة المكتبة الأحمدية الناقصة » . فيخرج من حد البيان والافادة الى سبيل التسميع والتشويه من غير حق ولا داعية ، مما يدل على أن هنالك حزازات شخصية بينه وبين ناشر « الدمية » تغلبت عليه في بعض ما كتبه ، وهذا ما نحب أن يربأ عنه حضرة الدكتور في مثل هذه الأبحاث والكتابات المفيدة التي يطالعنا بها بين الحين والحين .

على أن الأستاذ الشيخ راغب الطباخ اعتمد في نشره هذا الكتاب على ثلاث نسخ مخطوطة : نسخة المكتبة الأحمدية ونسخة المكتبة المارونية بحلب وهي بخط الأديب البارع العلامة يوسف البديعي ، والنسخة الثالثة من مخطوطات الموصل كما ألمع الى هذا في فاتحة النشر . ويندر جداً أن تكون هذه النسخ الثلاث ناقصة أو قطعة صغيرة ـ على حد تعبير الدكتور ـ تتفق من الأول الى الآخر وفي

البدء والختام ، مع اختلافها في التاريخ والموطن . وكلام حضرة الدكتور : « قطعة صغيرة » يفيد أن المطبوعة دون النصف أو الثلث أو هي الى الربع أقرب ! ولقد راجعت « دار الكتب المصرية » فرأيت فيها نسخة مخطوطة من « الدمية » من موقوفات علامة أوانه وأصمعي زمانه الشيخ محمد محمود التلاميد التركزي الشنقيطي الكبير ، وعليها بلاغات المقابلة من أولها الى آخرها وتوافق المطبوعة تمام الموافقة كما تبين لي من المقارنة بينهما .

على أنه إن صح ما يقوله الدكتور فقد تكون النسخة التي وقعت له فيها زيادات ألحقت بأصل المصنف وليست من عمله ، كما وقع في كثير من الكتب ، وهذا لا يجعل المطبوعة ناقصة أو قطعة صغيرة كما يقول الدكتور ، بل هي تامة وكاملة .

(القاهرة) **عبد الفتاح محمد المخزومي**



اعلان عن التنويه الأدبي

« يعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أنه قد ألف لجنة لدراسة الكتب القيمة في الثقافة الأدبية العليا للتنويه الأدبي بما يراه المجمع نافعاً في بابه من هذه الكتب دالاً على جهد وابتكار على أن تكون هذه الكتب مما ألف منذ سنة ١٩٤٤

وستدرس اللجنة ما يقدم اليها من هذه الكتب أو ما يطلع عليه أعضاء المجمع ، ثم يعقد المجمع في النهاية جلسة علنية للتنويه بخير الكتب وبأصحابها ، وسيعلن عن موعد هذه الجلسة بعد الانتهاء الى قرار » .



غلطة مطبعية

جاء في حاشية الصفحة ٤٤٥ من هذا الجزء : غبطة بطريرك انطاكية وسائر المشرق (للروم الأرثوذكس) وصوابه (للسريان الأرثوذكس) .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والعشرين

الصفحة

الجزء الرابع — المجلد الثالث والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٤٨ — ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٦٧

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٣ —

حرف الحاء [1]

الحاج : ܚܓܬܐ ، ܚܓ̈ܐ ، ܚܓܐ ، hogtho , hoguè , hago

قال ابن بهلول ص ٧١٥ الحاج ، الينبوت كذا أورده ابن سروشويه بحاء وجيم وقال هو الشوك الذي يحمل الخرنوب ، وفي معجم الألفاظ الزراعية ، حاج ، شوك الجمال ، عاقول ، والينبوت هو خُرنوب المعزى أو خرّوب الخنزير (ص ١٣٥ و ٥٢٠ و ٤٥) وفي أقرب الموارد ١ : ٢٤٢ الحاج : نبت من الحمض ، وضرب من الشوك . وورد في نبوة اشعيا ٥٥ : ١٣ «وعوضاً عن الشوك يطلع الاذخر [2] وفي بعض ميامر مار يعقوب السروجي [3] .

(١) يستدرك على أقرب الموارد في قوله «١ : ١٥٥ الحابورة مقعد اليهود في مجامعهم» ان اللفظة عبرية وسريانية النجار اذ أورد دليل الراغبين ܚܒܘܪܬܐ ܕܝܗܘܕܝܐ habroutho dihoudhoié تعني جماعة اليهود وكنيستهم.

(٢) عن الترجمة السريانية البسيطة وأما في الترجمات العربية فورد السرو ومكان الاذخر

(٣) الميمر ٨٦ مج ٣ ص ١٣٤ انظر اللباب للقس جبرائيل قرداحي مج ١ ص ٣٨٨

حاشا : ܚܫܐ ، ܚܫܬܐ hoché , hocho قال ابن بهلول ص ٧٧٧ و ٦١٩ وهو النومع القزوح ، صحح حنين حاشا وسماها سرجيس ܙܡܒܘܪܐ zambouré وهو حاشا ، صقر ، وقزح وكلاهما نبت طيب الرائحة يتبّل به الطعام ، كذا في دليل الراغبين ص ١٨٨ وذكره السيد اودو في قاموسه ووردت اللفظة في كتاب طبي عتيق مكتوب سنة ١٢٢٤ م وخلت منها دواوين اللغة ومعجم الألفاظ الزراعية .

حانة : ܚܢܘ honou والنسبة اليها حاني ، خمّار ܚܢܘܝܐ honouio .

حانوت : ܚܢܘܬܐ honoutho دكان الخمار ثم أطلقت على الدكان بنوع عام . جاء في تاج العروس حانوت ، فاعول من حنت . قال ابن سيده معروف وقد غلب على دكان الخمار وهو يذكر ويؤنث قال الأعشى :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني —

والحانوت أيضاً الخمار نفسه . وفي حديث عمر ، انه احرق بيت رويشد الثقفي وكان حانوتاً يعاقر فيه الخمر ويباع ، والنسبة اليه حاني وحانوي . قال ابن سيده ، وهذا نسب شاذ البتة لا أشذ منه ، لأن حانوتا صحيح وحاني وحانوي معتل اه .

قلنا الحانوت حرف سرياني مدلوله خمارة مخدع ويستدرك على التاج انه ليس من فعل حنت ، وعلى ابن سيده انه مخطئ في تعليله لأن حاني وحانوي منسوبان الى الحانة لا الى الحانوت .

الحُبّ بضم الحاء : اناء كبير للماء يشاكل الخابية من الفخار يستعمله أهل العراق ، قال الاسكافي ص ٥٦ الحب اكبر من الجرة ولا عروة له وجمعه حِباب وحِبَبَة ، وفي المصباح جمعه حِباب وحِببة وزان عنبة . قال ابن عيد ١٠ : ١٠ أربيت الحبّ بالقير أصلحته به ، وفي الصحاح : الحبّ الخابية فارسي معرّب وهو مولد قال اصله خنب . وفي شفاء الغليل ص ٦٨ « اناء معروف للماء قال ابو منصور مولد وهو معرب خُنْب . وهو بمعنى الحبة عربي فصيح » اه !

قلنا هو معرب من السريانية ܚܘܒܐ houbo ولا شأن للمحبة فيه ٠

حبيس : ܚܒܝܫܝܐ ، ܚܒܝܫܐ hbishoio , hbisho الحبيس صفة الراهب الناسك الذي حبس نفسه في صومعة منفرداً للتعبد لله ، والجمع حبساء ، جاء في كتاب المعمّرين للسجستاني : يدعون الرهبان بالحبساء : والحبيس في المعاجم المحبوس في سبيل الله أي المفرز لذلك ، فيقولون حبيس الله ٠ وفي البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ١٩٤ ورد في فرس : هو حبيس في سبيل الله ان انزلتني عنه ٠ ولم تنوه به دواوين اللغة بمدلوله الأول الذي وضع له ٠ وجاء في مسالك الأبصار ص ٣١٠ دير اخويشا وحويشا ، بالسريانية الحبيس وهو باسعَرْد ، وانما نقله بحسب اللهجة الشرقية التي تسمى الكلدانية ٠

الحُتامة : ما فضل على الطبق الذي يؤكل عليه قاله أبو عبيد في المخصص لابن سيدة ٥ : ١٢ وقال الفيروزبادي (القاموس ٤ : ٩٣) الحتامة ما يبقى على المائدة من الطعام أو ما سقط منه اذا أكل ٠ وتحتم : اكلها (اي أكل الحتامة) فصاغوا منها هذا الفعل ٠ وهي كلة سريانية ܚܘܬܡܐ houthomo ومعناها : خاتمة ، نهاية ، اخر ، من فعل ܚܬܡ htham : ختم ، اكمل وأما فعل حتم العربي فمدلوله ، قضى وأوجب ، وأحكم ٠

الحَجّ : لفظة عبرية الأصل منها أخذتها السريانية ثم أعارتها عرب النصارى ، اصل معناها دائرة رقاصين ، فرح ، سوق ، ثم انتقلت الى معنى مجمع ، محفل ، عيد حافل ، فزيارة مقدس ، واختصت بهذا الأخير وتنوسيت معانيها الأولى ٠ ܚܓܐ hago والفعل ܚܓ و ܚܓܝ hagui , hague والثاني هو المأنوس : حجّ احتشد ، عيّد ، والفاعل ܚܓܝܐ hagoio (معجم ابن بهلول ، وكنز اللغة السريانية ، والدليل وفي نبوة اشعيا ٦٠ : ٥ « وتحج اليك عساكر الأمم » (الدين والدولة ص ٩٥) وقال ياقوت عن دير نجران « فكانوا (بنو عبد المدان) يحجونه هم وطوائف من العرب ٠ (معجم البلدان ٤ : ١٧٨) وقال ابن القلانسي

في كتابه ذيل تاريخ دمشق ص ٦٩ في بيعة القيامة «هذه بيعة ··· تعظمها النصارى أفضل تعظيم وتحج اليها عند فصحهم» ·

حرذون : وُيروى بالدال المهملة حردون : قال الفيروزابادي : ذكر الضب أو دويبة اخرى · وفي شفاء الغليل ص ٦٩ دابة تشبه الحرباء ، قال الأصمعي لا أدري صحتها في العربية ، وكذا في المعرب للجواليقي ص ١١٨ وكثر اختلافهم في حقيقة وصف هذه الدويبة ، والكلمة سريانية ܚܪܕܘܢܐ hardhono · وفي معجم ابن بهلول : الحرذون نوعان : بحريٌّ يسمى تمساح وبرّي ويسمى سقنقور وضبّ ، ويقال له بالفارسية دوزون او روزون ، وكيف ما كان الحال فان الكلمة سريانية ·

حريف : وحرّيف : حاذق ولاذع : وبالسريانية ܚܪܝܦܐ harifo وهو من توافق اللغتين ، وفي شفاء الغليل ص ٧٤ « الحريف الحاذق ليس بلغوي لكنه غير بعيد من المعنى اللغوي وهو المعامل » ·

الحزّاء والحزّاي والحازي : الكاهن الناظر البصير العليم (الجمهرة ١ : ١٧) العائف والعالم بالأمور من العبرية أي الناظر والنبيّ أو مأخوذة من السريانية ܚܙܝܐ hazoio أي المتفقد والناظر والحكيم · قال الجاحظ في كتاب التربيع والتدوير ص ٢٣٥ «ولم تجدهم سموا كهان العرب سحرة ولا العرّاف ساحراً ولا الحازي» وفي تاريخ الطبري مج ٢ : ١٠١ « فلما نزل عمرو بن تبان اسعد ابي كرب اليمن ، مُنع منه النوم وسُلّط عليه السهر فيما يزعمون فجعل لا ينام ، فلما جهده ذلك جعل يسأل الأطباء والحزاة من الكهّان والعرّافين عما به » وورد (الحازي) في شعر افنون (المفضليات ص ٥٢٣) قال :

الا لست في شيء فروحا مُعاديا ولا المشفقات اذ تبعنَ الحوازيا

(قال) الحوازي : الكواهن · ويقال فيه أيضاً ܚܙܘܝܐ hozouio والفعل ܚܙܐ hzo رأى ، أبصر ، نظر العواقب ·

حَزاز الصخر : نباتات دنيا تعيش على الصخور والحيطان وقشور الشجر والتراب lichen (معجم الشهابي ص ٣٩٨) : سريانية ܚܙܙܝܬܐ hazozitho ٠

حُسبان : قال صاحب الجمهرة ١ : ٢٢١ حسِبت الشيء أحسبه حِسباناً من قولهم حسبت كذا في معنى ظننت ٠ وفي التاج ١ : ٤ ص ٢٢٥ الحُسبان بضم ج الحساب قاله الأخفش وتبعه ابو الهيثم نقله الجوهري والزمخشري وأقره الفيهري ، فهو يستعمل تارةً مفرداً ومصدراً وتارةً جمعاً لحساب اذا كان اسماً للمحسوب او غيره لأن المصادر لا تجمع ٠ قال ابو الهيثم يجمع أيضاً على أحسِبة مثل شِهاب وأشهبة وشهبان ٠ وقال صاحب أساس البلاغة ١ : ١٧٢ رفع العامل حسابه وحسبانه ٠ وفي القرآن « الشمس والقمر بحُسبان » اي بعلم ، او بجريان بحساب معلوم مقدَّر ٠ وقال صاحب التاج : من غريب التفسير ان الحُسبان في قول القرآن : والشمس والقمر بحُسبان : اسم جامد بمعنى الفلك من حساب الرحا ٠ وهو ما أحاط بها من أطرافها المستديرة ٠ قاله الخفاجي ونقله شيخنا ، يريد الفاسي اه ٠ وجاء في القرآن أيضاً « أو يرسل عليهم حُسباناً من السماء » قال ابو عبيدة : عذاباً ، ولا أدري ما أقول في هذا ٠

قلنا الحُسبان كلمة سريانية ܚܘܫܒܢܐ houchbono وجمعها حسابانات ، أورده البيروني في كتابه الآثار الباقية ص ٢٠ وفي ص ٦٤ قال : فاذا لهم جداول وحسبانات يستخرجون بها شهورهم ٠ وتفيد أيضاً معنى : فكر ، رأي ، قصد ٠

حُسبانة وحُسبان : وسادة صغيرة : وبالسريانية ܚܘܫܒܢܐ، ܚܘܫܒܐ houcbobo , houchbono [1] ٠

الحاصود : جاء في ذيل أقرب الموارد ص ١٣٥ : الحاصود : حكاه ابن جني عن احمد بن يحيى ولم يفسّره ، قال ابن سيده « ولا أدري ما هو » (اللسان)

(١) حصّارين : قال البيروني في الآثار الباقية ص ٥٦ فلأجل ذلك تنوعت السنة عندهم (عند اليهود) بثلثة انواع ، الأول منها يسمى « حصّارين » وتفسيره : الناقص . قلنا هو لفظ عبري وهكذا في السريانية ܚܨܝܪܐ haciro ناقص من فعل ܚܨܪ hçar نقص ، قلّ ٠

وقد وجدته في كتب المولدين بمعنى الذي يحصد الزرع كما تستعمله عامة اهل بلادنا ج حواصيد ، وهكذا في الآثار الارامية لداود الجلبي ص ٣٣ وذكر مع اللسان مستدرك التاج .

فالحرف سرياني ܚܨܘܕܐ hoçoudo تداوله وجمه اهل الموصل وحمص ولبنان ، فلا نرى بأساً من ضمه الى العربية الفصحى .

حِلْتيت : صمغ الانجدان ، علك فيرواني . وفي التاج الحلّيت كسكّيت ، صمغ الانجدان كالحلتيت . قال ابن سيده : الحلتيت عربي او معرّب . وقال الأزهري الذي احفظه عن البحرانيين الحلتيت بالخاء : الانجزد ٢ قال ولا أراه عربياً محضاً . قلنا هو سرياني ܚܠܬܝܬܐ haltitho (الآثار الارامية للجلبي ص ٣٣) ووقعت في الكتاب الطبي السرياني العتيق .

حَلفاء : نبت ينبت في مغايض الماء والنزور ܚܠܦܐ ، ܚܠܦܐ hilfo haflo [1] .

حَنان : ذكر صاحب الفائق عن بلال ص ٣٠٣ قال : «مرّ عليه ورقة بن نوفل وهو يُعذَّب فقال لئن قتلتموه لأتّخذنّه حَناناً . أراد لأجعلنّ قبره موضع حَنان أي مَظِنّة من رحمة الله ، فاتمسّح به متبرّكاً كما كان يُتمسّح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله في الأمم الماضية فيرجع ذلك عاراً عليكم ومُسبّة عند الناس . وورقة هو ابن عم خديجة وهو احد من كان على دين عيسى » اه .

قلنا : الحَنان هنا لفظة سريانية ܚܢܢܐ hnono وهو ما يجمع من تراب فوق اضرحة القديسين يُداف بماء ويشربه بعض الناس اهل اليقين الثخين تبرّكاً ، وليس معناه الرحمة وان توافقت اللفظتان السريانية والعربية .

(١) يستدرك على الجواليقي في قوله ص ١٢٠ : الخندقوق نبطي ولا أدري كيف أعربه، الا اني اقول : « الدّرق » بضم الدال وتشديدها وفتح الراء . ثم أورد فيه عن أبي زكرياء ، أربع لغات، قلنا انحرف فارسي ومن الفارسية أخذته السريانية ܚܢܕܩܘܩܐ handaqouqo.

اَلحنَّان : بتشديد النون : ذو الرحمة من الأسماء الحسنى ، رؤوف : ܚܢܳܢܳܐ hanono والحَنان بتخفيف النون : الرأفة الرحمة : ܚܢܳܢܳܐ hnono والفعل ܚܰܢ : حنَّ hane وفي مزامير داود : ١١٦ : ٥ الرب حنَّان وصديق . والمادة سريانية .

الحنفاء : قال المسعودي في التنبيه والاشراف ص ٩١ « وهذه كلمة سريانية عرِّبت وانما هي حنيفوا وقيل جيء بحرف بين الباء والفاء ، وان ليس للسريانية فاء » اهـ ، انه يريد حرف V .

وقال عيسى بن علي : الحنيفية الجاهلية عبدة الأوثان الصابئة : من ܚܰܢܦܽܘܬܳܐ hanfoutho ومدلول ܚܰܢܦܳܐ hanfo وثني صابئ .

حَوْبة : جاء في التاج ٢٣٨ الحوبة رقّة فؤاد الأم ، والهم والحزن والحاجة والحالة .... والاثم . وفي التهذيب : ربّ تقبّل توبتي واغسل حوبتي . وورد في القرآن « انه كان حوْباً كبيراً » قال السيوطي في الاتقان : حَوْب تقدم في مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس انه قال حوباً : إنما بلغة الحبشية ؟ وفي التاج الحَوب : الفن والجهد والنوع والوجع والهلاك والبلاء . وتحوّب تأثم . اهـ . وفي المصباح : حاب حوباً اذا اكتسب الاثم ، والحَوبة بالفتح : الخطيئة . والمادة سريانية : ܚܰܘܒܬܳܐ hawbtho مدلولها : اثم ، واجب ، فريضة . والفعل ܚܳܒ hobe حاب و ܚܰܝܶܒ haièbe حوّب ܐܶܬ݂ܚܰܝܰܒ ethhaïabe تحوّب ، واسم المصدر ܚܰܘܒܳܐ بفتح الحاء hawbo الاثم والفاعل ܚܰܝܳܒܳܐ haiobo حائب وخائب .

حَوْر : عقل ، بصر منظر : ܚܰܘܪܳܐ hawro .

حَوْر : شجر معروف : ܚܰܘܪܳܢܺܝܬ݂ܳܐ ، ܚܶܘܪܳܐ hewro, hawronitho .

حُوَّارى : دقيق وخبز أبيض . وفي فتوح البلدان للبلاذري « لما دخلوا الابلّة وجدوا خبيز الحوارى فقالوا هذا الذي كان يقال انه يسمّن » هو

حرف سرياني ܚܶܘܳܪܬܳܐ héworotho معناه : دقيق وخبز ابيض ، قال النمر :

لهـا ما تشتهي عسل مصفى وان شاءت فحُوّارى يسمن

حَواري : والجمع حواريون : رسل السيد المسيح : وفي اقرب الموارد : الحواري الناصر ، وقيل ناصر الأنبياء ، ومن هنا قيل لرسل المسيح الحواريون . والحواريّ : القصّار لتحويره وتبييضه والحميم والناصح . وقال البيضاوي : حواريّ الرجل ، خالصته وهو البياض الخالص . وجاء في التاج « الحواريون خلصان الأنبياء وصفوتهم ... كانوا خلصاء عيسى وانصاره . وقيل لهم الحواريون للبياض لأنهم كانوا قصارين ... وتأويل الحواريين في اللغة الذين اخلصوا من كل عيب » وفي معجم الأدباء ١٦ : ١٦٣ هذا الزبير بن العوام حواري الرسول . وأخطأ صاحب التاج ، وابن سيده في زعمه عن ابن عبيد ان الحواريين سموا بذلك لأنهم كانوا قصّارين (٩ : ١٥٩) ومثلهم الفيومي في المصباح وابن ابي حاتم الذي اخرج عن الضحاك فقال : الحواريون الغسّالون بالنبطية وأصله هوارى (كذا) (الاتقان للسيوطي ص ١٣٢) .

قلنا ان مادة حوّر أي بيّض وما تفرّع منها مما توافقت فيه السريانية والعربية ܚܰܘܰܪ hwar بيّض ܚܶܘܳܪܳܐ héworo ابيض ، وتفسير بعضهم « الحواريين » بخلوصهم من كل عيب ونقاوة قلوبهم وطهارة أثوابهم ، هو اجتهاد في الرأي ، اما انهم كانوا قصّارين او غسّالين ، فلا صحة له أصلاً .

قال ابو القاسم الراغب الاصفهاني في كتابه « المفردات في غريب القرآن » ص ١٣١ « الحواريّون أنصار عيسى قيل كانوا قصّارين وقيل كانوا صيادين وقال بعض العلماء انما سموا حواريين لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم ... قال وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه ، وتُصوِّر منه من لم يتخصص بمعرفته الحقائق ، المهنة المتداولة بين العامة . قال وانما كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس من الحيرة وقودهم الى الحقّ » .

ولفظة ܚܘܪ̈ܐ hèwore بمعنى الحواريين خلا منهـا المعجم القديم ومعجما ابن بهلول والمطران توما اودو ، وأوردها صاحبا اللباب ودليل الراغبين .

على ان نولدكي العالم الألماني المتوفى عام ١٩٣٠ م ذهب الى ان الكلمة حبشية النجار (حواريا) ومدلولها الرسول ، وتابعه على رأيه كل من بحث بعده فيها (١) ، ونحن نرى في رأي الرجل اصابة وجودة .

حَوْك : باذروج ، نبت ܚܘܩܐ hawqo .

الحَوْل ، والحَيْل : القدرة على التصرف والحيل القوة ، لغة في الحول ، سريانية ܚܝܠܐ ، ܚܝܠ hil , hailo : قوة ، قدرة ، طاقة ، امكانية ، والفعل ܚܝܠ haïèle قوّى ايّد ، قال ابو حيّان التوحيدي في كتاب الإمتاع والمؤانسة ص ١٥ « لأن الانسان صغير الحجم ضعيف الحول » .

وأما قول الكسائي في « لا حيلَ ولا قوة الا بالله ، والمعنى ذا الكَيْد والمكر الشديد لأن اصل الحَوْل الحركة والاستطاعة » في ماذكر صاحب الفائق ص ٣١٧ ، فهو غلط صوابه : لا طاقةَ ولا قوةَ الا بالله .

حِياصة : ܚܨܐ ، ܚܘܝܨܐ houioço , heoço نطاق ، حزام ، وثاق ، والفعل ܚܝܨ haiècе نطّق ، زنّر ، جاء في التاج : الحياصة . . . سير في الحزام وقيل سير طويل يشد به حزام السرج وفي التهذيب الدابة (حزام الدابة) قلت هذا هو الأصل وقد استعمل في كل ما يشدّ به الانسان حقوه ، شامية » اهـ ، فالكلمة سريانية وكان يتداول استعمالها اهل الشام ولا تزال معروفة في الموصل (٢) .

حَير : حمى ، معقل حوله الخندق ، معسكر : وفي مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ص ١٣٥ « وأخذ (سليمان) في بناء المسجد فلم يثبت البناء وكان عليه حَيْر بناه داود » اهـ ، وعلّق عليه الطابع : شبه الحظيرة والحمى . والكلمة سريانية النجار ܚܝܪܬܐ hirtho .

(١) نستثني الكرملي الذي التبس عليه وجه الصواب فبدا له رأي سقيم نقّله ونضمّنه ، بزعمه ان الحواري لغة في « الحوالي » نسبة الى الحوالة ، ومعناها المعوّل على الجهلة ليعلمهم الآداب والدين ! (مجلة لغة العرب جزء ٩ : ٦٦٤)   (٢) راجع الآثار الآرامية للجلبي .

حرف الخاء

خابية : قال الاسكافي : الخابية أعظم من الحُبّ ، وقيل فيها حُبّ ، جرة ضخمة ܚܒܝܬܐ ، ܚܒܝܬܐ habitho , hobitho والجمع خوابي .

خَبالية : قال في الجمهرة ص ٢٣٩ واهل اليمن يقولون للرجل اذا رثوا له من عيب فيه : (خباليه من كذا وكذا) اخرجوها مخرج حنانيه وهذاذية وما اشبه ذلك ، وهي سريانية ܚܒܠܘܗܝ hbolaw أسفًا عليه ܚܒܠܝܟ hbolaiq أسفًا عليك ولا تزال جارية على ألسن أهل دمشق .

خَبيص : حلواء من سميد وسمن وعسل ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٣٦ « فذاق الخبيص فقال ان هذا لطيب اثر ، اكلّ المهاجرين اكل منه شبعه . وفي ص ٣٤٨ أتى نهر المرأة .... فزودته خبيصا بجمل بقول اطعمونا من دقيق المرأة . وهو بالسريانية ܚܒܝܨܐ habiço .

خَتَن : صهر الرجل المتزوج بابنته او باخته ، قاله ابن سيدة ٣ : ١٥٢ هو حرف سرياني ܚܬܢܐ hathno والفعل ܚܬܢ hathène خاتن ، صاهر ، والمصدر ܚܬܢܘܬܐ hathnoutho مخاتنة .

خَربَق كجعفر : نبت كالسمّ يغشي على آكله ولا يقتله ، وخربق دواء : ܚܘܪܒܩܢܐ hourbaqno .

خَربَق : في التاج : خربق النبتُ اتصل بعضه ببعض ، وخربقَ العمل : افسده . ومثله في أقرب الموارد وبالسريانية ܚܪܒܩ harbèq : عقل ، شبك ، ربك .

---

(١) خشل : الحليّ عامية في بلاد العراق : ووقعت في كلام كمال الدين ابن الفوطي ، في كتابه « الحوادث الجامعة في المئة السابعة » ، طبعة بغداد سنة ١٩٣٢ » . « فدخل جماعة معهم ثياب وخشل » ص ١١٨ واللفظة سريانية ܚܫܠܐ hechlo وأوردها أيضاً ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ٤٤٦ « وفي سنة ٦٤١ خرّب يساور نوين ملطية وأخذ منها أموالاً عظيمة حتى خشل النساء » .

خرنوب : خرّوب شجر معروف ܚܪܘܒܐ haroubo وفي انجيل لوقا ١٥ : ١٦ « ان يملأ بطنه من الخرنوب » .

خسّ الحمار : ܚܣܐ ܚܡܪܐ Hass - hmoro .

خُصّ : بيت من قصب ، وبيت يسقّف بخشبة : ܚܘܨܐ houço وورد في معجم الأدباء ١١ : ٧٤ في ترجمة الخليل بن احمد « قال النضر بن شُمَيل : أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خصّ لا يُشعَر به » وفي معجم البلدان ٧ : ٢٩٧ قال ابن عباس كانت منازل اهل الكوفة قبل ان تُبنى اخصاصاً من قصب . والأخصاص ج خُصّ .

خَصين : قال الاسكافي ص ٨٤ « الخصين فأس ذات خَلف واحد » سريانية : ܚܨܝܢܐ hacino معناها : فأس ، فأس صغيرة .

خِلاف : صنف من الصفصاف ܚܠܦܐ helfo ܚܘܠܦܐ houlofo .

خُناق : بضم الخاء : داء يمتنع معه نفوذ النَفَس الى الرئة والقلب . والجمع خوانيق (التاج وأقرب الموارد) وهوبالسريانية ܚܘܢܩܐ : honouqo : داء الخُناق .

خِنّوص : ولد الخنزير : ܚܢܘܨܐ hanouço .

خُوذة : المِغفَر ، معرّب ج خُوَذ (أقرب الموارد) انه معرب من السريانية ܚܘܕܐ houdho وفي سفر صموئيل الأول ١٧ : ٥ « وعلى رأسه خوذة من نحاس »

خُور اسقف : اسقف الكورة : ܟܘܪ ܐܦܝܣܩܘܦܐ Kourepis coufo لفظة مركبة تركيباً مزجيًا من (كورا) couro السريانية (واسقف) اليونانية ، وخففت فقيل فيها خوري ، والجمع خوارنة ، وذلك بعد ان تطورت سلطة صاحبها . فليست معربة من اليونانية كما قال صاحب أقرب الموارد ، ويستدرك عليه أيضاً قوله : الخورية زوجة الخوري اذ هي لفظة عامية تجوّز باستعمالها أهل بلاد الشام . والذي ورد في معجم ابن بهلول عمود ١٥٩٤ « ان زوجة الكاهن أي الكاهنة تسمى ܦܦܝܐ papia وهذا لأجل كرامة الكاهن لتتميز بهذا

اللقب من باقي النساء » اه ، كذا بحروفه نقلاً عن النسختين المطبوعة والخطية .

خَوص : ورق النخل خاصة ܚܘܨܐ houço .

* * *

حرف الدال

الدَّالية : الكرمة جمعها دوالي لفظة سريانية ܕܠܝܬܐ dolitho قال الخفاجي في شفاء الغليل ص ٨٨ الدالية الذي يستخرج الماء من البئر بدلو ونحوه ، واستعمالها للعنب المعرَّش خطأ قاله الزبيدي . وفي القاموس : الدوالي عنب اسود غير حالك ، وفي أقرب الموارد : الدالية شجرة الكرم وهذه مولَّدة . ولم ترد في الأساس والمصباح بهذا المعنى . وجاء في الفائق ص ٤٠٦ « قالت ام المنذر العدَوِيّة دخل عليَّ الرسول ومعه عليّ ولنا دوالٍ معلقة فقام فأكل ... والدوالي بُسْر يعلَّق فاذا ارطب أُكل وهي من التدلية » .

دانَ : حكم ، وفي الأساس ١ : ٢٩١ : دِنْته بما صنع جزيته : اللفظة سريانية ܕܢ done .

الدِّين : والمصدر الدين : ومنه يوم الدِّين ويوم الدينونة : يوم الحشر : ܕܝܢܐ dino[1] والله الدَيَّان : ܕܝܢܐ daino قال ابو العتاهية من شعر وجّه به الى الرشيد .

الى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

وفي حماسة البحتري لعتاهية بن سفيان الكلبي :

فاضحوا احاديثاً لغادٍ ورائحٍ يدينهمُ بالخير والشر ديّانُ

والديّان القاضي ، ومنه ، وكان عليٌّ ديَّانَ هذه الأمة بعد نبيِّها أي قاضيها . وقال الأعشى للرسول : يا سيِّد الناس وديّان العرب (الفائق ٤٢٣) وفي الحديث : مكتوب في الانجيل « كما تدين تُدان » .

(١) وورد الدين بمعنى القضاء في اللغة البابلية قال الأب بولس دورم الدومنكي في كتابه « الديانة الاثورية البابلية ص ٨٣ bèldîni معناها سيِّد القضاء .

دارس : مدارس قال في الاتقان : دارست معناه قارأت بلغة اليهود ، وفي أساس البلاغة ١ : ٢٦٨ اجتمعت اليهود في مدارسهم ، وهو بيت تُدرس فيه التوراة . والفعل عبريّ وسرياني : ܕܪܫ drashe وفي العُباب « المدارس الموضع الذي يقرأ فيه القرآن وكذلك مدارس اليهود » .

مِدراش : بالشين المعجمة ، وهو ترنيمة يستعملها السريان في صلواتهم واول من نظمها القديس افرام السرياني المتوفى سنة ٣٧٣ م والجمع مداريش ܡܕܪ̈ܫܐ madrosho ويجب ادخالها في المعاجم .

دبس : عسل العنب ، وفي الأساس ١ : ٢٦٢ ائتدموا بالدبس وهو عصارة الرطب ، سريانية ܕܒܫܐ debcho .

الدباسات : بتخفيف الباء ذكرها الدينوري وفسّرها بالخلايا الأهلية (التاج) وهي معربة من السريانية ܕܒܫܬܐ ج ܕܒܫ̈ܘܬܐ dabochotho , dabochto .

دَبُّور : زُنبور ، سريانية ܕܒܘܪܐ dobouro جنس حشرات من فصيلة الزنبوريات ورتبة غشائيات الأجنحة (معجم الشهابي ص ٢٨٧ و ٣٢١) .

دُبيرة تصغير دَبْرة قال صاحب الفائق ص ٣٨٤ « سُميت بذلك لتدبّرها ونيقتها في عمل العسل » قلنا اللفظة سريانية ܕܒܘܪܬܐ و ܕܒܘܪܝܬܐ débourito , débourto .

دَجّ : افضل الطير البرّي ، من رتبة العصافير ذات المنقار المسنّن من نوع الشحرور ، ومن أحسن طيور الصيد . سرياني : ܕܘܓܐ dougo (الآثار الارامية للجلبي ص ٣٨ و ٣٩) .

دَجّال : الدجّال : الكذّاب المموه (التاج ٣ : ٣٣٨) ولقب المسيح الدجال (اي الضلّيل الكذّاب الذي يظهر في آخر الزمان) وفي الفائق ص ٣٨٦ « ان أبا بكر خطب فاطمة فقال الرسول اني وعدتها بعلي ولست بدجّال ، اي خدّاع واصل الدَّجل : الخلط وبه سمي مسيح الضلالة لخلطه الحق بالباطل »

وفي حديث جس ٣٦٥ لم يسلّط على الدجال الا عيسى بن مريم · وفي كتاب التربيع والتدوير للجاحظ ص ١٩٩ «من ابو جرهم ومن رهط الدجال» وفي كتاب ليس : لم يسمع جمع الدجال من احد الا من مالك بن أنس فقيه المدينة ، فانه قال هؤلاء الدجاجلة كما ورد في معجم الأدباء لياقوت ١٨ : ٨ «فقال له رجل : ان محمد بن اسحق يقول اعرضوا عليّ علم مالك بن انس فاني انا بيطاره (الخبير به) فقال مالك : انظروا الى دجّال من الدجاجلة · قال ابن ادريس : وما رأيت احداً جمع الدجال قبله» اه ·

اللفظة سريانية ܕܓܳܠܳܐ dagolo من فعل ܕܓܶܠ و ܕܓܰܠ دجَل ، كذب daguèle , dgal والمصدر ܕܓܳܠܽܘܬܳܐ dagoloutho : كذب ، خداع ·

دَخَس : دخس الشيء في التراب ، دسّه (أقرب الموارد) ܕܟܰܫ dcache وردت في قصة الشهيدين شمونا وكوريا[١] ·

درابزون : الدرابزين والدرابزون : قوائم خشب او حديد ، اعجمية (اقرب الموارد) وعندنا انها سريانية ܪܽܘܨܒܳܐ rouçbono وفي سفر الملوك الأول ١٠ : ١٢ وعمل سليمان من خشب الصندل درابزيناً ·

دُرّاج : طائر ملوّن الريش يشبه الحجل ܕܪܳܓܳܐ darogho ·

دراقن : قال الجواليقي في المعرّب ص ١٤٣ «قال ابن دريد (الجمهرة ٣ : ٣٠٥ و ٣٣٤ و ٣٩٦) وعرب الشام يسمون الخوخ الدراقن وهو معرب ، سرياني او رومي» ومنه نقل صاحب شفاء الغليل ص ٨٣ · وقال السيوطي في المزهر ١ : ١٦٧ (دراقن بالتخفيف : الخَوخ لغة شامية لا احسبها عربية » · قلنا هي سريانية ܕܘܪܩܢܳܐ drouqino ·

دَرْب : طريق : قال في المصباح ٢٩٣ الدرب المدخل بين جبلين والجمع دروب وليس أصله عربياً ، والعرب تستعمله في معنى الباب فيقال لباب السكة

(١) الفها ثاوفيلس في صدر المئة الرابعة للميلاد قال ما تفسيره « وادخس كلا من اقدامكم في قفص من حديد » (مقدمة دليل الراغبين ص ٢١ ولعلها من توافق اللغات) ·

درب وللمدخل الضيق درب لأنه كالباب لما يفضي اليه · أورد هذا الأستاذ سليم الجندي في رسالة الطرق (المجلة مج ١٩ : ٣٣٢) وأردف قوله : « وفي اللسان : الدرب باب السكة الواسع او الواسعة والجمع دروب » واعتمد صاحب المصباح على المعرب للجواليقي قال ص ١٥٣ « والدروب : ليس أصلها عربياً ، والعرب تستعملها في معنى الأبواب · ويقال لهذه المداخل الضيقة من بلاد الروم « دروب » لأنها كالأبواب لما تفضي اليه · وقد استعملوا ذلك قديماً · قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونَه   وايقنَ انّا لاحقانِ بقيصرا

وانكر شارح الكتاب على الجواليقي قوله وذكر أن ابن دريد قال « الدرب : الباب عربي معروف » (الجمهرة ١ : ٢٤٣) ·

واللفظة عندنا سريانية ܕܘܪܒܐ : درب طريق · وفيها لغة ثانية ܕܘܪܒܐ dourbo , derbo [1] ·

دَسْكَرة : قال الجواليقي في المعرب ص ١٥٠ « بناء شبه قصر حوله بيوت تكون للملوك والجمع دساكر وهو معرب » وفي النهاية « الدسكرة بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، وليست بعربية محضة » ومثله في التاج ماعدا العبارة الدالة على أصله · وفي اللسان « الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي قال الأخطل :

في قباب عند دسكرةٍ   حولها الزيتونُ قد ينعا

وقيل هذا البيت لأبي دهبل ، وقيل ليزيد وقيل للأحوص · (اسما منتخبة لمسميات حديثة ، للسيد احمد رضا : في المجلة مج ١٦ ص ٢١) وقال : والدسكرة اذا صح انها غير عربية ، فهي معربة في الزمن الأول) ·

---

(١) الدربخة : الاصغاء الى الشيء ، قال ابن دريد « وهو مما أخذوه من السريانية » اهـ المزهر ١ : ١٦٦ – قلت ليس هذا الحرف في السريانية – ومن هذا وأمثاله ترى ان ابن دريد واضرابه وان تقادم عهدهم ، لا يطبّقون مفاصل الصواب في سائر آرائهم في تجار الألفاظ .

قلنا أوردها دليل الراغبين دون بقية المعاجم ܕܣܩܪܬܐ dasqartho :
مدلولها : دسكرة ، قرية عظيمة ، بناء يشبه القصر حواليه بيوت للملوك والعظماء ، صومعة كرح ، جمعها دساكر . وفي نبوة اشعيا ٣٥ : ٢ «ستعطى باحمد محاسن لبنان وكمال حسن الدساكر والرياض» (الدين والدولة ص ٨٥) .

دِفْران : عَرعَر ، أبهل ، شجر له رائحة طيبة وثمره كالنبق ، قال الشهابي صاحب معجم الألفاظ الزراعية ص ٣٠٢ «عرعر الشام genèvrier الدفران ، شامية لم أجدها في كتب اللغة ولا في المفردات وهي سريانية» قلنا ܕܦܪܢܐ بفتح الدال dafrono ويسمى حب العرعر ܒܢܬ ܕܦܪܢܐ bnoth dafrono .

دقل : جاء في مجلة لغة العرب ٥ : ٩ ص ٣٢٤ (الدقل جاء عن كثيرين من المؤلفين بمعنى النخل والنخلة ، فالكلمة عربية وعبرية في وقت واحد» كذا . قلنا وسريانية أيضاً ܕܩܠܐ ، ܕܩܠܬܐ ، ܕܩܠܘܢܐ . deqlo . deqltho deqlouno وفي المزامير ٩٢ : ١٢ «الصديق كالنخلة يزهو» وفي ترجمة التوراة السريانية البسيطة وردت لفظة الدقل . فهو من توافق اللغات .

(١) الداشن معرب الدَشْن : جاء في اللسان والقاموس والتاج وأقرب الموارد ان مدلولها الثوب الجديد لم يلبس والدار الجديدة لم تسكن ، ومنه اثبت الأخير فعل دشّن الثوب ، والمعبد . وقال فيها اللسان والتاج ان الداشن كلام عراقي وليس من كلام أهل البادية . ونقل عن الجواليقي ص ١٤٥ عن الليث والنضر ابن شميل ان اللفظة معربة . وقال بعض المعاصرين لنا انها فارسية التجار معناها «العطاء والاحسان» ولهذا ورد في القاموس واقرب الموارد ان دشّنَ معناه أعطى ، وتدشّن أخذ .

وفسر صاحب المعجم السرياني القديم وابن بهلول لفظة ܕܘܫܢܐ doshno وجمعها ܕܘܫ̈ܢܐ doshné بالهدية ، والدشن . والدواشن والعطيات والهدايا ، أما المعاجم الجديدة فخلت من لفظتي الدشن والدواشن مما يدل على أنهما كانتا متداولتين في القرن العاشر الميلادي . ومنه فعل ܕܫܒ dasbéne ومعناه أهدى ، منح ، وهب ، كفعل دَشّنَ العربي ، فقال المطران ادى شير بفارسيتها او انها من توافق اللغات ، ورجح الدكتور الجلبي آراميتها لاثبات الفعل منها بخلاف الفارسية ، وحجته استعمال عامي عراقي لها بمعنى باكورة الثمر او البقل تهدى الى الأكابر استدراراً لعطائهم وذلك جمعاً بين معنى الهدية والجديد . (الآثار ص ٤٠) .

دكدك : دقّ مراراً ، صيّر شيئاً تراباً ورميا . تدكدكت الجبال تهدّمت ، ودكداك : ارض فيها غلظ : ܕܗܕܗܐ dahdahe ، وفي نبوة اشعيا ٤٠ : ٤ « وتصير الآكام دكداكا » (الدين والدولة ص ٨٥) .

دُلب : قال الشهابي ص ٥٠٤ « الدُّلب من اصل سامي له اشباه بالآثورية والارامية ، جنس شجر للتزيين » ܕܘܠܒܐ doulbo .

دُمية : شبه ، شكل ، صورة ، لفظة سريانية ܕܡܘܬܐ dmoutho و ܕܘܡܝܐ doumio والفعل ܕܡܐ و ܕܡܝ dami , dmo شابَه ، مثّل ، صوّر . جمعها الدمى : قال في التاج ١٠ : ١٣١ « الدمية الصورة المنقشة من الرخام (عن الليث) وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه او عامّ من كل شيء مستحسن في البياض ، او الصورة عامة ، وقال ابن الاثير : هي الصورة المصورة لانه يتنوّق في صنعها ويُبالغ في تحسينها . قال الأعشى (التاج ٦ : ٣٤٤) وحُورٍ كأمثالِ الدّمى ومناصفُ ، وقال الأحوص (الأغاني ٤ : ١٤٣) :

كأنّ لُبنى حبير غاديةٍ او دُميةٌ زُيّنت بها البِيَع

وقال عمرو بن أبي ربيعة (الكامل للمبرّد ص ٣٠٧)

دُميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوّروها في جانب المحرابِ

(آداب نصارى الجاهلية للأب شيخو ص ٣٥٤) وقد غلط اللغويون في توهمهم أنها عربية الأصل ، وتمحّل بعضهم تعليلاً لها مغلوطاً فيه كقول ابي العلاء الذي عنه نقل التاج « قال سمّيت دُمية لأنها كانت تصوَّر بالحمرة فكأنها أُخذت من الدم » ويقرب منه قول الأساس ١ : ٢٨٤ « جارية كدُمية القصر وجوارٍ كالدُّمى وهي الصورة المنقشة وفيها حمرة كالدم » .

الدّنح : الظهور يراد به عيد الغطاس او العماد ܕܢܚܐ denho لفظة سريانية اسم مصدر من فعل ܕܢܚ dnah شرق ، ظهر ، لاح ، طلع . وتسمى به بعض السريانيين ، ومنهم ابو زكرياء دنحا الذي جرت بين المسعودي وبينه مناظرات

كثيرة ببغداد وغيرها[1] قال البيروني ص ٢٩٣ «وفي السادس من كانون الآخر دنحا، وهو عيد الدنح نفسه، ويوم المعمودية الذي صبغ فيه يحيى بن زكريا المسيح وغمسه في ماء المعمودية» وهكذا ابو الفداء في تاريخه ١ : ٩١ قال ابن دريد ولا أحسبها عربية وقد تكلمت بها العرب (المخصص ١٣ : ١٠٢) وجاء في التاج ٢ : ١٣٨ لا أحسبها عربية صحيحة عيد للنصارى وتكلمت به العرب، ثم علق بقوله «الدنح لفظ سرياني واصل معناه الطلوع» اهـ، وقال الجواليقي ص ١٤٤ «ليست عربية محضة وهي معربة».

دُوغ : مخيض حامض أورده الجواليقي في المعرّب ص ١٥٥ «قال ابو زيد «الدَّوق» اللبن الكثير قال ابو حاتم، لعله فارسي معرب، يريد (الدُّوغ) وفي القاموس «الدوغ بالضم : المخيض فارسي» وهو بالسريانية ܕܘܓܐ فلعلها من توافق اللغات، dowgho .

الدَّير : المسكن والمنزل الذى يسكن فيه جماعة الرهبان او الرواهب يتعبدون لله جلّ ثناؤه والجمع ديارات وديرة واديار، وهو لفظ سرياني بحت ܕܝܪܐ dairo والفعل ܕܳܪ و ܕܰܝܰܪ ومعناه حلّ وأقام daïare , dore وهذا الثاني هو المأنوس . وساكن الدير ܕܰܝܪܳܝܳܐ راهب، ناسك، ديراني، ديَّار dairoio ورأس الدير : ܪܺܝܫܕܰܝܪܳܐ richdairo والراهبة ديرانية، وقال فيها بعضهم ديرية : ܕܰܝܪܳܝܬܳܐ ، ܕܰܝܪܳܢܺܝܬܳܐ daironºitho , dairoito وليس اصله الدار كما زعم الجوهري (معجم البلدان ٤ : ١١٨) قال صاحب الأساس ١ : ٢٩١ «هذا دير الراهب اي صومعته، ومررت بديراني وديَّار وهو الذي يسكن الدير ويعمّره»[2] . وعن الشابشتي عن الفضل بن العباس بن المأمون، انه خرج مع المعتز للصيد ... فسألني الديراني عن المعتز ويونس» (مسالك

(١) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٣٥٦ : ٣٥٧ عن التنبيه والاشراف ص ١٥٥ وفيه ورد اسمه مصحفاً ذنحا او دنخا .	(٢) راجع أيضاً مسالك الأبصار ١ : ٣٤٠ و ٣٤١ .

الأبصار لابن فضل الله العمري ص ٢٨٣) ، وجاء فيه أيضاً ص ٢٦٩ عن اسحق الموصلي قال « ودخلت الدير اطوف فيه فرأيت ديرانية » ووردت الديرانية ، أيضاً في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٢٩ وفي معجم البكري ص ٣٧٧ وقال ابو منصور « صاحب الدير الذي يسكنه ويعمّره : ديراني وديّار » معجم البلدان ٤ : ١١٨ ، وجاءت لفظة ديرية بمعنى الراهبة في مسالك الأبصار ١ : ٢٦٠ « عشرين ديرية » ويستدرك على ياقوت في معجمه (٤ : ١١٨) قوله : « الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم انما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال (فأن كان في المصر كان كنيسة او بيعة) واصوب منه قول المقريزي (الخطط ٣ : ٤٠٩) « الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به ، والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة » وينكر على اصحاب اللسان ٥ : ٢٨٧ والتاج والقاموس وابن سيده تعريفهم الدير بانه « خان النصارى » ! وقد دفعهم الى هذا التعسف الظاهر ان معظم الديارات كانت تنزلها القوافل لوقوعها على الطريق فتجد فيها ما تحتاج اليه من مأوى وطعام وعلف ، وخصوصاً أبناء السبيل . قال الخالدي في دير الزعفران الذي هو على جبل مطلّ على نصيبين وديار ربيعة ... « ولهذا الدير بيوت للضيافة في علوّ الهيكل » (مسالك الأبصار ص ٣٠٥) راجع أيضاً فيه ص ٣٠٧ [1] .

* * *

(١) قال الجواليقي ص ١٤٩ (لا دهل) بالنبطية معناها لا تخف . وقد جاء في شعر بشّار : (فقلت له لا دهل من قل بعدما) . قال الأزهري « وليس لأ دهل ولا قل) من كلام العرب ، انما هو كلام النبط يسمون الجمل : قل » قلنا ܕܚܠܐ dehlo مصدر فعل ܕܚܠ خاف dhèle وهو بالحاء لا بالهاء معناه ، لا خوف . والجمل بالسريانية ܓܡܠܐ (كملا) بالجيم المصرية gamlo ولعلهم بها كانوا يلفظون اسم الجمل . وقال أيضاً ص ١٥٥ « الديّوث عن ابي بكر ، كلمة أحسبها عبرانية أو سريانية » قلنا ليست سريانية .

حرف الذال

مَذبَح : المذبح اسم مكان من فعل ذبح الذي توافقت فيه السريانية والعبرية والعربية . جاء في المصباح : «ومذبح الكنيسة كمحراب المسجد والجمع مذابح» وغلط صاحب القاموس بقوله «المذابح المحاريب والمقاصير وبيوت كتب النصارى» قال صاحب الفائق ص ٤٢٨ عن مروان : «أُتي برجل ارتدَّ عن الاسلام فقال كعب أُدخلوه المذبحَ وضعوا التوراة وحلّفوه بالله ، قال شَمِر : المذابح : المقاصير ويقال هي المحاريب» . والمذبح في العُرف المسيحي «مائدة مستطيلة الشكل مستويته تكون في صدر البيعة يقرّب عليها القسيس القربان الإلهي ، ويطلق أيضاً على البيت الذي في صدر البيعة المشتمل على موائد التقديس ومحلّ الاكليروس في أثناء ذلك» بهذا التعريف يجب تدوينه في دواوين اللغة . واللفظة السريانية ܡܰܕܒܚܳܐ madhbho وفي سفر التكوين ٨ : ٢٠ «وبنى نوح مذبحاً للرب» وفي الرسالة الى العبرانيين ١٣ : ١٠ «لنا مذبح لا يحل للذين يخدمون قبّة الزمان أن يأكلوا منه»

ذَقَن : وذقن : مجتمع اللحيين من اسفلها (القاموس واقرب الموارد) وفي الشفاء ص ٩٣ (... واستعماله بمعنى اللحية من كلام المولدين كما صرحوا به) وفي ذيل أقرب الموارد ... قال الزمخشري في ربيع الأبرار : «انه اللحية في كلام النبط» عن التاج : كلمة سريانية ܕܰܩܢܳܐ ، ܕܩܢܶܐ dakno , dkane : ذقن لحية ، والفعل ܕܰܩܶܢ dakène التحى ، أرخى لحيته .

ذِكْران : كلمة سريانية ܕܽܘܟܪܳܢܳܐ doukhrono مصدر فعل ܕܟܰܪ dkhar معناه : ذِكْر بكسر الذال واسكان الكاف ، شهرة ، صيت ، مدح ، تذكار عيد . عم استعمالها المسيحيين من السريان والكلدان والروم قديماً تعريباً من السريانية ، وجمعها ذكارين وذكرانات ، اكثر البيروني من ايرادها في الآثار الباقية ، من ذلك ص ٢٨٨ «في ما يستعمله النصارى الملكائية في الشهور

السريانية : تشرين الأول في اليوم الأول منه ذِكران حنين الأسقف الشهيد تلميذ بولس (صوابه معلم بولس) ومن رسومهم في هذه الذكارين انهم يذكرون صاحبه ويدعون له ويثنون عليه ... وربما قسم الذكارين بعضهم على بعض فيقولون فلان صاحب ذكران فلان ، فاذا كان الذكران اجتمعوا عنده فأضافهم واطعمهم . وقال ص ٢٩٤ واذا كانوا صائمين (يريد الصيام الأربعيني) لم يستعملوا من الذكرانات التي نذكرها الا ما وقع منها يوم السبت فانهم يستعملونه فقط » وقال ص ٣٠٠ « وبين اسم الذِكران والعيد فرق . فان العيد اجلّ رتبة والذكران ادون » اهـ ، وقال الأب الكرملي في لغة العرب ٤ : ٨ ص ١٥٩ والكلمة ارامية معناها يوم العيد المخصص باحد اولياء الله من غير ان ينقطع الناس فيه عن الأشغال المتعبة . لأن اعياد النصارى على قسمين قسم لا يجوز فيه الأشغال المتعبة ، وقسم تجوز فيه تلك الأعمال ، وهذا القسم الأخير هو المعروف بالذكران بضم فاسكان اهـ ، ورواها بالدال المهملة ومرة بالمعجمة ، قلنا والكسر فيها أضبط من الضم . ووردت في كتاب الناموس في قوانين ايفانيوس عد ١٠١ « القداسات التي تقدس في ذكارينهم » وفي قوانين مجمع نيقية الأول : « وكانوا يعملون له الذكارين في كل سنة » وفي كتاب المجدل لماري بن سليمان ص ١٥ « وعملوا له الذكارين لظنهم انه توفي » وقال ابوالفرج الاصبهاني في فتاة قصدت الى بعض الديارات :

ابرزها الذِكرانُ من خدرها تُعَظّم الديرَ ورهبانَهُ

(معجم الأدباء ١٣ : ١١٤) وقال القس ابو البركات ابن كبر في « مصباح الظلمة ص ٤٨ « والذكرانات والأفراح والمآتم) .

ذَكِيّ : ܕܟܝܐ dakhio وتفسيره طاهر نقي نظيف خالص . والفعل ܕܟܐ ، ܕܟܝ dkho . dkhi طهر نظف : وفي العربية ذكّى الذبيحة ذبحها وكذا بالسريانية ܕܟܝ ، ܕܟܝܬܐ daki , dékbtho قربها . وورد عن

عن عمر بن الخطاب انه أمر العرب الذين غزوا اذربيجان قال: «انكم بارض يخالط طعام اهلها ولباسهم الميتة فلا تأكلوا الا ذكياً ولا تلبسوا الا ذكياً، يريد الفراء» اهـ البلاذري ٣٣٥ . وما عنى بذكي الا ما طهر، وتجد هذا المعنى في زكى . والزكيّ: الطاهر من الذنوب والطيب ومنها: فلينظر ايها ازكى طعاماً، اي اطيب . وفي قوانين ايبفانيوس في كتاب الناموس المذكور آنفاً «لأن يرى به انه في أكله اللحم الذكي لا رجاء له» . وفيه أيضاً «عند التذكية وقت فراغه وتنظيفه» فالكلمة سريانية او هي متوافقة في السريانية والعربية بل والبابلية أيضاً على ما أورد الأب دورم في كتابه المذكور آنفاً ص ٢٩٧ قال «zakû معناها نقي، طاهر» .

* * *

حرف الراء

رَبّ : ܪܒ ، ܪܒܐ rab , rabo : ربّ، سيد، رئيس، زعيم، كبير، عظيم، كثير، جليل . والفعل ܪܒ rab : ربَّ، ساد، كَبُر، كثر، ذاع صيته . والمصدر ܪܒܘܬܐ raboutho : ربوبية، عظمة، جلالة، قوة . ومنه ܪܒܐ، ܪܒܢܐ rabono , rabo : إمام، معلم، استاذ ـ مادة سريانية، وتوافقها العبرية، ولا أصل لها في العربية ـ وفي التاج: الرب هو الله عزّ وجلّ وهو رب كل شيء أي مالكه . وفي القاموس ١ : ٧٠ الرب باللام لا يطلق لغير الله . والرباني: المتألّه العارف بالله، فالرباني كقولهم الحيّ ونونه كلحياني او هو لفظة سريانية» وفي صحاح اللغة للجوهري: الرباني العالم المعلم والموصوف بعلم الربّ، او هو لفظة سريانية او عبرانية، قاله ابن عبيد . وفي مفردات الراغب الاصفهاني ص ١٨٣ «وقيل ربّاني لفظ في الأصل سرياني، وأخلق بذلك فقلما يوجد في كلامهم» وفي التاج: الرباني العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها، وقيل هو العالم الراسخ في العلم والدين أو المتأله العارف بالله . وفي القرآن (ولكن

كونوا ربانيين [١])غلب في العربية على الحَبر إمام الشريعة وهو الأستاذ الفقيه · وفي تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٠ (وجبريل يخاطبه (حنين) بالتبجيل ويسميه (الربان) اي الأستاذ ܪܒܘܢܐ rabono · وكذا في طبقات الأطباء ١ : ١٨٦ « ويقول له يا ربّن حنين وتفسير ربّن يا معلم » ·

وقال الجواليقي ص ١٦١ « والربانيون » قال ابو عبيد : احسب الكلمة ليست بعربية وانما هي عبرانية او سريانية · وذلك ان اباعبيدة زعم ان العرب لا تعرف الربانيين · قال ابو عبيد وانما عرفها الفقهاء واهل العلم · قال وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول « الربانيّون » العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي » اهـ ، واورد السيوطي خلاصته في « الاتقان » وزاد : وجزم القاسم بانها سريانية ص ١٣٩ واضيفت « ربّ » الى البيت والجيش وغيرهما في السريانية والعربية ، قال ابو سفيان بن حرب الحضرمي :

وتنزل بلدةً عزّت قديماً وتأمنُ ان ينالكَ رَبُّ جيشِ [٢]

الربّانيون : فرقة من اليهود [٣] ·

---

(١) سورة آل عمران في الآية ٧٩ ومثلها في سورة المائدة ٤٤ و ٦٣

(٢) علّق ناشر الجوالبقي وشارحه على هذه اللفظة شرحاً طويلاً دفعه اليه التمحل وأملته عليه العصبية ، منكراً على قدماء اللغويين رأيهم ، وليته حوى شبه حجة لغوية يؤخذ بها . وكل ما فيه انه استند الى تعليل اجوف تمّ للراغب في المفردات ص١٨٢ ولسيبويه في نسبة الرباني وكفى بهذا التضعيف تنويهاً . وكذا تخريجه للفظة (رُبان السفينة) تعلّقاً برأي واهن لابن دريد .

(٣) الرُبّان (بضم الراء) قال الجواليقي ص ١٥٩ « الرُبّان صاحب سُكان المركب البحري لا أدري ممّ أخذ ، الا انه قد تكلم به ، عن الجمهرة ١ : ٢٧٧ » . وفي اللسان والتاج : رُبّان السفينة الذي يجريها ويجمع ربابين ، قال ابو منصور (الأزهري) واظنه دخيلا ، وكذا في شفاء الغليل ص ٩٠ : وغلط الزمخشري بقوله انه سُكان السفينة « وقعد على رُبّان السفينة وهو سكانها : ذنبها » الأساس ١ : ٣١٣ وصوابه صاحب السكان . قلنا ولا يبعد ما ذهب اليه الجلي (الآثار ص ٤٦) ان الكلمة ܪܒ السريانية والعبرية ، فقد جاء في كنز اللغة السريانية ص ٤٧٥ : ܪܒ ܡܠܚܐ rab - malohé وتفسيره رئيس الملاحين فقالوا فيه الرُبّان .

رُبَّة : الرُبَّة الجماعة من الناس (القاموس) الجماعة الكثيرة او عشرة آلاف . قال ابو حاتم : قلت للاصمعي الربَّة الجماعة من الناس ؟ فلم يقل شيئاً وأوهمني انه تركه لأن في القرآن : سورة آل عمران ١٤٦ (ربيون) اي جماعة منسوبة الى الربَّة ، ولم يذكر الاصمعي في الأساطير شيئاً (المزهر ٢ : ٢٠٥) هي كلمة سريانية ܪܒܘܬܐ ، ܪܒܘ : rébou , réboutho مدلولها : ربوة عشرة آلاف او مئة الف . وفي القرآن « وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربّيون كثير » اي الألوف والجماعة الكثيرة . وجاء في الاتقان ص ١٣٩ « وذكر ابو حاتم احمد بن حمدان اللغوي في كتاب الزينة ان ربّيون (سريانية) »[1] .

الرِجز : الغضب ، السَخط : كلمة سريانية ܪܘܓܙܐ roughzo من فعل ܪܓܙ rghèse غضب ، رجز : جاء في المزامير بحسب نسخة كتاب الدين والدولة ص ٧٧ « وهو يكسر في يوم رِجْزه الملوكَ » وفي اشعيا « ودُستُ الأمم برِجزي » ص ١٠٠ . وفي صفنيا « لأَصُبَّ عليهم رِجزي واليم سَخَطي » ص ١٠٤ ، وفي نبوة ارميا « وأُنزل عليهم البلاء والرجزَ الأليم » ص ١٠٧ . وفي القرآن « وربَّك فكبّر وقلبك فطهّر والرُجْزَ (بضم الراء) فاهجُر » قال السيوطي في الاتقان فسَّروه بالصنم ! والصواب ما قلناه آنفاً ، ويزيدك دليلاً قوله « كشفنا عنهم الرِجْز » اي السَخَط . وقال الراغب في المفردات ص ١٨٦ « وقوله : فالرُجز فاهجر قيل هو صنم ، وقيل هو كناية عن الذنب فسماه بالمآل . وقوله : عذاب من رِجز أليم : فالرجز هنا كالزلزلة » .

رَحمان : ܪܚܡܢܐ rahmono من صفات الله تعالى : وفي نبوة اشعيا ٤٩ « لأنّ رحمانهم معهم » (الدين والدولة ص ٩٧) وورد أيضاً في كتاب الشهداء الحميريين السرياني ص ١٣ و ٢٨ وفي القرآن ، وجاء في الاتقان ص ١٣٩ ذهب المبرد وثعلب الى انه عبراني واصله بالخاء المعجمة . وقال سلامة بن جندل :

(١) وفي كتاب دورم ص ٢٠٢ وردت rabûte بمعنى كبير في اللغة البابلية .

عجلتم علينـا مجتين عليكم وما يشأ الرحمان يعقد ويطلق

وهو لفظ سرياني ، قال الصغاني في التكملة « سئل ابو العباس عن « الرحمن الرحيم » لم جمع بينهما ، قال لأن الرحمن سرياني ، والرحيم عربي » .

بل ان الأب بولس دورم الدومنكي ذكر في كتابه « الديانة الاثورية البابلية » ص ١٩٦ ان اللفظة كانت مستعملة في اللغة البابلية rimènû : رحمان .

رخل : صغير الضأن ، ورخلة صغيرة الضأن . ܪܚܠܐ ، ܪܚܠܬܐ rahltho , rahlo وردت في الكلدانية القديمة ، وفي نبوة اشعيا ٦٠ : ٧ « وتسير اليك اغنام قيذار كلها وتخدمك رخالات نباوت » (الدين والدولة ٩٥) ومنها اسم راحيل .

وانكر الحريري في درة الغواص ص ٩٥ رخلة ، وصوابها في الفصحى رَخِل او رِخْل بفتح الراء وكسر الخاء او بكسر الراء واسكان الخاء ، ولكن الخفاجي اجازها .

رسامة : مصدر رسم الأسقف القسيس اعني منحه وقلده درجه القسيسية ، كلمة سريانية والفعل ܪܫܡ بالشين المعجمة rshame ومنه الراسم والمرسوم ، وهي الفاظ مسيحية (انظر سيامة) وردت في كتاب الجوهرة لابن سباع القبطي ص ١٤٦ « يرسمه » .

رصد : رقب ܪܨܕ rsade لفظة كلدانية قديمة (الدليل ص ٧٥٢) ولعلها من توافق اللغات .

رَقّ : جلد رقيق يكتب عليه ، جمعه رقوق ، وكان له معامل تصنعه في بعض البلاد ويجوّده السريانيون ومنها مدينة ملطية ܪܩ ، ܪܩܐ raqo , raq .

رقاق : صحصاح ، ارض مستوية ليّنة التراب تحته صلابة ، أو نضبت منها المياه : ܪܩܘܩܐ rqoqo وردت في كتاب علة كل العلل .

رقان : رندج ، مصقل النجار ، معرب من السريانية ܪܩܘܢܐ ، ܪܩܢܐ rqono , raqno . (معجم ابن بهلول ، ومقدمة دليل الراغبين ص ٢١) .

رَكَش : شدّ ، خطم البعير بالركاس ، قمع ، اذلّ : سريانية ܪܟܫ rcache وقعت في شعر الامام اسحق الانطاكي المتوفى نحو سنة ٤٩١ م

(مقدمة الدليل ص ٢٠) ولعلها مما توافقت فيه السريانية والعربية [١] .

روح القدس : تعبير سرياني ظاهر : ܪܘܚ ܩܘܕܫܐ rouh - koudcho .

روحاني : ما فيه روح ، وكذلك النسبة الى الملائكة والشياطين . والنسبة فيه سريانية ܪܘܚܢܐ ، ܪܘܚܢܝܐ rouhonoio , rouhono . ومثله في هذه النسبة : البراني والجسماني ، والنفساني ، والنوراني ، والهيولاني . وليس كذلك الفوقاني والتحتاني والشهواني .

رَشَم : ختم بيدر الحنطة بالروشم (المزهر ١ : ٣٤) وجاء في فقه اللغة للثعالبي : الرشم على الحنطة والشعير . وفي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري ص ٦٥ « فاذا بلغ الزرع ودُرس وجُمع ذرّوه وعرّموه وتركوه ، حتى اذا لم تبقَ غلّة لأحد الا وقد عُرّمت ورُشمت ، خرج صاحب السلطان » وهو الروشم [١] . مادة سريانية ، الفعل ܪܫܡ rshame والآلة ܪܫܡܐ rashmo السمة الروشم . وقال فيه الاسكافي ص ٣٤ : الروسم بالسين المهملة : الرسم . ومنه :

المِرْشَم : والمنقط من أدوات الخباز ، قاله ايليا ابن السنّي ܡܪܫܡܢܐ mrashmono وسماه الاسكافي (المرشمة) قال ص ٦٤ « والذي ينقّط به الخبز : المنكتة والمرشمة والمنقطة والمخزة » وقال فيه صاحب الدليل : راسوم ، راشوم ، روسم [٢] .

رَهَط : جِلد يشقّق سيوراً ܪܗܛܐ : rahto (الدليل ص ٧٢٦) [٣] .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

---

(١) وفي الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق ص ١٥٤ الرشم مثل الوشم كما في التهذيب ، ونحوه الرسم والوسم وفي ص ١٥٨ رشم رسم والروشم الروسم .

(٢) رشمة : جاء في التاج : بالفتح ما يوضع على فم الفرس عامية هي سريانية ܪܫܡܐ rashmo رسن الدابة .

(٣) قال ابو القاسم في قول القرآن : « واترك البحر رَهْواً » أي سهلاً دمثاً بلغة النبط ، وقال الواسطي أي ساكنا بالسريانية ، وكذا السيوطي في الاتقان . قلنا ليس هذا في السريانية ولعله من (رحب) العبرية ؟

كنوز الأجداد

— ٩ —

ابن دريد

ابو بكر محمد بن الحسن

(٣٢١)

يتصل نسبه بيعرب بن قحطان . ودُرَيْد تصغير ادرد الذي ليس في فيه سن . وهو من الأزد والازد سكنوا مأرب ولما تفرقوا نزل بعضهم لعمان ومنهم بعض أجداده . ولد ابن دريد في البصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعاش ثماني وتسعين سنة .

نشأ في عُمان والبصرة وفي هذه قرأ على ابي عثمان الأشنانداني وكفله عمه وعليه قرأ مبادئ العلم . ومن أساتذته ابو حاتم السجستاني والرياشي والتوزي والزيادي وغيرهم من أجلة العصر . كان اماماً في اللغة والنسب والشعر آية في الحفظ حفظ كثيراً من دواوين العرب وقيل انه أملى كتاب الجمهرة من حفظه وهوابن اربع وسبعين سنة . ورحل ابن دريد الى الأهواز يؤدب اسماعيل بن ميكال وكان ابوه عبد الله تولاها وبقي مع الأب والابن مدة ولاية الأب عليها وقلده عبد الله ديوان فارس فكانت تصدر كتبها عن رأيه . وسكن بغداد كما سكن عمان وطاف في ارجاء الجزيرة جزيرة ابن عمر واتصل في بغداد بالخليفة المقتدر فأحله منه أجمل محل وأجرى عليه خمسين ديناراً ، وما كان ابن دريد مقتراً عليه طول حياته وكان أهله في سعة من العيش فأفاد منهم وممن اتصل بهم من الأمراء والخلفاء . كان سخياً سرياً جميل العشرة غير ضنين بعلمه . والغالب

انه كان شافعي المذهب وان كان سكان عمان وما اليها في أيامه على مذهب الخوارج . وكان يرجع اليه في اللغة ويفتي بقوله ، تصدر في العلم ستين سنة وقالوا ان العلم والشعر ما ازدحما في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد . وقالوا انه كان في شعره طوراً يجزل وطوراً يرق ، وقد نظم في كثير من أغراض الشعر وأجل ما نظمه حكمه ومنها مقصورته وفيها مثال من حكمته وتبحره في اللغة مدح بهـا الأمير ابا العباس اسماعيل بن ميكال رئيس نيسابور ومقدمها . وقدم له كتاب الجمهرة قال ابو العباس ان ابن دريد أملى عليه كتاب الجمهرة من أوله الى آخره حفظاً وما استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب الا في باب الهمزة والألف فانه طالع له بعض الكتب ، ومن مشهور كتبه كتاب الاشتقاق وله غير ذلك منها ما طبع ومنها ما لم يطبع . وقد « رُمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامها » وهذا مما نستبعده والذي حصل والله أعلم انه نقل ألفاظاً غير مألوفة أدمجها في شعره وعنده ظنه أنه خدم بها اللغة مثل قوله مثلاً :

أماطت لثاماً عن اقاح الدمائث ... بمثل اساريع الحقوف العثاعث
ونصت عن الغصن الرطيب سوالفاً ... يَشُب سناها لون احوى جثاجث
ولاثت تُدَنّي مِرطها دعص رملة ... سقاها مجاج الطلِّ عَبَّ الدنائث

وبعض هذه الألفاظ مما يحتاج في فهمه ان يرجع الى مثل الأصمعي وابي زيد لأنها من عويص اللغة تورث الصدر انقباضاً لمن أراد تفهمها ، وبعض من لم يعرف يقتصر الطريق ويقول ان ابن دريد يأتي بما ليس له أصل في اللغة من الكلمات بل ان الأصمعي قال في عدة مواقع وقد عرض عليه الكلام العويص انه لم يفهم . أنشدوه مرة بيتاً لامرئ القيس :

وسنّ كسُنَّيق سناه وسُنّما ... ذَعَرْت بمدلاج الهجير نهوض

قال الأصمعي : لا أدري ماالسن ولا السنيق ولا السُّنم .

وقوله : عصافير وذبان ودود واجرأ من مجلجلة الذباب

وزاد في تقبيح ذلك وقوعه في أبيات منها :

فقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب
وكل مكارم الأخلاق سارت اليه همتي ونما اكتسابي

وقد استعمل ابن دريد الشعر في تقرير بعض المفردات وجعله سلماً الى تفسير أمور صعبة تدخل في قواعد الألفاظ مثل ما يذكر من الأعضاء ولا يؤنث وما يؤنث ولا يذكر وما يذكر ويؤنث ٠

ومن شعره العذب :

لو ان قلباً ذاب من كمد ما كان بين ضلوعه قلب
لو كنت صباً اوتسرُ هوىً لعلمتَ ما يتجرع الصب
يهوى اقترابك وهو قاتله فشفاؤه وسقامه القرب

ومنه :

وليلة سامرتْ عيني كواكبها نادمت فيها الصبا والنوم مطرودُ
تستنبط الراح ما تخفي النفوس وقد جادت بما منعته الكاعب الرود
والراح تفتر عن درٍ وعن ذهب فالتبر منسبك والدر معقود
يا ليل لا تُبح الاصباح حوزتنا وليحم جانبَه أعطافك السود

وكتب الى ابي الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير :

أبا حسن ، والمرء يُخلق صورة تُخبر عما ضُمّنَتْه الغرائز
اذا كنت لا تُرجى لنفع معجل وأمرك بين الشرق والغرب جائز
ولم تكُ يوم الحشر فينا مشفعاً فرأي الذي يرجوك للنفع عاجز
عليَّ بن عيسى خير يوميك ان تُرى وفضلك مأمول ووعدك ناجز
واني لأخشى بعد هذا بان تُرى وبين الذي تهوى وبينك حاجز

وقال : وما أحد من ألسن الناس سالمًا ولو انه ذاكَ النبي المطهر

فان كان مقداماً يقولون اهوج وان كان مفضالاً يقولون مُتزر
وان كان سكيتاً يقولون ابكم وان كان منطيقاً يقولون مِهذر
وان كان صواماً وبالليل قائماً يقولون زرّاف يرائي ويَمكر
فلا تحتفل في الناس بالذم والثنا ولا تخشَ غير الله فالله اكبر

ومن مليح شعره :

غراء لو جلت الخدور شعاعها للشمس عند طلوعها لم تشرق
غصن على دِعص تأود فوقه قمرٌ تألق تحت ليل مطبق
لو قيل للحُسن احتكم لم يعدُها او قيل خاطب غيرها لم ينطق
وكأننا من فرعها في مغرب وكأننا من وجهها في مشرق
تبدو فيهتف للعيون ضياؤها الويل حل بمقلة لم تُطبق

وقال وهو مشهور متداول على الألسن :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق قبل مزاجها فلما مزجناها حكت خدّ عاشق

وقال في أخلاق الناس :

ارى الناس قد أغروا ببغي وريبة وغيّ اذا ما ميز الناسَ عاقل
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم الى نحو ما عاب الخليقةَ مائل
اذا ما رأوا خيراً رموه بظنّة وان عاينوا شراً فكلٌّ مناضل
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى ولا فيهم عن زلة متغافل
وان عاينوا حبراً أديباً مهذباً حسيباً يقولوا انه لمخاتل
وان كان ذا ذهن رموه ببدعة وسموه زنديقاً وفيه يُحاول
وان كان ذا دين يُسمّوه نعجة وليس له عقل ولا فيه طائل
وان كان ذا صمت يقولون صورة ممثلة بالعيّ بل هو جاهل
وان كان ذا شر فويل لأمه لما عنه يحكي من تضم المحافل

وان كان ذا أصل يقولون انما بفاخر بالموتى وما هو زائل
وان كان مجهولاً فذلك عندهم كبيض رمال ليس يعرف عامل
وان كان ذا مال يقولون ماله من السحت قد رابى وبئس المآكل
وان كان ذا فقر فقد ذلّ بينهم حقيراً مهيناً تزدريه الأراذل
وان قنع المسكين قالوا لقلة وشحة نفس قد حوتها الأنامل
وان هو لم يقنع يقولون انما يطالب من لم يعطه ويقاتل
وان يكتسب مالاً يقولوا بهيمةٌ أتاها من المقدور حظ ونائل
وان جاد قالوا مسرف ومبذر وان لم يجُد قالوا شحيح وباخل
وان صاحب الغلمان قالوا لريبة وان اجملوا في اللفظ قالوا مباذل
وان هويَ النسوان سموه فاجراً وان عفّ قالوا ذاك خنثى وباطل
وان تاب قالوا لم يتب منه عادة ولكن لافلاس وما ثمّ حاصل
وان حج قالوا ليس لله حجّه وذاك رياءٌ أنتجته المحافل
وان كان بالشطرنج والنرد لاعباً ولاعبَ ذا الآداب قالوا مداخل
وان كان في كل المذاهب نايزاً وكان خفيف الروح قالوا مثاقل
وان كان معزاماً يقولون أهوج وان كان ذا ثبت يقولون باطل
وان يعتلل يوماً يقولوا عقوبةٌ لشر الذي يأتي وما هو فاعل
وان مات قالوا لم يمت حتف انفه لما هو من شر المآكل آكل
وما الناس الا جاحد ومعاند وذو حسدٍ قد بان فيه التخاتل
فلا تتركن حقاً لخيفة قائلٍ فان الذي تخشى وتحذر حاصل

هذا شعر ابن دريد وهذه حكمه وقد جاء منها في مقصورته الشيء الكثير حتى كاد يكون في حكم الأمثال ولم نطلع فيما اطلعنا عليه من مؤلفاته على شيء من نثره ولا شك ان له منه طائفة خصوصاً وقد تقلد الدواوين وكان الحاكم يصدر عن آرائه فبالشعر لا تتم هذه المقاصد ، ومن العادة ان يغفل النثر ويتهالك على جمع القريض ولو كان من السقط الذي يجب ان يرذل ٠

الباقلاني

القاضي محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر

(٤٠٣)

الباقلاني نسبة الى الباقلا وبيعه من كبار المتكلمين الأشاعرة ومن زعماء مذهب مالك ولد في البصرة على أصح الأقوال وسكن بغداد وتولى القضاء «وكان حسن الفقه عظيم الجدل وكانت له ببغداد حلقة عظيمة» وصفوه بانه «سيف أهل السنة في زمانه وامام متكلمي اهل الحق» «كان أعرف الناس بعلم الكلام وأحسنهم فيه خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة» وقالوا «كل مصنف ببغداد انما ينقل من كتب الناس الا القاضي ابا بكر فان صدره يحوي علمه وعلم الناس» وقالوا «لو أوصى رجل بثلث ماله لأفصح الناس لوجب أن يدفع الى ابي بكر الأشعري» وكان من المكثرين من التأليف والمجودين فيه يكتب كل ليلة خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه «فاذا صلى الفجر دفع الى بعض أصحابه ما صنفه ليلته وأمره بقراءته عليه وأملى عليه الزيادات فيه» و «حسبت تواليف القاضي وإملاآته وقسمت على أيام عمره من مولده الى موته فوجد انه يقع لكل يوم منها عشر ورقات أو نحوها» .

واشتهر القاضي بمناظراته فكان في العراق وفارس يناظر المعتزلة ولما شاع ذكره، وهو ما برح في سن الشباب، استدعاه عضد الدولة فناخسرو لمناظرة المعتزلة في شيراز وكان عضد الدولة قال في مجلس له ان هذا المجلس عامر بالعلماء الا اني لا أرى أحداً من أهل السنة والاثبات ينصر مذهبه فقال له قاضي القضاة وكان معتزلياً ان أهل السنة والاثبات عامة رعاع أصحاب تقليد وأخبار وروايات يروون الخبر وضده ويعتقدونهما وواحدهما ناسخ للثاني أو متأول . فجاءوا بالباقلاني وناظر

المعتزلة فقيل انه غلبهم وحظي عند عضد الدولة البويهي وهذا من الشيعة وقد ندبه عنه في جواب رسالة الى الروم فناظر علماءهم في القسطنطينية وقالوا انه كان أبداً الظافر في مناظراته . وله أكثر من خمسين مؤلفاً ولم يطبع له منها الا اعجاز القرآن والتمهيد ، وألف هذا الكتاب لابن عضد الدولة وقد أسلمه أبوه اليه ليعلمه مذهب أهل السنة ، وهو في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة وفي حرص عضد الدولة على تعليم ابنه مذهب السنة دليل تسامحه وبعد نظره فانه رأى كثرة الأمة من أهل السنة وأكثر رعيته منهم فأحب ان يتخرج ابنه في مذهبهم حتى يكون ملكاً على رأي الأكثرية بعد أبيه .

كان الباقلاني الى الاعتدال في محاجة المخالفين معتدلاً أكثر من غيره ممن يشتمون ويهزأون ولا يستنكفون من المبادرة الى تكفير خصمهم . وقد عقد فصلاً ممتعاً في آخر كتابه التمهيد عرض فيه لامامة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ورد على من نالوا منهم وقالوا ان خلافتهم موضع نظر رداً دل على علو كعبه في التاريخ وعلى سعة استخراجه ومعرفته بنقض ما يرده العقل

كتب كل ذلك من السهل الممتع بدون سجع ولا تزيد في الألفاظ واسلوبه هذا كما ظهر من اعجاز القرآن والتمهيد لم يحد عنه ولذلك حاز القبول وما رأينا له أسجاعاً الا في مقدمة كتابيه وهي اسجاع لطيفة لا تكلف فيها .

والباقلاني كان على ما يظهر على فرط اعتداله في المناظرات ورد كلام خصومه عارفاً بسياسة العلم وسياسة الخلق ذكياً مفرط الذكاء عنده لكل ضيق مخرج . وفي سفارته عن الملك البويهي الى ملك الروم قال ان هذا أخبر بمقدمنا فأرسل الينا من يلقانا وقال لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تنزعوها الا ان تكون مناديل وحتى تنزعوا أخفافكم فقلت : لا أفعل ولا أدخل الا بما انا عليه من الزي واللباس فان رضيتم والا تخذوا الكتب تقرأونها وأرسلوا بجوابها وأعود بها . فأخبر الملك بذلك فقال : أريد معرفة سبب هذا وامتناعه مما مضى عليه رسمي

مع الرسل . فسئل القاضي عن ذلك فقال : انا رجل من المسلمين وما تحبونه مني ذل وصغار والله تعالى قد رفعنا بالاسلام وأعزنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأيضاً فان من شأن الملوك اذا بعثوا رسلهم الى ملك آخر رفع أقدارهم ولا يتعمد اذلالهم سيما اذا كان الرسول من أهل العلم ووضع قدره انهدام جانبه عند الله تعالى وعند المسلمين . فرضي الملك ان يدخل ومن معه كما يشاؤون . وفي رواية ان الملك رضي أن يدخل عليه الباقلاني كما جرى رسم الرعية ان يقبل الأرض بين يدي ملوكها فرأى أن يضع سريره من وراء باب لطيف لا يمكن ان يدخل أحد منه الا راكعاً فدخل القاضي من هذا الباب وأحنى رأسه راكعاً ودخل من الباب مستقبلاً الملك بدبره حتى صار بين يديه ثم رفع رأسه ونصب ظهره ثم أدار وجهه الى الملك فعجب الملك من فطنته ووقعت له الهيبة في قلبه . وكانت هذه السفارة سنة ٣٧١

ولما اجتمع الى أحد الرهبان في حضرة ملك الروم سأله الباقلاني عن أهله وأولاده فتعجب الملك من سؤاله وقال انا ننزه هؤلاء عن الأهل والأولاد فأجاب : انتم لا تنزهون الله سبحانه عن الأهل والولد فكأن هؤلاء عندكم أقدس وأجل من الله تعالى ؟ ولما سأله الملك عن قصة عائشة وما قيل فيها قال هما اثنتان قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ومريم بنت عمران فأما زوج نبينا فلم تلد وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها وقد برأها الله مما رميت به فانقطع الملك ولم يحر جواباً .

رزق الباقلاني حظاً عظيماً من البديهة أعانته على التفرد بمناظراته ففيه سرعة الخاطر وفيه الحافظة، وبديهته نفعته في مناظراته الدينية ومواقفه السياسية وقلّ ظهور أمثاله في العلماء المشهورين وكثرت تآليفه لأنه كان كابن تيمية لا يرجع الى الكتب فيما يؤلف بقدر ما يرجع الى صدره ويغترف من محفوظه .

ابن زيدون

ابو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون

(٤٦٣)

هو من قبيلة مخزوم النازلة في الاندلس وأهله من صدورها المعروفين بالحكم والقضاء . ولد في قرطبة سنة ٣٩٤ (١٠٠٣) ومات ابوه فأسلمه أوصياؤه الى أعاظم من علماء عصره فتأدب بأدبهم وظهرت عليه أمارات النجابة وهو في سن العشرين واستفاضت شهرته في الأدب والحكمة ومعاناة السياسة ولما يبلغ الخامسة والعشرين .

ولما حاول دعاة بني أمية أن يعيدوا الملك فيهم وثار أهل قرطبة لطرد البربر عن ديارهم اضطر ابن زيدون بحكم مكانة بيته الى خوض تلك المعركة السياسية ، فكان في جملة رجال ابي الحزم بن جوهر صاحب قرطبة بعد جلاء البربر عن تلك الأصقاع .

وأحب ابن زيدون ولادة بنت المستكفي بالله فما عتم ان نازعه حبها ابن عبدوس وزير ابن جهور فهجاه ابن زيدون وهزأ به فأضمر له الحقد وما زال يشي به عند الملك حتى اتهمه بانه يدعو للدولة الأموية فاعتقله ثم رق له ابنه الوليد بن جهور فأطلقه من اعتقاله ولكن كانت ولادة قد خرجت عن حكم ابن زيدون . وتشرد في الأقطار مدة ثم رجع الى قرطبة يخدم الوليد بن جهور بعد وفاة أبيه فوضع ثقته به ، وسفر عنه الى ملوك الأطراف ثم غضب عليه ففر وكان يقيم تارةً في دانية وأخرى في باجة وطوراً في اشبيلية الى ان اتصل بالمعتضد أمير اشبيلية فجعله أمين سره ثم ولاه أعظم وزاراته وظل بعد وفاة المعتضد على خدمه ابنه المعتمد فأعانه على فتح قرطبة وجعل منها عاصمة ملكه ، وكان منافسه في بلاط المعتمد الوزير ابن عمار زج بابن زيدون في فتنة نشبت بسبب اليهود فهلك فحزنت عليه عشيرته في قرطبة حزناً شديداً .

ترجم له صاحب الذخيرة بقوله : كان ابو الوليد صاحب منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم ، أحدَ من جرَّ الأيام جراً ، وفات الانام طراً ، وصرَّف السلطان نفعاً وضراً ، ووسع البيان نظماً ونثرا ، الى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزُهر اقترانه ، وحظ من النثر غريب المباني ، شعريّ الألفاظ والمعاني .

ووصفه صاحب القلائد بقوله : زعيم الفئة القرطبية ، ونشأة الدولة الجهورية ، الذي بهر بنظامه ، وظهر كالبدر ليلة تمامه ، فجاء من القول بسحر ، وقلده أبهى نحر ، لم يصرفه الا بين ريحان وراح ، ولم يطلعه الا في سماء مؤانسات وأفراح ، ولا تعدى به الرؤساء والملوك ، ولا تروّى منه الا حظوة كالشمس عند الدلوك ، فشرف بضائعه ، وأرهف بدائعه وروائعه ، وكلفت به تلك الدولة حتى صار ملهج لسانها ، وحلّ من عينها مكان انسانها .

أطلقوا على ابن زيدون لقب « بحتري المغرب » لسلامة شعره وجزالة رصفه وذكر العارفون بعلو طبقة الشعر ان ابا بكر بن عمار وابا الوليد بن زيدون كانا في حسن الشعر فرسي رهان ورضيعي لبان وقال أكثر الأدباء بالأندلس انهما أشعر أهل عصرهما . والمعقول ان يذهب كل شاعر بمزية لا يشاركه فيها غيره فابن هاني لا تنحط طبقته عن طبقة ابن زيدون وهكذا اذا أردنا المقارنة بين كبراء شعراء الأندلس .

واذا أجمع أرباب المعرفة على تفرد ابن زيدون في الشعر فان منهم من أشار الى أن نثره شعر أيضاً اي انه نازل عن طبقته بين الكتاب ففي شعره كل معاني الاحسان اما نثره فتحسُ فيه روحاً شعرياً وهذا لا يستحب كل حين . والطبيعة على ما علمنا لا تجود على كل انسان باتقان الصناعتين ولا بد ان تمتاز الملكة في الأولى عن الأخرى . كان هوى ابن زيدون بالشعر ليله ونهاره ، ونثره عارض يستخدمه عند الحاجة ويجيد ولكن لا كالشعر الذي أخذ من روحه وقلبه .

وكما كان آية فيما يكتب كان كذلك فيما يخطب ، غزير البيان ، متدفق الطبع ، فصيح اللسان ، حاضر البديهة . قال أحد وزراء اشبيلية وفيه دليل على سعة بيانه : لعهدي بابي الوليد قائماً على جنازة بعض حُرَمه ، والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع يجيب أحداً بمثل ما أجاب به غيره ، لسعة ميدانه وحضور جنانه . وذكروا ان أقلّ ما كان في تلك الجنازة وهو وزير الف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له فيحتاج في هذا المقام الى الف عبارة مضمونها الشكر ، وهذا كثير الى الغاية لا سيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت   سحائب منه أعقبت بسحاب

ترى هل يدين ابن زيدون بشهرته لأدبه وشعره ، ووزاراته وسفاراته ام ان لغرامه بولادة دخلاً كبيراً فيما كان له من عظمة . قد يهيم أعظم منه بأعظم من محبوبته ولا يدرى جمهرة الناس بهما ، وغرام ابن زيدون عظم في العيون لأنه كان في حسناء تقول الشعر وتعرف أدب الملوك ، فهي كانت تدرك كل الادراك ما عند عشيقها من صفات تليق ببنات الملوك ، وهو موقن انه لا يجد في بنات السوقة أمثالها بجمالها وكمالها وكان من ذلك ذاك الشعر الذي كله روح وحسن .

وصف ابن زيدون أول اتصاله بحبيبته بقوله :

كنت في أيام الشباب ، وغمرة التصاب ، هائماً بغادة ، تدعى ولادة ، فلما قدر اللقاء ، وساعد القضاء ، كتبت اليّ :

ترقب اذا جنّ الظلام زيارتي   فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا   وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يَسرِ

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر الليل عنبره ، أقبلت بقد كالقضيب ، وردف كالكثيب ، وقد أطبقت نرجس المقل ، على ورد الخجل ، فملت الى روض مدبَّج ، وظل سجسج ، وقد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهاره ، ودر الطل منثور ، وجيب الراح مزرور ، فلما شببنا نارها ، وأدركت فينا ثارها ، باح كل منا بحبه ،

وشكا اليم ما بقلبه ، وبتنا بليلة نجني اقحوان الثغور ، ونقطف رمان الصدور ، فلما انفصلت عنها صباحاً ، أنشدتها ارتياحا :

ودّع الصبرَ محبٌّ ودّعك ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن زادَ في تلك الخُطى اذ شيعك
يا أخا البدر سناءً وسناً حفظ الله زماناً أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم بت أشكو قصر الليل معك

ويذهب الفكر الى ان هذه العبارة ليست لابن زيدون بل صاغها غيره والمعنى له أو هكذا وقع غرام ولادة في قلب ابن زيدون وهو يعذر على ما بدا من هيامه لأنها استوفت على ما يظهر جميع صفات المعشوقات .

اشتهر في الآفاق شعره بسبب هذه الصبابة النادرة في العاشقين وما كان الغرام نفسه السبب الأكبر في شهرته بل لأنه غرام كان على غير مثال .

ومن أشهر قصائده فيها القصيدة التي اشتهرت كل الاشتهار :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا

ومنها : لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم رأياً ولم نتقلد غيره دينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ان طال ما غير النأي المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ولا استفدنا خليلاً منك يشغلنا ولا اتخذنا بديلاً منك يسلينا الخ

وله في ولادة :

يا نازحاً وضمير القلب مثواه أنستك دنياك عبداً أنت مولاه

ألهتك عنه فكاهات تلذُّ بها فليس يجري ببال منك ذكراه
علَّ الليالي تبقيني الى أمل الدهر يعلم والأيام معناه

وله يتشوّق اليها :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله كأنما رقّ لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقي بكت لما بي فجال الدمع رقراقا الخ

وله يتشوق اليها أيضاً :

غريب بأقصى الشرق يشكر للصَّبا تحمُّلها منه السلامَ الى الغرب
وما ضرَّ أنفاس الصبا في احتمالها سلامُ فتى يُهديه جسم الى قلب

ولا يبعد أن يكون ما قاله في ولادة أكثر مما روى الرواة في ديوانه امتنعوا من نقله كما امتنع صاحب الذخيرة من نقل شعر ولادة لأن فيه هجاء . وكما أجاد كل الاجادة في التغزل بولادة أجاد أيضاً في مدح ابن جهور والمعتمد والمعتضد ولا سيما فيما قدم له من النسيب من قصائد مدحهم ومدح غيرهم . فشعره في الملوك والوزراء والأصحاب شعر دنياه ومناصبه ، وشعره في الغزل والنسيب وتغزله بولادة شعر لذاته ونعيمه :

وما أحلى قوله :

سأحب أعدائي لأنك منهم يا من يُصح بمقلتيه ويسقم
أصبحت تُسخطني فأمنحك الرضا محضاً وتظلمني فلا أتظلم
يا من تألف ليله ونهاره فالحسن بينهما مضيء مظلم
قد كان في شكوى الصبابة راحة لو انني أشكو الى من يرحم

وله وقد قال صاحب الذخيرة إنه كتب بها من بطليوس أيام تكدره عليها وهي من غرر نظامه ودرر كلامه :

يادمع صب ما شئت ان تصوبا ويا فؤادي آن أن تذوبا
ان الرزايا أصبحت ضروبا لم أر لي في أهلها ضريبا
قد ملأ الشوق الحشا ندوبا في الغرب ان رحت به غريبا
عليل دهر سامني تعذيبا أضنى الضنا اذ ابعد الطبيبا
ليت القبول احدثت هبوبا ريح يروح عهدها قريبا
بالأفق المهدي الينا طيبا تعطرت منه الصبا جنوبا
يبرد حر الكبد المشبوبا يا متبعاً إساءه التأويبا
مشرقاً قد سئم التغريبا أما سمعت المثل المضروبا
ارسل حكيماً واستشر لبيبا اخ

وقال من أخرى :

أنت معنى الضنى وسر الضلوع وسبيل الهوى وقصد الدموع
أنت والشمس ضرّتان ولكن لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس بالمؤيسي تكلفك العتـ ـبَ دلالاً من الرضا المطبوع
انما أنت ، والحسود مُعنّى كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال :

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر الا ذكرتك ذكر العين بالأثر
ولا استطلت زمام الليل من أسف الا على ليلة مرت مع القصر
يا ليت ذاك السواد الجون متصل قد استعار سواد القلب والبصر
جمعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي ان الحوار لمفهوم من الحور

هذه نماذج قليلة من شعره المرقص المطرب أما نثره فألطف ما وصفوه به أنه أقرب الى الشعر وليس معنى هذا الا أن فيه ما يعاب وهو على كل أحط

من شعره وفيه التكلف ماثل أحياناً . وقد ملأ بعض رسائله بمسائل تاريخية واشارات أدبية ومنازع هزلية وجدية ، شرحها الشراح ودلوا على ما فيها من لمع أدبية وغيرها .

وهذه رسالته كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس (٤٤٣) يستعطفه لما كان في اعتقاله :

يامولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن أبقاه الله ماضي حد العزم ، واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمة .

اذا سلبتني أعزك الله لباس انعامك ، وعطلتني من حلي ايناسك ، واظمأتني الى برود اسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى الى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحس الجماد باستنادي اليك ، فلا غرو فقد يغص الماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمني في أمنيته ، « والحين قد يسبق جهد الحريص » .

كل المصائب قد تمرُّ على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

واني لأتجلد وأري الشامتين « اني لريب الدهر لا أتضعضع » فأقول : هل أنا الا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به اكليله ، ومشرفي الصقه بالأرض صاقله ، وسمهري عرضه على النار مثقفه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليَقْسُ أحياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة « سحابة صيف عن قليل تقشع » .

ولن يريبني من سيدي ان أبطأ سحابه ، أو تأخر غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً احفلها ، وأنفع الحيا ما صادف جدباً ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً ، ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب . له الحمد على اهتباله ، ولا عتب عليه في اغفاله .

وان يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوف

وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذي لم يف به احتمالك . لا أخلو من أن أكون بريئاً فأين عدلك ، أو مسيئاً فأين فضلك .

الا يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزُّبى ، ونالني ما حسبي به وكفى ، وما أراني الا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ، وقال لي نوح اركب معنا فقلت : سآوي الى جبل يعصمني من الماء ، وأمرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى ، وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت ، وقدت الفيل لأبرهة ، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت الى العير ببدر ، وانخذلت بثلث الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة ، وجئت بالأفك على عائشة الصديقة ، وأنفت من أمارة أسامة ، وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت فلتة ، ورويت رمحي من كتيبة خالد ، ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه ، وضحيت بالأشمط الذي عنوان المسجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم

. . . والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن بك ، ففيم عبث الجفاء بأزمتي ، وعاث العقوق في مواتي ، وتمكن الضياع من رسائلي ، ولم ضاقت منه اهبتي ، وأكدت مطالبي ، وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب ، واني غلبني المغلب ، وفخر علي العاجز الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار ، وما لك لم تمنع مني قبل ان اقترس ، وتدركني ولما أمزق ، أم كيف لا تتضرم جوانح الاكفاء حسداً

لي على الخصوص بك وتنقطع أنفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك ، وقد زانني اسم خدمتك ، وزهاني رسم نعمتك ، وأبليت البلاء الجميل في سماطك ، وقمت المقام المحمود في بساطك .

والرسالة مطولة اكتفينا منها بهذا دلالة على أسلوب ابن زيدون في النثر .

وله رسالة خاطب بها أبا مروان بن حيّان مؤرخ الأندلس وقد أهداه احمالاً من الزيت والبُرّ في سنة ممحلة قال في فصل منها : والذي اسكن اليه من حسن قبولك وجميل تأويلك ، أقابل بالحقير وأواجه بالتافه اليسير ويعلم الله تعالى اني لو ناصفتك عمري ما رأيت ان ذلك كفوء بقدرك ولا وفاء ببرك فكيف ما دونه ، فلك المنزلة التي لا تسامى ، والجلالة التي لا توازى ، وما شيء وان جلّ الا محتقر لك مستصغر عند محلك . ويصل مع موصل كتابي هذا ما ثبت ذكره في المدرجة طيه وأنت بمعاليك تتفضل بقبوله وتصل أجمل صلة بالتغاضي عن رتاحته (؟) والاستجازة لنزارته ، مقتضياً بذلك شكري وحمدي ، ومستبداً منها بجميع ما عندي .

قد يسأل من تلا هذه النموذجات القليلة من نظم ابن زيدون ونثره واطلع على جانب من حياته السياسية هل كان اشتهاره بشعره النادر أم كان بما ساس من أمور الملك وتنقل بين صاحبي قرطبة واشبيلية يجالس الملوك في خلواتهم ويصيرونه في خواصهم وصحابتهم ويسفر لهم في مهاتهم ثم يغضبون عليه ويعتقلونه أو يصبح طريداً شريداً . الأرجح ان استفاضة شهرته أتت من حبه ولادة والأرجح ان غرامه بها زاد في طلاوة أدبه ومتى أدرك الكاتب والشاعر ان كلامه سيتلوه من يعجب به يتأنق فيه الى التي ليس بعدها وعدم الله بعدد لا يدرك سره .

قالوا ان عبث الأغنياء وموت الفقراء لا يحس بهما ، وعبث ابي الوليد اشتهر وذاع وملأ القلوب والأسماع فكان في ذلك سعادته بأدبه حياً وميتاً وكذلك كان شأن عمر بن أبي ربيعة ، سبحانه خص من شاء بما شاء .

لسان الدين ابن الخطيب

ابو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني

(٧١٣)

أصله من لوشة على مرحلة من غرناطة ، كان له بها سلف معروفون في وزارتها ونشأ لسان الدين بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية ، وبرز في الطب وانتحل الأدب ، وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الأحمر فرقّاه الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه ، مرؤوساً بابن الجياب شيخ العُدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية . ولما هلك ابن الجياب ولى السلطان محمد بن الخطيب رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ، وسفر عن سلطانه الى ملك بني مرين بالعدوة معزياً بأبيه فجلّى في أغراض سفارته .

ثم هلك السلطان ابو الحجاج وبويع ابنه محمد بالأمر لوقته فأقر ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفاً له في أمره وتشاركا في الاستبداد معاً ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيراً الى ملك بني مرين مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذي معه من وزراء الأندلس وفقهائها استأذنه في انشاء شيء من الشعر يقدّمه بين يدي نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم أبياتاً اهتز السلطان لما فأذن له في الجلوس ، وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع عطائهم . ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع مطالبهم . قال القاضي ابو القاسم الشريف : لم يُسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا .

وبعد ذلك اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه الى ان شفع فيه ثم سار في ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على السلطان ابي سالم فأرغد هذا عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استأذن السلطان في التحول الى جهات مراكش والوفود على آثار الملك بها فأذن وكتب الى العمال باتحافه فبادروا في ذلك وحصل منه على حظ . وعندما مر بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بسالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وأنشد قصيدته على روي الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها :

ان بان منزله وشطت داره قامت مقام عيانه أخباره
قسّم زمانك عبرة أو غبرة هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان ابو سالم في ذلك الى أهل الأندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة . ثم عاد السلطان المخلوع الى ملكه بالأندلس فاستقدم ابن الخطيب من سلا ورده الى منزلته كما كان وبعد ذلك فصل من الوزارة ثم أعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته . وأدركته الغيرة من عثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة فأنكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الأعياص على ملكه فحذره السلطان وأخذ في التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته وأودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه وبين ندمائه وأهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد، وانصرفت اليه الوجوه، وعلقت عليه الآمال، وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صمّ السلطان عن قبولها .

وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خُيل اليه ان السلطان مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه

فأجمع التحول عن الأندلس الى المغرب فسار اليها في ثلة من فرسانه ومعه ابنه علي الذي كان من خالصة السلطان فأجاز الى سبتة وتلقاه السلطان بأنواع التكرمة فاهتزت له الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وطلب الى صاحب الأندلس أهله وولده فجاء بهم على اكمل الحالات من الأمن والتكرمة . ثم لغط المنافسون له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عثراته ، وشاع على السنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها اليه ، ورفعت الى قاضي الحضرة فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه وبعث القاضي الى ملك العدوة في الانتقام منه وامضاء حكم الله فيه فصمّ لذلك ، وأنف لذمته ان تخفر ولجواره ان يردى ، وقال لهم : هلا انتقمتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه ، وأما انا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان في جواري . ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الأندلس في جملته .

فلما هلك سلطان العدوة سار هو في ركاب الوزير ابي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل فاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ له القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى . ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه قبض على ابن الخطيب وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الأحمر فبعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ابن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة وأهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملاء ثم تلّ الى محبسه واشتوروا في قتله بموجب تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه . ودس سليمان بن داود رديف وزير السلطان لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلاً ومعهم زعانفة جاءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر

وقتلوه خنقاً في محبسه وأخرجوا شلوه من الغد فدفن ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريحاً وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نار فاحترق شعره واسود بشره وأعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته . هذا ما قاله ابن خلدون وأتبعه بأن الناس عجبوا من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته . وكان ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك :

بعدنا وان جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت

وانفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت

وكنا عظاماً فصرنا عظاماً وكنا نقوت فها نحن قوت

وكنا شموس سماء العلا غربن فناحت عليها البيوت

فكم جدلت ذا الحسام الظبا وذو البخت كم جدلته البخوت

وكم سيق للقبر في حرقة فتى ملئت من كساه التخوت

فقل للعدى ذهب ابن الخطيب وفات ومن الذي لا يفوت

فمن كان يفرح منكم له فقل يفرح اليوم من لا يموت

وترجم لسان الدين نفسه ووصف كيف قلده السلطان الوزارة والقيادة أي أصبح ذا الوزارتين وزير السيف والقلم واستعمله في السفارة الى الملوك واستنابه بدار ملكه ورمى الى يده بخاتمه وسيفه وائتمنه على صوان حضرته وأعلى مجلسه ، وقصر المشورة على نصحه الى ان كانت الكائنة وحمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض عليه بعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس واستؤصلت نعمته ، ولم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولا ربات الأمثال ، ولما رد على السلطان ابي عبد الله ملكه عمل في القدوم عليه وجنح لسان الدين الى الانفصال لبيت الله الحرام فأراه السلطان أن مؤازرته أكبر القرب فعدل عن الحج فرمى اليه بمقاليد رأيه قال ولم أعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة

الدهماء ورعاية سخطة أرزاق السماء ، وقتلة الأنبياء ، وعبدة الأهواء ، ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بأدب .

هذا مجمل حال حسنة الأندلس مع الملوك وكانوا معجبين به لما فُطر عليه من صفات لا نظير لها في رجالهم ورجال عصرهم وهذا حاله مع الوزراء ومن والاهم وما حاكوه من دسائس ليطرحوه أرضاً ويستأثروا دونه بهذا المقام فلم يروا أقرب من اثبات الزندقة عليه وقتلوه على هذه الصورة الفاجعة فبكت العيون عظيماً تضن القرون بظهور مثله .

واذا جئنا نعرض لأدبه وعلمه فبفصن الطيب للمقري الذي كسره على وصفه وخصه باحواله ونقل أخباره ومنظومه ومنثوره يكفينا المؤونة وهناك تآليفه وهي تبلغ الستين مصنفاً منها ذو المجلدات ومنها المجلد الصغير لم يبق منها الا ثلثها كما قال العلامة زيبولد وأهمها في نظره الاحاطة في أخبار غرناطة وقد طبع ثلثاه فقط ولم يجدوا منه نسخة تامة صحيحة . وفي هذا الكتاب تجلى لنا أسلوب لسان الدين في الترجمة للرجال وعرفنا جمال نثره وجمال شعره فما استطعنا ان نقول انه شاعر ولا انه كاتب بل حكمنا له بالملكتين الكتابة والشعر وفي كتابته نسقط على تعابير والفاظ قل ان وقع لأحد من كتاب الأندلس استعمال مثلها ولا سيما المعاني المبتكرة والتراكيب البارعة .

أما دعوى الالحاد على لسان الدين فهي من الدعاوي التي طالما وجهت الى العظماء من العلماء ، وتاريخ المسلمين غاص بمن قتلتهم السياسة ، والزندقة حجة في قتلهم . لا جرم ان لسان الدين اعتاد الانطلاق في الفكر وهو صريح الى أبعد غايات الصراحة ولعلهم جمعوا له جملاً وقعت في بعض كلامه وأولوها على هواهم حتى صحت لهم دعوى الالحاد اليه . وفي كتابه الاحاطة نموذجات ظاهرة من هذا القبيل .

وصف الحاكم باديس وهو من الملوك الجبابرة قائل الرأي خليع الرسن فقال :
وقد أدال اعتقاد الخليقة في باديس بعد وفاته وقدم العهد بتعرف أخبار جبروته وعتوّه على الله سبحانه لما جبلهم عليه من الانقياد للأوهام والانصياع للأضاليل فعلى حفرته اليوم من الازدحام لطلاب الحوائج والشفاء من الاسقام حتى اولو الدواب الوجيعة ما ليس على قبر معروف الكرخي وابي يزيد البسطامي . ووصف جعفر بن احمد الخزاعي الغرناطي من مشايخ الطرق ورقص جماعته في الذكر فقال «وربما استدعاهم السلطان الى مصره محمضاً لطائف نعيمه باخشيشانهم مبدياً التبرك بهم» . قال والطرق الى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق . وهذه معانٍ لا يرضاها العامة وبخاصة من استهوام مثل هؤلاء المشايخ .

واليكم الآن جملاً قليلة جاءت في مقدمة كتابه الاحاطة في وصف غرناطة :
وبردها لذلك من المنقب الشتوي شديد وتجمد بسببه الأدهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين ، فجسوم أهلها بصحة الهواء صلبة ، وسحناتهم خشنة ، وهضومهم قوية ، ونفوسهم لمكان الحر الغريزي جريئة . وهي دار منعة ، وكرسي ملك ، ومقام حصانة . وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرموتة وقد عوّل عليها للامتساك بدعوتهم «الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم» ومن أبدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب في معناه قول القاضي ابو بكر بن شبرين :

رعى الله من غرناطة متبوأً يسرُّ كئيباً او يجير طريداً
تبرم منها صاحبي عند ما رأى مسارحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من أهلت به وما خير ثغر لا يكون برودا

وذكر ان جند دمشق نزلوا كورة البيرة أشرف الكور وخصها لا يشبه بشيء من بقاع الأرض طيباً ولا شرفاً الا بالغوطة غوطة دمشق . وحقيقة هي

كما قال رأيتها الا ان غوطة دمشق شجراء وغوطة غرناطة جرداء وكانت ايام حكم العرب كغوطتنا بأشجارها الملتفة .

ووصف أخلاق الأندلسيين وعاداتهم فقال : فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة قال وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير اوان ادراكه بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز الى الفحوص بأولادهم وعيالهم ، معولين في ذلك على شهامتهم واسلحتهم على أكتاد دوابهم واتصال امصارهم بحدود ارضه ، وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل من الذهب الخالص الى هذا العهد في اولي الجدة ، واللجين في كثير من آلة الرجلين فيمن عداهم . والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد النفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل الدولة او أصالة معروفة موقرة . وحريمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشر ، وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المحاورة ، الا ان الطول يندر فيهن ، وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات ، والتنافس بالذهبيات والديباجيات ، والتماجن في أشكال الحلي الى غاية نسأل الله ان يغض عنهن فيها عين الدهر ، ويكفكف كف الغدر ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وان يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته وقدرته .

هذه لمة من سيرة ذي الوزارتين لقبه بذلك السلاطين في زمنه أحط أزمان الأندلس وقد استولى العدو على معظم قواعدها مثل اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والمرية . ولقبه الناس بذي العمرين لأنه كان مبتلىً بالأرق يسهر الليل الا أقله ، ويصرف هذه الليالي في التأليف والتأمل ، فكأنه كان يعمل ليله ونهاره .

عبد اللطيف البغدادي

ولد في بغداد سنة (٥٥٧) وتوفي فيها سنة (٦٢٩)

هذا عالم ندر ان يتسع صدر رجل ما اتسع له صدره من ضروب العلم والآداب قال العلامة هوتسما انه كان يعرف جميع العلوم المعروفة في عصره . والسبب في تفننه في العلم نصيحة صدرت له من رجل مغربي نزل بغداد كان كما قال هو عنه يجلب القلوب بصورته ومنطقه وايهامه فملأ قلبه شوقاً الى العلوم كلها . عدّ له ابن ابي أصيبعة زهاء مئة وخمسين كتاباً ومقالة ورسالة ومنها ما وقع في مجلدات مثل كتاب أخبار مصر الكبير وكتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والالهي زهاء عشر مجلدات وكتاب القياس يدخل في اربع مجلدات والسماع الطبيعي مجلدان . ومنها ردود على بعض الفلاسفة مثل ابن سينا والرازي وابن الهيثم ، ولم يطبع من جميع كتبه فيما علمنا سوى كتاب المشاهدة والاعتبار في أخبار مصر وفيه ترجمته بقلمه وفي هذا الكتاب الصغير حوادث مهمة وقعت في أيامه في مصر والشام وصفها وصف عيان . فنحن اذاً لا نعلم شيئاً من تصانيفه يسوغ لنا به اصدار حكم عادل عليه .

قال ابن ابي أصيبعة كان كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة وكذلك أيضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء وقال وكان حسن الكلام لكثرة ما يرى في نفسه ويستنقص فضلاء زمانه وكثيراً من المتقدمين وكان يكثر الوقوع في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه .

ولما استوفى حظه من الأخذ عن علماء بغداد جاء الموصل فلم تعجبه واجتمع بكمال الدين بن يونس وكان ممن يقول بالكيمياء وعبد اللطيف يخالفه في ذلك فرحل عنها ونزل دمشق وفيها الف كتباً كثيرة .

ثم توجه الى زيارة القدس ثم قصد الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمع ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ قال : وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل فانبسط اليّ وأقبل عليّ وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الى بلدكم وذكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب الوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : «حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها» أين جواب اذا وأين جواب لو في قوله تعالى : «ولو ان قرآناً سيرت به الجبال» وعن مسائل كثيرة ، ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت : أريد مصر فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها ، فلما دخلت القاهرة جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخاً جليل القدر نافذ الأمر ، فأنزلني داراً قد أزيحت عللها وجاءني بدنانير وغلة ، ثم مضى الى أرباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة أيام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي .

وكان قصدي في مصر ثلاثة أنفس ياسين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وابو القاسم الشارعي وكلهم جاءوني أما ياسين فوجدته محالياً كذاباً مشعبذاً يشهد للشاقاني بالكيمياء ويشهد له الشاقاني بالسيمياء ويقول عنه انه يعمل أعمالاً يعجز موسى بن عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وباي مقدار شاء ، وبأي سكة شاء ، وأنه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه

تحتها . وكان ضعيف الحال وجاءني موسى فوجدته فاضلاً لا في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا . قال وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم وأخذت في اتمام كلامي فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ هذا ابو القاسم الشارعي فاعتنقته وقلت اياك أطلب فأخذته الى منزلي وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدته كما تشتهي الألسن وتلذ الأعين قال وكنا اذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن ، ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة . وانا لا تلين قناتي لغمزه ، ولا أحيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه ، فصار يحضرني شيئاً بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر وثامسطيوس يؤنس بذلك نفاري ، ويلين عريكة شماسي ، حتى عطفت عليه .

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليه فأخذ من كتب القدماء ما امكنه ، وتوجه الى القدس قال : فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة ، والقلوب محبة ، قريباً بعيداً ، سهلاً محبباً ، وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى : « ونزعنا ما في صدورهم من غل » وأول ليل حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة ، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتماً في بناء سور القدس وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس الفقراء والأغنياء والأقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل .

قال وكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق وأطلق اولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار ورجعت الى دمشق وأكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع . وبعد وفاة صلاح الدين

عاد المترجم به الى مصر مع ابنه الملك العزيز . وكان في تلك المدة يقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره وآخر النهار يرجع الى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون . وأقام في القاهرة الى ان ملك الملك العادل ابو بكر بن أيوب الديار المصرية وأكثر الشام والشرق وتفرقت اولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين فتوجه الى القدس وأقام بها مدة ثم عاد الى دمشق ومكث بها زمناً ينتفع الناس بعلمه ثم سافر الى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكيناً عنده عظيم المنزلة وله منه الجامكية الوافرة والافتقادات الكثيرة ثم توجه الى ارزن الروم ورجع الى ارزنجان فكماخ فديركي فملطية فحلب وأقام بحلب يشتغل عليه الناس وكان له من شهاب الدين طغربل الخادم أتابك حلب جار حسن ثم خطر له ان يحج ويجعل طريقه على بغداد وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله أشياء من تصانيفه ولما وصل بغداد مرض وتوفي بها بعد ان غاب عنها خمساً واربعين سنة .

ومن كلامه : ينبغي ان تحاسب نفسك كل ليلة اذا اويت الى منامك وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها وترتب في نفسك مما تعمله في غدك من الحسنات وتسأل الله الاعانة على ذلك . وقال أوصيك ان لا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم وعليك بالأستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ولو كان الأستاذ ناقصاً فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه وعليك بتعظيمه وترحيبه وان قدرت ان تفيده من دنياك فافعل والا فبلسانك وثنائك . واذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم ان الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه لا تحزن لفقده واذا كنت مكبًا على دراسة كتاب وتفهمه فاياك ان تشتغل بآخر معه واصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره اليه .

واياك ان تشتغل بعلمين دفعة واحدة وواظب على العلم الواحد سنة او سنتين او ما شاء الله فاذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر ولا تظن انك اذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته لينمي ولا ينقص ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكر واشتغال المبتدئ بالتحفظ والتعلم ومباحثة الاقران واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف واذا تصديت لتعليم علم او للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه كمن يستعين بلغة في لغة أخرى اذا ضاقت عليه او جهل بعضها . قال وينبغي للانسان ان يقرأ التواريخ وان يطلع على السير وتجارب الأمم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرهم . قال وينبغي ان تكون سيرتك سيرة الصدر الأول فاقرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وتتبع افعاله واحواله واقتف آثاره وتشبه به ما أمكنك وبقدر طاقتك واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمرضه وتطببه وتمتعه وتطيبه ومعاملته مع ربه ومع ازواجه واصحابه واعدائه وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد .

قال وينبغي ان تكثر ايهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم ، وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل ، ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس ومن لم يبكتوه لم يسوّد ، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم ومن لم يكدح لم يفلح . واذا خلوت من التعلم والتفكر فحرك لسانك بذكر الله وبتسابيحه وخاصة عند النوم فيتشربه لبك ويتعجن في خيالك وتتكلم به في منامك واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات ، واذا حزبك امر فاسترجع ، واذا

اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك في الآخرة . واذا أردت ان تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه واعلم ان الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وان أخفاه ، وشره وان ستره فباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لعباده فعليك ان تجعل باطنك خيراً من ظاهرك وسرك أصح من علانيتك ولا تتألم اذا أعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل وقلما يتعمق في العلم ذو الثروة الا ان يكون شريف الهمة جداً او ان يثري بعد تحصيل العلم . واني لا أقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها لأن همته مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا والدنيا انما تحصل بحرص وفكر في وجوهها فاذا غفل عن أسبابها لم تأته وأيضاً فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن اصناف التجارات وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم ولبعض اخواننا بيت شعر :

من جد في طلب العلوم أفاته شرف العلوم دناءة التحصيل

وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ لها وحذق فيها وصرف الزمان اليها ، والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك وانما ينتظر ان تأتيه الدنيا بلا سبب وتطلبه من غير ان يطلبها طلب مثلها وهذا ظلم منه وعدوان ولكن اذا تمكن الرجل في العلم وشهر به خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون . واعلم ان للعلم عبقة وعرفاً ينادي على صاحبه ونوراً وضياء يشرق عليه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ولا تجهل بضاعته وكمن يمشي بشعل في ليل مدلهم ، والعالم مع هذا محبوب اينما كان وكيفما كان لا يجد الا من يميل اليه ويؤثر قربه ويأنس به ويرتاح بمداناته واعلم ن العلوم تغور ثم تفور ، تفور في زمان وتغور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع .

عالم عظيم استجمع شروط العلم في ذاته ، وانقطع الا عما شغل قلبه من صغره به من الدرس والتدريس والتأليف والتصنيف ، فطم نفسه عن المظاهر التي لا تأتي المغرم بها الا من طريق الدولة والسلطان ولا يتصدر في المجالس الا بقوة الملوك وما يفضلون به عليه من المراتب . عظم موقعه من نفوس ملوك عصره وكانوا يغتبطون اذا رأى نزول ساحتهم وقبول اعطياتهم يستميلون قلبه بما يرضيه ، ليتركوا له وقته يصرفه كما يجب في بث العلم في الناس .

في العادة أن تعظم شهرة العالم بعد وفاته وهذا على ما رأينا ضؤلت شهرته عما كانت عليه في حياته . وكان الباعث على ذلك فقدان كتبه الا جزءاً صغيراً من كتاب ، وما صنفه من الأسفار غير قليل ، وما كتب له البقاء منها أقل من القليل . دثرت كتبه لأنها في موضوعات فلسفية لا يحبها الفقهاء والمحدثون ، والحكماء في ملتنا أفراد يعدون على الأصابع في عصور بعينها يعانونها في سر ويكتمون عن الدهماء امرهم فسبحان من له هذا السر في خلقه .

محمد كرد علي

درعيات المعري

طور ممهد للزومياته

في شعر المعري – كما في شعر كل شاعر آخر – غوامض تحتاج الى جلاء . من تلك الغوامض مقطّعات وقصائد تعرف بالدِرْعيّات اثبتها المعري أو اثبتها جامعو ديوان المعري في آخر الديوان مجموعة في مكان واحد . هذه الدرعيات ، التي اكتسبت اسمها من ان الشاعر يصف فيها انواع الدروع ووجوه فائدتها ، تبلغ احدى وثلاثين في العدد ، اطولها الدرعية السادسة [1] :

صُنتُ دِرعي إذ رمى الموت صَرْعيّ (م) بما يترك الغنيّ فقيرا

فانها اثنان وستون بيتاً . أما أقصرهن فهي الدرعية الخامسة والعشرون :

عبّ سِنان الرمح في مثل النَّيرْ

وهي خمسة أشطر من الرجز .

وبعد هذه الدرعيات في ترتيب الديوان تأتي ثماني مقطعات لا يصف فيها المعري الدرع ، ولكنه يتناول عدداً من الأغراض التي تناولها في الدرعيات . ثم ان الدرعيات والمقطعات الثمانية التي تليها – مثل سائر قصائد سقط الزند – ليست مرتبة على أحرف الروي (على القوافي) ، وان كنا حتى الآن لا نستطيع الجزم بمدى ترتيبها التاريخي .

*

لقد خطر لي – كما خطر لغيري بلا ريب – سؤال صحيح : ما الدرعيات في ديوان المعري وما سبب نظمها ؟ ولقد طارحت نفراً أجلّهم حول موضوع

---

(١) ديوان سقط الزند ، طبعة امين هندية ، مصر ١٩٠١ م = ١٣١٩ ه الصفحة ٤١

الدرعيات فرأيت ان الدرعيات قد أثارت تساؤلهم ولكنها لم تستهوهم استهواء يحملهم على محاولة الجواب .

وبما انني في هذه الأيام أعد الطبعة الثانية من كتابي «حكيم المعرة» فقد أحببت ان أرجع البصر في هذا الموضوع فعدت الى قراءة الدرعيات ونصب عيني ذلك السؤال القديم . ولقد تبين لي ببعض القرائن ان هذه الدرعيات هي في الحقيقة دور وسط بين ديوان «سقط الزند» الذي سار المعري في اكثره على خطى المتنبي فتعرض للناس فيه بالمديح وبالرثاء وبين «اللازوميات» حيث ينصرف حكيم المعرة عن البشر مرة واحدة ليهتم بالافصاح عن رأيه هو في الحياة والناس .

ثم تبين لي عرضاً ان المقطعات الثاني التي تلي الدرعيات في ترتيب الديوان الحالي تمثل دوراً قصيراً أراد المعري فيه ان يحل نفسه من التقيد بموضوع واحد ، هو موضوع «الدرع» ليطلق لعقله العنان في تناول جميع وجوه الانتقاد .

*

أما الأدلة التي حملتني على هذا الاعتقاد فهي موجزة في ما يلي :

أ — يلوح لي ان المعري نظم الدرعيات في مدى واحد من الزمن وانه نظمها بعد رجوعه من بغداد في الأغلب . نلاحظ ذلك من أشياء عدة أقلها انه اخذ يستمد شيئاً من استعاراته وتشابيهه من العراق والرحلة الى العراق :

وما رقدت عَنْسي، ولكن سما لها ـ طروقاً ، فأعداها ـ سنى متناعس
كلمع الشنوف المسجديات او كما أشارت بأخفى سورهن العرائس
جُرازك نابٌ ان ضربت به السُرى ورحلك ليلاً فوق نابٍ تواعس
فرتك أواذيُّ الفرات صبابة وابلستَ لما اعرضت لك بالس [(1)]

وكذلك نلاحظ ان المعري يذكر في الدرعيات شيبه وتهدم جسمه ، فقد قال في الدرعية الأولى (ص ١٣٥) :

(١) سقط الزند ١٦٢ — ١٦٣ ، راجع ١٥٨ : دجلة ودجيل .

واخلقتُ الشباب وكان يُردي ؛ وفارقت الحُسام وكان حتني .
أعاذل ، طالما اتلفت مالي ، ولكن الحوادث أتلفتني

ثم قال في موضعين آخرين (١٣٦ و ١٥٣) :

وإني لا يُغيّرُ لي قتيراً خِضاب كالمدام بلا مِزاج
منعت الشيب من كَتَم التراقي ولم أمنعه من خطر العجاج[1]
غدا فَوْدي كالفودَينِ ثقلا وأضحى الشيب بينهما عِلاوه[2]

أما الدليل الحاسم على ان الدرعيات ترجع الى ما بعد رجوع الشاعر من بغداد فذكره فيها انه «سجن نفسه ليبتعد عن الناس» ، وهذا «السَّجْن» هو الميزة الكبرى لاتجاه المعري في لزومياته نفسها . قال (سقط الزند، ١٤٧، البيت الأخير) :

لذاك سجنت النفس حتى أرحتها من الإنس، ما إخلاءُ رَبْعٍ بإخلال!

وهكذا يبدو بوضوح ان المعري اراد ان يتخذ من الحوم حول وصف الدرع وسيلة الى طرق موضوعات تتعلق بتفضيل المجاهد على القاعد ، وبالتالي بتفضيل الذي ينظر الى الدنيا بعين الجد على الذي يراها لهواً بالنساء خاصة . ثم تطرق من هذا الى التأمل في أوجه كثيرة من أوجه الحياة .

ب — وبقراءة الدرعيات بإنعام نظر يتبين ان المعري أراد ان يجريها من حيث القوافي مجرى لزوم ما لا يلزم ، ولكن لم يتأت له ذلك على الوجه الأكمل لقرب عهده بممارسة هذا النوع من النظم . على ان له درعية هي لزومية تامة (الدرعية الحادية عشرة ، الصفحة ١٥٢) :

ما أنا بالوغْب ولا بابْن الوغْبْ يا ثغبَ وادينا سلمت من ثغْبْ
حملته فوق بريء من تَغْبْ طِرْفٍ مُعَدٍّ للطعان والشغْبْ
فلم يبال باللُّوام واللَّغْبْ تسمع للثعلب فيه كالضغْبْ

(١) منعت رأسي الخضاب بالكتم (بالحناء) لاخفي شيبه ، ولكن لم امنعه من أن يعلوه غبار الحرب فيزيد في لون مشيبه . (٢) الفود : الشعر على جانب الوجه قرب الأذن . والفود أيضاً : العدل ، الكيس الكبير .

اردى ظباء السُمْر همت بالنغْبْ ورد سَغبان السيوف بالسغْبْ
لا تَلْهُ عن جلائه ولا تغْبْ (١)

ومثل ذلك الدرعية الخامسة والعشرون (ص ١٦٣) فانها من الرجز أيضاً وقوافيها الخمس في أشطرها الخمسة : النَبْرْ - القهر - مَهر - الشهر - الدهر .

وهنالك مقطعات لم يتم فيها للمعري التزام ما لا يلزم كالدرعية الخامسة عشرة مثلاً فانها تسعة عشر بيتاً التزم الشاعر اللام والواو والكاف في سبعة أبيات منها : هلوك - ألوك - الصعلوك - ملوك - هلوك (وهذه الخمسة كلها متوالية في مطلع الدرعية) - المألوك - دلوك (ص ١٥٥ - ١٥٦) .

على ان من أغرب ما يلفت النظر في هذا الباب الدرعية الثلاثون ، فان المعري بناها على الروي « أى » ولكنه التزم في كل قافية حرفاً سابقاً على «أ» غير مكرر في المقطوعة كلها . ولو اننا رتبنا قوافي هذه الدرعية حسب نسق الأحرف الهجائية (لسهولة الاحاطة بها) لوجدناها كما يلي (ص ١٦٩ - ١٧٠) :

تَأى - دَأى - ذأى - شأى - صأى - فأى - لأى - مأى - وأى - نأى - نأي (٢) .

ج - وتتفق الدرعيات مع اللزوميات من حيث الغرض ان الزهد بارز فيها وان ذمه للدنيا فيها كثير (سقط ١٤٧ - ١٤٨) :

وحرّمت شرب الراح لاخوف سائط (٣) ولكنها ترمي العقول بعُقّال
ومن سره ثوب يعز بلبسه فلا تجر منه ام دَفْرٍ (٤) على بال
هَلوك (٥) تهني المستهام بحبها وتلقى الرجال المبغضين بإقبال

(١) الوغب : الأحمق اللئيم . النغب : الماء في بطن الوادي ، الذبح والطعن . التغب : الريبة. الطرف : الحصان. الضغب : صوت الذئب والأرنب . السمر : الرماح. النغب : الشرب القليل.
(٢) كذا في الأصل ، وصوابها : تأى بالتاء المثناة من فوقها تعني : سبق .
(٣) السائط الذي يضرب بالسوط ، يقصد خوفاً من الحد (العقاب على شرب الخمر بالضرب).
(٤) الدنيا . (٥) المرأة المتهالكة على الرجال .

لذاك سجنت النفس حتى أرحتها من الإنس، ما إخلاء ربع بإخلال
اذا ما حللت الجدب فرداً بلا أذى فسقياً له من روضة غير محلال

د – الحملة على المرأة . وفي الدرعيات حملة ظاهرة على المرأة ، بل ان المقصود من الدرعيات كلها التنفير من النساء . قال المعري في الدرعية التاسعة والعشرين على لسان أمٍّ عجوز تنصح ابناً لها بلبس الدرع للجهاد والمعالي وبالعزوف عن الزواج ولو عرضت عليه خير النساء ، فانها لن تكون الا شر الخلق (ص ١٦٧ — ١٦٩) :

عليك السابغات فإنهنّهْ يدافعن الصوارم والاسنّهْ
ومن شهد الوغى وعليه درع تلقّاها بنفس مطمئنه
ولم يترك أبوك سوى قناةٍ وسيفٍ آزرٍ فرساً وجُنّه[1]
فحنَّ الى المكارم والمعالي ولا تثقلْ مَطاك بعبءِ حَنّه[2]
فإني قد كبرت وما كَعاب ملائمة عجوزاً مقسئنه[3]
فلا تطع الدوالف مرسَلات فكم أوقعن في أرض مجنّه[4]
يقلن : فلانة ابنة خير قوم شفاء للعيون إذا شفنّه[5]
أولئك ما أتين بنصح خِلٍ ولا دنٍ المليك ولا يَدِنّه
ولو طاوعتهنّ لجئن يوماً باخت الغُول والنَّصَف الضِّفَنّهْ[6]

هـ – وفي الدرعيات تبدأ شكوك المعري بالظهور ويبدأ عنده انكار المغيَّبات على ما نعرف في اللزوميات تماماً ، قال (ص ١٥٩) :

والدهر إعدام ويسر وإبـ رام ونقض ونهار ولَيْلْ
يُفني ولا يَفنى ويُبلي ولا يَبلَى ويأتي برخاء وَوَيْلْ

وهذا بلا ريب نظير قوله في اللزوميات :

(١) آزر : أبيض . (٢) مطاك : ظهرك . حنة : زوجة . (٣) مقسئنة : كبيرة . (٤) مجنة : لعلها : فيها جن . (٥) شفن : نظر نظرة اعجاب .
(٦) النصف : المرأة التي ذهب نصف عمرها (أي أطيبه). الضفنة : الحمقاء ، الكبيرة الجسم.

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما ترَى :
نهارٌ يضيء وليل يجيء ونجم يغور ونجم يُرى .

و من القطع التي ليست من الدرعيات ولكنها ملحقة بها على ما رأينا في مطلع هذا المقال من حيث الزمنُ وتشابهُ الأغراض قطعة يحن المعري فيها الى النوم الطويل (الموت) ، ويرى انه الراحة من عناء الحياة . وهذا شيء نعرفه في اللزوميات ، قال (ص ١٧٢) :

ما بعد ذَيْن سوى الحمام ، وإنني لإخالُ أن الهجر فيه طويل
وفضيلةُ النومِ الخروجُ بأهله من عالَم هو بالأذى مجبول

لاحظ هنا أيضاً قوله : من عالم هو « بالأذى مجبول » مما يطالعك كثيراً في اللزوميات .

*

وهنالك خصائص أخرى تجعل الدرعيات طوراً سابقاً على اللزوميات . ويبدو ان المعري بعد ان رجع من بغداد واعتزل الناس اراد ان يطلع على الناس بآرائه بشرط على نفسه ان يلتزم القافية والفن ، فاتخذ موضوع « الدرع » . ولو ان المعري جرى الى آخر الشوط هذا المجرى لكانت « درعياته » مملة لضيق مجال الشعر فيها . ولقد أحسن المعري حينما حل نفسه من التزام « الفن » فترك الدرعيات وطلع علينا باللزوميات التي قيد فيها نفسه بالقافية وحدها .

*

انني أعتقد انني كشفت عن ناحية كانت غامضة في سقط الزند راجياً أن أكون قد أصبت النظر وأحسنت التعبير . ولعل في الدارسين من يسددني في ما أخطأت ويستدرك علي ما غفلت عنه .

الدكتور عمر فروخ

تحقيقات معجمية

تمهيد

كل متفرغ للمعجميات ، ولا سيا للتقصّي عن أصول الألفاظ ، واشتقاقها ، وتطوّر معانيها ، كما نصنع نحن ، يتحقق مثلنا أي جهد يقتضي بذله ، وأي عناء يلزم تكبده ، لفك مغاليق هذه المعميات التي يبقى بعضها ، أحياناً ، من الأسرار الغامضة ، الى ما شاء الله . ويا ليت جميع الأسلاف ، من لغويين ومعجميين ، بذلوا ما في وسعهم ، فتمكنوا من صنع مثل هذا الصنع ، لكانوا بذلك كفونا ، غالب الأوقات ، مؤونة الجهد في التقصّي والتنقيب ، مما يعرض لنا ، مراراً ، الرجوع عنه غير مطمئنين ، ان لم نقل خائبين .

مع ذلك كلّه يتحتم علينا ، نحن العصريين ، الاقرار بعميم افضال الاقدمين ، لما أدّوه من الخدم الجلى في سبيل اللغة الجليلة ، بسعيهم الحثيث في جمع شتات مفرداتها ، وتنسيق قواعدها . وغير خليق بنا الانحاء عليهم باللائمة ، لما يظهر لنا من الخلل في بعض النواحي من اساليبهم وتقصياتهم . فلهم العذر في ذلك . اذ لدرس العربية ، كما لدرس جميع اللغات ، أوجه مختلفة . فقد انصبّ القدماء على البحث فيها من ناحية خاصة ، وهي منفردة ، منقطعة عن غيرها ، لعدم تضلعهم الاّ من معرفتها . أما اليوم فمن جملة طرائق التقصي فيها طريقة مقارنتها باخواتها السامية وسواها ، وطبقاً للوسائل العلمية التي لم تكن في زمانهم على ما وصلت اليه ، في عصرنا ، من التوافر والرقي الذي هو سنة البشرية في عامة أحوالها . اذن ليس من غرابة اذا ما اسفرت الابحاث العصرية عن نتائج مغايرة لما سبقها قديماً ؛ بيد انها عائدة ، في كل حال ، بجزيل الفوائد على لساننا الوطني . وهكذا يتسنى لكل عصر خدمة اللغة بما يتهيأ له من الذرائع والطرائق الملائمة الفعالة . .

غير خافٍ عنا انه ، بجانب فريق العلماء المحبذين والمقدّرين لهذه الأبحاث ، هناك فريق آخر ليس بين جمهرة المثقفين وحسب ، بل بين اللغويين اهل التخصص ذاتهم ، لا تلذ لهم هذه الدروس ولا تروق في عيونهم ، لمجرّد كون أساليبها ونظرياتها مختلفة عما ألفوه من الأساليب القديمة المأثورة . لذا ، نجاهر ، في هذه المناسبة ، باحترامنا آراء غيرنا من أهل المقامات العلمية ، وباقرارنا بفضل وجهود أئمة اللغة في المجامع اللغوية ، وخارجاً عنها . وأما مارشقنا به من مثل هذه السهام : « انت من الخارجين على سلطة اللغويين الأقدمين والمعاصرين ؛ انت مقوّض اركان المعاجم التي ورثناها عن السلف الصالح ؛ انت قالب نظام اللغة رأساً على عقب ؛ انت اذاً عدوٌّ العربية ! ! » فما لنا ، رداً على هذا الطعن ، سوى ترك اصحابه وشأنهم ، فان فيهم يثبت المثل القائل : « ان الانسان عدو ما جهل » .

وها نحن أولاء نثابر ، دون ملل ، على السير في الطريق الشاقة التي آلينا على نفسنا السلوك فيها ، مهما كلفنا الأمر من تعب ونصب ، لأنها في نظرنا — كما في نظر اللغويين المحققين — من انجع الوسائل لخدمة لساننا ، في هذا العصر ، عصر النهضة والتقدم بمجاراة مقتضيات الحضارة الحقة ، والعلوم الحديثة الصحيحة .

ان « تجديد المعجمية العربية ، طبقاً لهذه الأساليب لما يتطلب مساعي حثيثة ، وجهوداً مشتركة ، ضمن لجنة من ارباب الاختصاص في اللغويات ، واهل الاطلاع على بقية اللغات السامية ، وعلم مقارنتها ، برعاية ندوة تشرف على اعمالها وتقوم بنفقاتها .

الاّ ان هذا لا يمنعنا عن مواصلة السعي سعياً شخصياً ، حسب الظروف الملائمة ، وبما لدينا من المعارف والوسائل . عسانا بذلك نتوصل الى المؤازرة ، ولو على انفراد وعن بعد ، في تشييد هذا البناء الجديد ، بناء معجم اشتقاقيٍّ ، معنويٍّ ، منطقيٍّ ، عصريّ ، لائق بلغةٍ جميلةٍ ، جليلةٍ ، غنيةٍ ، كلغتنا العزيزة ، التي لم نزل ، ولن ننفكّ عن خدمتها ، بلذة وانبساط ، وبغيرة ونشاط . فان مَن خدم لغته ، خدم وطنه وأمته .

* * *

أ : برّ

العربية :

برّ الرجلُ : صدق ؛ برّت يمينه : صدقت ؛ برّ الله عبادَه : رحمهم ؛ برّ فلانٌ ربّه : اطاعه ؛ برّت سلعةُ الرجل : نفقت ؛ بر والدَه : وصله محسناً اليه واطاعه ؛ برّ في يمينه : صدق ؛ برّ حجُّه قُبل ؛ برّ اللهُ حجّه : قبله ؛ برّ الغنمَ : ساقها ؛ بر الرجلَ : قهره بقول أو فعل ؛ برّ عملُه : صلح ؛ برّ السائلَ : وصله . برّره : نسبه الى البِرّ وزكّاه ؛ أبرّ يمينه : امضاها ؛ أبر على أصحابه : علاهم ؛ أبرّ الرجلُ : كثر ولدُه ؛ أبرّ القومُ : كثروا ؛ أبرّ عليهم : قهرهم وغلبهم ، أبرّ الرجلُ : اذا ركب البَرّ مسافراً فيه . بارّه : لاطفه ، وأحسن اليه . تبرّر خالقَه : اطاعَه ؛

تبرّر : عرّج ، جانب الاثم ، انفصل عنه . ابترّ : انتصب منفرداً عن اصحابه .

البَرّ : من الاسماء الحسنى ؛ البارّ : الصادق ، الكثير البِر ، الصالح ، المطيع .

البَرّ : نقيض الكنّ ، الأرض اليابسة .

البِرّ : الخير ، الصدق ، الطاعة ، العدل ، الصلة ، الحجّ ، سوق الغنم .

البُرّ : الحنطة ، واحدته البُرّة .

البَرّي والبرّيّة : نسبة الى البرّ . المبرور من الحجّ : ما لا يخالطه شيء من المآثم ، والمبرور من المبيع : ما لا شبهة فيه ، ولا كذب ، ولا خيانة [1] .

السريانية :

Bar : برّ ، صدق ، سذج ، بله ، غبي ، تفه .

Brîrâ : وديع ، ساذج ، أبله .

Barrâ : برّ ، قفر ، خارج [2] .

---

(١) التاج ٣ : ٣٦ ي ي ، القاموس ١ : ٣٧٠ ي . (٢) معجم المطران منّا (سرياني – عربي) ص ٧٨ ، معجم المطران أودو (بالسريانية) ١ – ٩٦ ي .

العبرية :

Bârar : نظّف ، طهر ، فصل ، قسم ، اختار ، صقل ، فحص .

Baraèr : لمّع ، أوضح ، أثبت ، اختار ، نقّى .

Bar : نظيف ، نقي ، خالص ، فارغ ، واضح ، وحش .

Bar : بُرّ ، حنطة ، قمح .

Bôr : نظافة ، نقاء ، طهارة .

Bâr : برّ ، حقل ، بريّة ، خارج [1] .

الحبشية :

Barara : كان نقياً ، نظف ، طهر ، كان باراً ، صادقاً .
نفذ ، خرق .

Barbir : حفرة ، بئر ، صهريج .

Barbara : سرق ، سلب ، نزع ، فصل .

Berùr : فضة ، نقود فضية [2] .

الاكدية :

Baràru : أضاء ، لمع ، تلألأ .

Ubtarrir : فحص ، استفهم ، لاحظ ، ترصّد .

Barru : لامعٌ ، فضة .

Barìru : ضوء ، لمعان .

Barrûru : مضيء ، لامع .

Barârîtu : طلوع النجوم ، الهجيع الأول من الليل [3] .

---

(١) معجم Robinson (عبري - انكليزي) ص ١٤٠ ي . معجم El - Maleh (عبري - فرنسي) ص ١٩٠ ي . (٢) معجم Dillmann (حبشي - لاتيني) ٥٠١

(٣) معجم Bezold (اكدي - ألماني) ١٩٤ .

تنسيق وتعليل

(١) الفكرة الأولية الحسية المتضمنة في الثنائي « بَرْ » ، كما في مجانسه « فَرْ » هي فكرة الشق ، والقطع ، والفصل ، والابعاد . وهي كامنة او ظاهرة في بقية المعاني على اختلافها في العربية واخواتها السامية . بيد انها متجلية كل التجلي في العبرية .

(٢) من القطع والفصل جاءت مداليل التنظيف والتطهير والتنقية . ومن جملة وسائل التنظيف الصقل ؛ ومن الصقل ينجم الرواء واللمعان ، ومن ثم الوضوح .

(٣) فكرة الفصل كامنة في فكرة الاختيار والانتقاء ؛ لان اختيار الشيء يتطلب فصله عن غيره . وهذا جارٍ أيضاً في عمل الفحص والاستفهام والملاحظة والترصد .

(٤) نجد الفصل في معاني الفراغ ؛ لأن الفارغ هو المنفصل عنه ما كان يملؤه .

(٥) كذلك نرى فكرة الانفصال في معنى التوحش . لأن هذه الحالة متوقفة على ابتعاد المرء عن المجتمع ، والتمادي في عيشه الاعتزال .

(٦) أحد معاني « بَرْ » في السريانية هو « التفاهة » اي فراغ الشيء من الملح والذوق الطيب . وكذلك « البلاهة » فهي حرمان الانسان من العقل وفي ذلك فكرة الانفصال .

(٧) في الحبشية يعني Barara الخرق والحفر ، اي القطع والفصل . من ذلك Barbīr : حفرة ، بئر ، صهريج . و Barbara الحبشية هذه يراد بها أيضاً النزع والسلب والسرقة . وفي النزع فكرة الانفصال . و Barru الاكذبة ، و Barûr الحبشية مما يطلق على الفضة ، وذلك لمعانها الناجم عن نقائها وخلوها من الدرن .

(٨) من النقاوة المادية ، اي الانفصال عن الدنس ، انتقلت هذه الفكرة الى النقاوة الأدبية والروحية . من ذلك تولّدت المعاني الدالة على هذا في مختلف الألسنة السامية ، ولا سيما في العربية ، وهي معاني البرارة وما ينجم عنها من الفضائل كالصدق ، والعدل ، والطاعة ، والاحسان ، والعبادة ، والخير من باب الاطلاق .

(٩) تظهر فكرة الانفصال في العربية في المزيد : ابترّ : انتصب منفرداً ، أي منفصلاً عن أصحابه ؛ ثم في تبرَّر : تحرَّج : جانَبَ الشرّ ، اي انفصل عنه . وتجلى فكرة الخير في القول : أبرَّ الرجلُ : كثُرَ وُلدُه ، وأبرَّ القومُ : كثُروا . والكثرة في العدد خير . ثم في أبرَّ على القوم : علاهم وغلبهم وقهرهم . والتفوّق خير لصاحبه .

(١٠) يحدّد أرباب الاشتقاق «البِرّ» بان اصل معناه « السعة » . وجاء في البصائر : «مادة ب ر ر موضوعة للخير ، وتُصوِّر منه التوسع ، فاشتق منه البِرّ ، اي التوسع في عمل الخير[١] .» بيد أنّ هذا التعليل لا ينطبق على أصل الكلمة الدال على القطع والفصل ، أولاً بالتنظيف المادي ، ثم بالتنقية الأدبية ، الناجم عنها الصلاح ، اي الانفصال عن كل شرّ ؛ وهذا هو البِرّ من باب الاطلاق . من ذلك الحج المبرور الذي لا يخالطه شيء من المآثم . وكذلك البيع المبرور : الخالص من الكذب والخيانة .

(١١) «البَرّ» بمعنى القفر ، اي المنفصل عن الأماكن المسكونة من قرى ومدن . وهو أيضاً الأرض اليابسة الخالية من الأشجار والسكان . من ذلك يقال : أبرَّ الرجلُ ، اذا ركب البَرّ مسافراً فيه . ومنه ايضاً قولهم : أفصح العرب أبرّهم ، اي أبعدهم في البَرّ والبدو داراً .

(١٢) «البُرّ» القمح او الحنطة . وتسميته بذلك ليس «لكونه أوسع ما يحتاج اليه في الغذاء» ، كما ورد في المعاجم . بل لأن فيه مفهوم الانفصال ، انفصاله عن التبن ، اي كونه حنطة مذرّاة ، خالصة ، معدّة لتُخزن في الأهراء[٢] .

(١٣) «البِرّ» : سوق الغنم ، كما جاء المِرّ دعاء لها . وهو حكاية صوت .

(١٤) في اللهجة الدثينية جاء «بَرّ» بمعنى ظهر ، لمع . وهو موافق لمدلوله في

(١) التاج ٣ — ٣٧ .

(٢) التاج ٣ : ٣٨ . معجم Gesenius (عبري . لاتيني) ١ — ٢٤٥ .

الاكدية والحبشية . من ذلك : « القمر بارّ على الدنيا » اي لامع ، مشرق ، منتشر . واللمعان نتيجة الصقل ، والصقل فعل مكمّل لعمل التنظيف والتنقية من الأوساخ

(١٥) في اللهجة المهريّة والقُطريّة وارد ايضاً الثنائي « بَرْ » بمعنى قد ، وقطّ ، وابداً . وقد زعم بعض المستشرقين المستسيمين ان اصل الحرف من كلمة « عبَر » (بقطع العين من أوله) . بيد أنّ الصواب كونه من الثنائي « بَرْ » وهو مستعمل في المهريّة ، كاستعمال « قَدْ » في الفصحى ، لتأكيد الفعل الماضي ، أي انفصاله وابتعاده عن الزمن الحاضر [١] .

ب : برأ

العربية :

برأ : خلق ؛ برِئ من العيوب والديون : تخلّص وسلِم ؛ و — من المرض : نقه وتعافى . برّأه : رفع عنه التهمة . بارأ شريكه : فارقه وفاصله . تبرّأ منه : تخلّص . تبارأا : تفاصلا وافترقا . استبرأ : طلب الابراء ، أي التخلّص من الدين والذنب . البَراءة : السلامة من الذنب والعيب . البريء : المتقصي عن القبائح ، المتنحي عن الباطل والكذب ، النقي القلب من الشرك .

البراءة : قترة الصائد التي يكمن فيها ، أي يعتزل .

برى السهم : نحته . والبُراية : النُحاتة . برى السَفَرُ الانسانَ والحيوان : هزله وأذهب لحمه . من البري اي القطع . البري : التراب ، لأنه مسحوق ومنحوت . برى له وانبرى : عرض له . وباراه : عارضه . تباريا : اذا صنع كل واحد منهما ماصنع غيره . المتباريان : المتعارضان بفعلها ليعجّز أحدهما الآخر بصنيعه ، اي ليقطعه عن العمل . وفي كل هذه المداليل المعنى الأصلي ، وهو القطع والفصل [٢] .

(١) المعجم الدثيني تأليف de Landberg ، ١ — ١٤٤ .

(٢) التاج ١ : ٤٤ ي ، اللسان ١ : ٢٢ ي ، معجم Lane (عربي — انكليزي) ١٧٨ و ١٩٧ .

السريانية : Brâ : برأ ، خلق ، صنع ، اخترع .
Abrî : أخرج ، أبعد ، نرز ، نزع ، جرّد ، برّر ، طيّر .
Brîtâ : خليقة ، بريّة ، مسكونة ، جنس البشر .
Bar , Brâ (ج) Bnàyâ : ابن (بنون) مثيل ، صاحب ، أهل ، ذو .
Bartâ (ج) Bnâtâ : بنت (بنات) مثيلة ، صاحبة ، ذات .
Brònâ : بنيّ ، كيّس .
Abar : تبنّى ، كثّر ، أغنى [1] .

العبرية :

(بالألف) Bàrâ : برأ ، أوجد ، خلق ، سمن .
Bari ' ah : خلقة ، خليقة ، تأسيس ، تصنيف .
Bârê : قطع ، جذم ، اصطلم ، حدّ ، شحذ .
Habré : قوت ، سمّن ، سلم ، ضخم .
Bari : سمين [2] .
(بالهاء) Barah : أكل ، تخيّر ، فصل ، عزل .
Biryah , Barut : طعام ، قوت .
Berit : عهد ، ميثاق ، محالفة ، اتفاق [3] .

الاكدية : Barù : صنع ، خلق ، أوثق ، أخذ عهداً .
Biritu : قيد ، وثاق ـ عهد [4] .

الفينيقية : هبرا : قاطع ، باتر ـ صناعة متطلبة القطع .

السبئية : برا : ضبك ، بنى ، شيّد [5] .

(١) معجم منّا ، ص ٧٩ ي ، معجم أودو ١ - ٩٧ ، معجم Payne - smith (سرياني-لاتيني)٥٧٨ ي .
(٢) معجم Robinson ١٣٥ ، معجم El - Maleh ١٨٢ .
(٣) Robinson ١٣٦ ، El - Maleh ١٨٣
(٤) معجم Bezold ٨٥ .
(٥) Robinson ١٣٥ .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الفعل الناقص مختلف اللام في العربية واخواتها . ففي العربية برى ، برأ ، برئ . وفي السريانية ينتهي بالألف . وفي العبرية تكون لامه تارة هاء وطوراً الفاً . وفي الاكدية ، لا يوجد لا ألف ولا هاء ولا همزة . فيقوم عوض ذلك اشباع حركة العين .

(٢) على ان كل هذا مشتق من الثنائي السابق وهو « بَرْ » ودلالته الأصلية ، كما ظهر في المادة المتقدمة ، هي القطع والفصل . وهذه الفكرة قد توسعت في مشتقاتها ، في الفعل الذي يدعوه الصرفيون ناقصاً ، أو مهموز اللام .

(٣) أول توسع لهذا الأصل الثنائي لم يجر بزيادة حرف ، لكن بمد حركة العين . فجاء من ذلك « برَى » والألف هنا ليست بالحقيقة حرفاً ، بل هي حرف علامة لاشباع الحركة السابقة ، اي الفتحة . والدليل ان الاكدية المدوّنة بالكتابة المقطعية لا وجود فيها لحرف في الآخر ، بل ان صائتة المقطع الثاني طويلة لا غير [١] . أما السريانية فالاشباع يجري فيها بالألف وحدها . وأما العبرية فيتم فيها المدّ تارة بالهاء ، وتارة بالألف . لأن هذين الحرفين يقومان بوظيفة اشباع الفتح [٢] . على ان العربية يحصل فيها نبرة الحركة الثانية فتصبح همزة . مما تولد منه مهموز اللام .

(٤) اذا تقرّر ذلك اي ان الأصل هو الثنائي « بَرْ » الدال على القطع والفصل والنحت والتشكيل ، هان علينا تبيان الاشتقاق . فبَرى ، في العربية ، يعني قطّ القلم ، ونحت السهم . وفي ذلك فكرة القطع . في « برئ » من المرض يوجد فكرة الانفصال عن السقم والعودة الى الصحة . أما « برأ » بمعنى خلق ،

(١) Grammaire accadienne , par G . Ryckmans , P. 82

(٢) Grammaire hèbraique , par Touzard P . 78 s

فدلالته الأصلية هي الصنع بالقطع والنحت . ثم خصص بفعل صنع الله الخلائق من العدم . ومن الصنع نشأ معنى التأسيس والتأليف . وكذا الأمر في جميع مزيدات « برأ أو برى » ، اذ في سائرها سائدة فكرة القطع والفصل الأصلية في الثنائي .

(٥) من معنى الفصل تولد مدلول التخير ، والاخراج ، والابعاد ، والنزع ، والتجريد ، والتطهير والتبرير .

(٦) في العبرية ، من معاني Bara : الأكل ، ثم الافاقة ، ثم السمن والتضخم . فهذه كلها سهلة الادراك ، ومتساوقة الاشتقاق . لأن الأصل هو القطع . وما عمل الأكل الا تقطيع المأكولات بالأسنان ، قبل ابتلاعها . ومن الأكل تنشأ الصحة . ومن نتائج الصحة السمن ؛ ومن فرط السمن التضخم .

(٧) في العبرية والاكدية . يدل فعل Bara و Barû على الميثاق والعهد ، وهو Berit و Bîritu . بيد ان هذا المدلول عينه ناجم عن القطع والفصل . لأن من عادات الأقدمين ، في حفلات عقد المحالفات ، والارتباط بالعهود ، انهم كانوا يذبحون الذبائح ويأكلون منها . فسمي العمل الاجتماعي باسم الفعل المادي ، اي نحر الأنعام التي كانت تجزر في تلك الفرص [1] . كما ان أصل « القسم » بمعنى اليمين ، صادر عن مثل ذلك . لأنه وقت ابراز الحلفان كانت تجزر الجزور وتقسم اشلاؤها على المتحالفين الذين كانوا عند « ابرازهم القسم » يغمسون ايديهم في دمائها [2] .

(٨) هنالك كلمتا « ابن وبنت » في العربية ، ثم لفظة Bar في السريانية والعبرية ؛ و Beu في العبرية . ففي هذا الصدد يقتضي ان نعرف ان الباء

(١) سفر يشوع ٩ : ٦ ي ، سفر القضاة ٣ : ٢ ، ١ ، صموئيل ١٨ : ٣ ، ٢٣ : ١٨ .
معجم Gesenius ١ - ٢٣٨ .
(٢) اللسان ٨ : ٣٦ ، التاج ٤ - ٢٠٣ .

والنون تتعاقبان في اللغات السامية . وعليه يتفق هذا الأصلان في الدلالة . فلفظة Bar التي في السريانية ، والعبرية ، تدل على الابن ، هي من Bara و Bra بمعنى صنع ، خلق ، أولد . لأن الايلاد نوع من الصنع والخلق . وأما « ابن » العربية فهي آتية من « بنى » المبدلة من Bara ، ولها مقابل في الأكدية التي نجد فيها Banû بدلالة « بني » العربية ، ودلالة « أولد » . لأن البناء ضرب من التكوين والانشاء والايجاد ، ومنه الايلاد [1] . والدليل على ابدال الراء من النون هو انه حتى في الارمية نشاهد ان جمع Bar بمعنى « ابن » أو مولود ، هو Bnaya حيث تظهر النون [2] . وكل هذا متضمن في الثنائي « بَرْ » (ومبدل بَنْ) الدال على الانفصال والاشتقاق عن الاصل ، أي الصدور والتولّد .

(يتبع) الأب مرمرجي الدومنكي



(١) معجم Muss - arnolt (اشوري - بابلي - انكليزي - الماني) ١ - ١٧٣ ، معجم Bezold ص ٩٠ .

(٢) منّا ، ٧٩ ي ، معجم Payne - smith ١ - ٥٧٨ .

كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب

في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب كتاب بهذا العنوان ذكر في فهرس المكتبة بين كتب فن الطب والتشريح برقم ١١٨٣ . اطلعت عليه فوجدت مكتوباً في صدره : كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب تأليف الشيخ الامام العلامة ابن الأثير تغمده الله برحمته بمنه وكرمه . وهناك ختم مربع مستطيل عليه اسم عثمان باشا بن عبد الرحمن باشا الدبوركلي باني الجامع وواقف الكتاب .

أنقل من الكتاب ، للتعريف به ، ما يلي بحرفه :

بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر يا كريم .

المقالة الأولى في الأجسام المتولدة من المعادن وتشتمل على ثلثة أبواب وفصول .

الباب الأول في المعادن . المعادن هي أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض اذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة اللون والكيف . وهي اما قوية التركيب واما ان تكون منطرقة او لم تكن منطرقة . فهي الاجساد السبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والخارصيني والاسرب . وان كانت غير منطرقة فاما ان تكون في غاية اللين كالزئبق ، واما ان تكون في غاية الصلابة ، فاما ان تنحل بماء الرطوبات وهي الاجسام الملحية كالزاج والنوشاذر . واما ان تنحلل وهي الأجسام الدهنية كالزرنيخ والكبريت . فاما الأجسام السبعة فتتولد من أخلاط الزئبق والكبريت على اختلاف في الكم والكيف ... الخ

وقال في الباب الثاني ، وهو في النبات : قال المسعودي ان آدم عليه السلام لما هبط من الجنة خرج ومعه اربعون قضيباً مودعة أصناف الثمر . منها عشرة

لها قشر · وهي الجوز واللوز والجلوز والفستق والبلوط والشاهبلوط والصنوبر والنارنج والرمان والخشخاش · ومنها عشرة لثمرها نوى ··· الخ ·

الباب الثالث في أصناف الحيوانات وعجايبها · النوع الأول في حقيقة الانسان ·· الخ ·

يأتي بعد هذا الباب فصل في حيوانات عجيبة الأشكال · وقد قسم الفصل الى ثلاثة اقسام · جاء في القسم الثالث ذكر حيوانات غريبة الأمر ، جاء فيه قوله : منها ما أخبر بعض الفقهاء بالموصل انه شاهد في الأكراد وهم جيل يسكنون بعض بلاد الموصل انساناً طوله تسعة اذرع وهو صبي ما بلغ الحلم · وكان يأخذ بيد الرجل القوي ويرميه خلف ظهره · اراد صاحب الموصل ان يستخدمه فذكروا ان في عقله خبلاً لا يصلح لذلك ·

وجاء في آخر الكتاب : ما ذكره ابو الريحان الخوارزمي ان والي سبيجاب أهدى الى نوح بن منصور الساماني فرساً له قرنان ظاهران وثعلباً له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما ، واذا بعد ألصقها بالجنب · ثم قال ربما يتعجب الناس من الثعلب الطيار ، فان الثعالب كانت طيارة في عهد الكيانيين · ومنها دجاجة برأسين ودجاجة بأربعة ارجل · والله أعلم ·

الكتاب غفل من التاريخ وفيه أغلاط من النساخ لا تخفى على القارئ · وفي الصفحة الأخيرة جاءت كلمة الكيانيين مهملة · وليس في آخر الكتاب اسم الناسخ ·

ان قول المؤلف في أول الكتاب : « المقالة الأولى في الأجسام المتولدة من المعادن » يتبادر منها الى الذهن ان الكتاب يتركب من جزئين او اكثر وان المجلدة الحلبية ليست الا الجزء الأول منه ، لأنه لم يرد فيها ذكر لمقالة ثانية · ويعظم هذا الوهم عند النظر في كشف الظنون فاننا نجد ان الحاج خليفة قال عن هذا الكتاب : « تحفة العجايب وطرفة الغرايب لابن اثير الجزري · جمعها من كتب عديدة · اولها الحمد لله رب الأرباب ومنشئ السحاب الخ ورتب على اربع مقالات » · من هنا حصل عندي الظن بان الكتاب الذي اطلعت

عليه في جامع العثمانية بحلب لم يكن سوى الجزء الأول من التحفة وأني لم ألاحظ ذلك وان حافظ الكتب لم ينبهني ، لضيق الوقت ، الى ان الكتاب له اجزاء اخرى . فكتبت الى صديقي المحترم الشيخ محمد راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي وبينت له الأمر ورجوت منه ان يراجع الكتاب ويكتب لي عن حقيقة الحال . فجاءني منه الجواب يقول فيه : لا يوجد في المكتبة سوى الجزء الذي رأيتَه وهو جميع الكتاب . والدليل على ذلك قول المؤلف في ورقة قبل نهايته « فصل في حيوانات عجيبة الأشكال وبه نختم الكتاب ان شاء الله تعالى » .

وعلمت بوجود نسخة من هذا الكتاب في خزانة كتب الأزهر بالقاهرة ، فرجوت من صديقي السيد برهان الدين الداغستاني ان يطلع عليه ويخبرني باسم مؤلفه . فكتب لي يقول : بعد بحث طويل شاق في فهارس قديمة غير منظمة ولا مرتبة عثرت على قطعة من الكتاب في ٦٨ ورقة مكتوبة بخط رديء جداً ناقصة من الاخر وليس عليها اسم المؤلف لا على ظهرها ولا في أولها . لكن كاتب الفهارس كتب في باب الملاحظات مقابل اسم هذه القطعة هذه العبارة « في كشف الظنون انه لابن الأثير الجزري » .

ثم اني بعد التحري علمت من الفهرس الذي نظمه دي سلان بوجود نسخة من تحفة العجايب في خزانة الكتب الأهلية بباريس تحت الرقم ٢١٧٢ في الفهرس المذكور . وفهمت من الشرح المذكور هناك ان الكتاب مرتب على اربع مقالات كما قال الحاج خليفة ، وان المقالة الأولى تبحث عن السماء والأرض ، والثانية عن عجايب الدنيا والزمان والليالي والأنهار ، والثالثة عن عجايب البحار والأنهر والعيون والجبال ، والرابعة عن المعادن والنبات والحيوان . فتكون مخطوطة حلب المقالة الرابعة من الكتاب فقط .

نأتي الآن الى البحث عن مؤلف الكتاب :

ان النسخة الحلبية لم تذكر اسم المؤلف ولا نسبته الى بلد ، بل اكتفت

بتسميته بالشيخ الامام العلامة ابن الأثير . ومخطوطة الأزهر لا شيء فيها عن المؤلف . وفي كشف الظنون ان الكتاب لابن الأثير الجزري . ومثله في نسخة باريس . وانفرد جورجي زيدان فصرح في كتابه تاريخ الآداب العربية بأنه ا ز الدين ابن الأثير .

من المعلوم ان ابناء الأثير المشهورين ثلاثة . مجد الدين ابو السعادات المبارك المحدث المتوفى سنة ٦٠٦ ، وعز الدين ابو الحسن علي المؤرخ المتوفى سنة ٦٣٠ ، وضياء الدين ابو الفتح نصر الله اللغوي الاديب ، وزير الملك الأفضل الأيوبي ، المتوفى سنة ٦٣٧ . فمن هو مؤلف الكتاب من أبناء الأثير هؤلاء ان صح ان احدهم قد ألفه ؟

توفي ابن خلكان سنة ٦٨١ عن ٧٣ سنة . فقد ولد بعد وفاة مجد الدين بسنتين فكان زمانه قريباً جداً من زمانه وعاصر اخويه عز الدين وضياء الدين . وهو الذي يقول في ترجمة ضياء الدين : « ولقد ترددت الى الموصل من اربل اكثر من عشر مرات » . وقال في ترجمة عز الدين : « لما وصلت حلب في أواخر سنة ٦٢٦ كان عز الدين المذكور مقيماً بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغربل الخادم .. وكان كثير الاقبال عليه ... فاجتمعت به فوجدته رجلاً مكحلاً في الفضايل .. فلازمت التردد اليه ... ثم عاد الى حلب في أثناء سنة ٦٢٨ فجريت معه على عادة الترداد والملازمة ... » فلو كانت تحفة العجايب وطرفة الغرايب لعز الدين أو لأحد اخويه لما فاته ذكرها .

نشأ ابناء الأثير الشيبانيون في جزيرة ابن عمر وانتقلوا الى الموصل وتربوا فيها وسكنوها ، فهم أدرى الناس بهذين البلدين وبما جاورهما من البلاد والاكراد . فلا ينتظر ان يأتي واحد منهم بالعبارة التي نقلناها آنفاً وهي : (منها ما اخبر بعض الفقهاء بالموصل انه شاهد في الأكراد ، وهم جيل يسكنون بعض بلاد الموصل ، انساناً طوله تسعة اذرع ... اراد صاحب الموصل ان يستخدمه . الخ) .

فهذا كلام رجل لم ير الموصل ولا عرف شيئاً عنها ولا عن الأكراد ومواطنهم ولا اسم صاحب الموصل يومذاك ولا اسم الفقيه الذي شاهد الكردي المفرط الطول ولا عيّن موطن الكردي بالتحديد ·

عندي ان نسبة الحاج خليفة هذا الكتاب لابن الأثير الجزري ناشئة من شهرة أبناء الأثير الجزريين ، ونسبة جورجي زيدان اياه الى عز الدين ناشئة من اشتهار عز الدين اكثر من اخويه بكتابه الكامل في التاريخ · وكل ذلك تعسف من غير دليل ·

هذا وان من عرفوا بابن الأثير كثيرون · منهم :

مجد الدين محمد بن الأثير · ورد ذكره كراراً في كتاب الحودث الجامعة لابن الفوطي في ص ٣٣٣ فما بعدها · وجاء ذكر قتله فيه في ص ٤٤٨ ·

وجاء في ص ٤٩٠ في الكتاب المذكور اعلاه في حوادث سنة ٦٩٥ ذكر وفاة اثير الدين التستري (؟) مشرف العراق ، وقيل هناك انه ابن عم مجد الدين بن الأثير السالف الذكر ·

وورد في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين احمد بن علي المقريزي المطبوع سنة ١٩٣٩ م ذكر عدة رجال سموا بابن الأثير ·

فقد جاء في حوادث سنة ٦٨٤ قوله : بعث السلطان [قلاوون] الى سنقر الأشقر بتاج الدين احمد بن سعيد بن الأثير يلومه على مكاتبة التتار والاستنجاد بهم ويدعوه الى الحضور · فوبخه تاج الدين ولامه حتى اناب ووعده بارسال ولده · (ج ١ — ص ٧٢٨) ·

وجاء ذكر احمد هذا في حوادث سنة ٦٩١ أيضاً حيث قيل : اقر السلطان في ديوان الانشاء تاج الدين احمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخي الحلبي عوضاً عن ابن عبد الظاهر (١ — ٧٧٩) لاحظ قوله التنوخي الحلبي ، وانت تعلم ان أبناء الأثير الجزريين كانوا شيبانيين ·

وجاء في حوادث السنة عينها : ولي ديوان الانشاء عماد الدين اسماعيل بن احمد ابن سعيد بن محمد بن الأثير بعد وفاة والده ، فان والده لم يقم في كتابة السر الا نحو شهر ومات بغزة عند عوده من دمشق (١ — ٧٨١) . اني ارجح بل لا أشك في ان عماد الدين ابن الأثير الذي جاء ذكره بين شراح قصيدة ابن زيدون هو اسماعيل بن احمد هذا . ذكره جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية فقال : هناك ابن اثير رابع اسمه عماد الدين توفي سنة ٦٩٩

وفي حوادث سنة ٦٩٩ : رحل غازان في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى وترك على دمشق نائبه قطلوشاه نازلاً بالقصر واخذ وزيره من أعيان دمشق ... وشرف الدين محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير . (ص ٨٩٥) . وذكر شرف الدين هذا في حوادث سنة ٧٠١ حيث قيل : وفيها قدم البريد بحضور علاء الدين بن شرف الدين محمد القلانسي الى دمشق وصحبته شرف الدين ... بن الأثير في تاسع عشر جمادى الأولى من بلاد الططر ، وكانا قد اخذا لما دخل الططر الى بلاد الشام ، ففرا ولقيا مشقة زائدة في طريقهما (السلوك أيضاً ٩٢٢) .

وفي حوادث سنة ٧٠١ ذكر موت شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير بدمشق وكان يكتب الانشاء بها (ص ٩٢٧) . (وهو والد شرف الدين محمد المذكور أعلاه) .

وجاء في ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي تأليف تلميذه الحافظ ابن ابي المحاسن الحسيني الدمشقي ص ١٥ قوله : ومات بمصر الواعظ شمس الدين حسن بن اسد ابن مبارك بن الأثير . سمع الحافظ المنذري والنجيب .

فمن هو مؤلف هذا الكتاب من جميع هؤلاء الذين عرف كل واحد منهم بابن الأثير ؟

اني بعد ان وجدت ابن خلكان لم يذكر هذا الكتاب في تراجم ابناء الأثير الجزريين وكان أعرف الناس بهم وبتآليفهم وفندت نسبة الكتاب لعز الدين، أكاد أجزم بان مؤلف كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب موضوع البحث هو عماد الدين اسماعيل بن احمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخي الحلبي شارح قصيدة ابن زيدون المذكور آنفًا لاشتغاله بالتأليف ولكوني لم أجد الى الآن تأليفًا لأحد من أفراد اسرته او غيرهم ممن سموا بابن الأثير . وأرى ان عدم ذكر اسمه في مخطوطة حلب سببه شهرة له كانت عظيمة يومذاك في القطر الشامي فكان يكفي ان يقال ان الكتاب لابن الأثير خاصةً بعد توليه ديوان الانشاء .

ومن المحتمل جداً ان يكون في متن الكتاب ما يستدل به على صحة ما ذهبت اليه من نسبة التأليف الى عماد الدين اسماعيل .

(الموصل) الدكتور داود الچلبي



كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

— ٤ —

الرسالة الثالثة من رسائله الأربع (١)

عنوان هذه الرسالة (الجدّ والهزل) وقد مُنيت من الأغلاط والتحاريف بما لم تُمنَ به أخواتها . وبذلك فاتنا الخير الكثير من مقاصد الجاحظ ، وجمال تفاكيره ، وحسن ابتكاراته ، التي حلّى بها جيد تلك الرسالة . ولم تُصَب الثقافة العربية الأدبية ومخطوطاتها بفتنةٍ أسوأ من فتنة سوء نسخ النساخ لها ، ولا سيما آثار الجاحظ ومخطوطات كتبه . ولو وصلت الينا تلك الآثار مصححةً سالمة من الغلط والتحريف لنالنا خيرٌ كثير من العلم ، ولكانت لنا ثروة لا تثمن من فصيح الألفاظ ، وبديع الأساليب ، وجميل المعاني .

جعل الجاحظ رسالته هذه في الجدّ والهزل ، ولكنه لم يتكلم عليهما ، ولم يشرح معناهما من حيث اللغة وعلم الأخلاق ، ولا من حيث حسن الجدّ وقبح الهزل أدباً وشرعاً ، ولم يسرد ما ورد من النصوص وأقوال الحكماء في ذلك ، كما هو دأب المؤلفين في الادب ومكارم الأخلاق . وإنما هو يخاطب فيها صديقه (الوزير محمد بن عبد الملك الزيات) ويفتَنُّ في معاتبته ولومه على بعض ما كان منه أيّ افتتان ، مفرغاً ذلك كله في أساليب الجدّ تارة ، ومعارض الهزل والتهكم تارة أخرى . ومهّد للكلام بمقدمة أطال فيها بما لا يظهر أن له علاقة بالجد

---

(١) مر الكلام على الرسالة الأولى (المعاد والمعاش) فى المجلد (٢١) ص ٥٣٠ والمجلد ٢٢ ص ٨ ؛ كما مر الكلام على الرسالة الثانية (كتمان السر وحفظ اللسان) في المجلد ٢٢ص١٣٠ . وقلنا ثَمّ إن ناشر هذه الرسائل هو المستشرق (باول كراوس) في القاهرة سنة ١٩٤٣

ولا بالمزل ، كما هي عادته في ما يكتبه أو يترسل به . وهو في توجيهه العتاب الى صديقه (الزيات) يظن القارئ لأول وهله أنه إنما يعاتبه في أمرٍ عظيم ، أو من أجل إخلاله بالصداقة وطعنه لها في الصميم . واذا هو يعتب عليه ، وينقم منه ، حقده وموجدته وتسرعه في الانتقام ، وحب العقوبة ، — في أمرٍ تافه حقير — افتتح به الرسالة فقال : (جُعلتُ فداك : ليس من أجل اختياري النخلَ على الزرع أقصيتَني ، ولا على ميلي الى الصَدَقة دون إعطائي الخراج عاقبتَني ، ولا لبغضي دفع الإتاوة والرضا بالجزية حرمتَني ، ولستُ أدري لمَ كرهت قربي ، وهَويت بُعدي واستثقلتَ روحي ونفسي) الخ . ثم عاد بعد نحو عشر صفحات فقال : (وبعدُ : متى صار اختيار النخل على الزرع يُحقِد الاخوان ؟ ومتى صار تفضيل الحبّ وتقريظ الثمر يورث الهجران ؟ ومتى ومتى الخ ...) .

وهو في رسالته هذه يستطرد الى وصف الذنوب وأنواعها واسبابها ومصادرها ومواردها ، والعفو عنها ، والعقوبة عليها . ثم يأمر بالتغافل عنها والتماس الأعذار لصاحبها ، ما لم تكن تلك الذنوب خبيثة مستعصية ، كالذنب الذي لا سبب له الا البغضة . فهذا (لو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعذَرك كثير من العقلاء ، ولصوّب رأيك عالَم من الأشراف) . وقوله (عالَم) الظاهر أنه بفتح اللام مريداً به الطائفة ، كما يُراد بكلمة (أمة) أحياناً (ولما وَرَدَ ماء مدين وجد عليه أُمةً من الناس يسقون) .

وقد يكون السبب في الذنب أنه طبيعة في المذنب ، وخُلُق غالب عليه : فالجاحظ ينصح فيه بقوله (اقتُله قتلَ العقارب ، وادمغه دمغ رؤوس الحيات) ومعنى دمغه شجّه حتى يبلغ دماغه ، ثم استُعمل الدمغ في معنى القهر كما استعمله الجاحظ . قال: واذا أساء اليك مسيء لاشيء (إلا لتُعطيه على الخوف ، وتمنع عرضك من جهة التقيّة ، فهذا امنعه جميل رفدك ، واحتلْ في منعه من قبل غيرك ، فانك ان أعطيتَه على هذه الشريطة فقد شاركته في سبِّ نفسك ، واستدعيت الألسنة البذيئة الى عِرضك ، وكنت عوناً لهم عليك .. الخ) .

ينصح الجاحظ بأن لا يعطى ذلك الذي يسبُّ الناس ويهددهم بهتك أعراضهم، ونبش أسرارهم، فان الخوفَ منهم، واسكاتهم بالعطاء، يزيدهم جرأة وتمادياً، بل يجرّئ غيرهم على مثل صنيعهم. وهذا ما يسميه الافرنج (شانتاج): أعطني والاّ فضحتك !!! وأشهر من اتّسم بهذه الخصلة الملعونة من شعراء العرب (الحُطيئة)، وعرف ذلك من دأب بعض الشعراء في العصر العباسي، عصر الجاحظ، بل قلّما يخلو عصر من وجود أمثال هؤلاء الذين كان ارتأى (الاب انستاس) أن يطلق عليهم اسم المشنّحين (بالحاء) اي المشنّعين. فيكون التشنيح في رأيه هو الـ chantage عند الافرنج. ومن أصرح ما قيل في التشنيح قول ذلك الشاعر:

(قُل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يؤمّل فيه الخير والعَمَلُ)
(إن تسعفونا بأعمالٍ نصيرها شُغلاً والاّ ففي أعراضكم شُغُلُ)

أما المذنب اليك إذا كان حسوداً، فقد قال الجاحظ (إن من العدل المحض، والانصاف الصحيح، أن تحطّ عنه نصفَ عقابه، وأن تقصر من العقاب على بعض مقداره، لأن ألم حسده لك قد كفاك مؤونةَ شطرِ غيظك عليه).

لا جرم أنك اذا فكرت في ما يكابد حسودك من الألم، قلّ غيظك عليه الى النصف، فليكن عقابك له الى النصف أيضاً. كذا حكم الجاحظ.

ويعود الجاحظ فيستنكر أشد الاستنكار معاملة صديقه (الزيات) له بالجفوة، والعدوان عليه بالعقوبة، ويهوّل في الوصف حسب عادته فيقول: (والله لو كنتُ فعلتُ كذا وكذا ... ونقضتُ الشروط بأسرها، وأفسدتُ تاجك، وقتلتُ كل شطرنجي لك .. وكنت جذام المُردان. وبرسام الأولاد. ومسختُ جميع الجواري في صورة أبي رملة. ورددتُ شطاط خلقكَ الى جعودة أبي جثّة، وكنتُ أول من سنّ بيع الرجال في النخاسين، وحوّلتُ اليك عقل أبي دينار. وأحييت صالح بن حنين، وأحوجتك الى حاتم الريش ... لكان ما تركبُ في

به سَرَفاً ، ولكنت في هذا العقاب متعدِّياً) أي إن ما ذكر من فظيع الذنوب هو الذي يستحق أن يعاقبه عليه ، لا أن يعاقبه على تفضيل النخل على الزرع مثلاً . والجاحظ في مصنفاته لا يأنف أن يتمثّل بأشخاص من عامّة زمانه ، لا قيمة لهم سوى شهرتهم بالخصال المذمومة ، فيجعلهم (أبطالا) لرواياته وأقاصيصه ، كما تمثّل هنا بأبي رملة وابي حَنَّة وغيرهما . وقد يقع تحريف في أسماء هؤلاء الأشخاص فيصعب الاهتداء الى معرفتهم في كتب التراجم ، هذا إن كان مؤلفوها يأبهون لهم ، أو يهتمون بذكرهم . وبعض هؤلاء المؤلفين المتزمّتين لا يرون للجاحظ نفسه قيمةً ، فضلاً عمن يحفل بهم من مثل من ذكرنا . ويفهم من السياق أن (أبا رملة) كان نهايةً في الدمامة والقبح ، كما كان (ابو حنة) غايةً في القماءة والقِصَر وتداخل الجسم . فلم يكن ذا (شَطاط في الخَلْق) وهو حُسن الطول ، وامتداد القوام . وقوله (ما تركبني به) يدل السياق على انه يريد ما تعاملني به من السوء والأذى . وفي الأساس (ركبه بالمكروه وارتكبه) . أما (صالح بن حنين) فثقيلٌ بغيض ، لا يمكن ان يحب ، ومن أحبه كان أثقل منه . ولذا تبرّأ الجاحظ منه ، ومن حبه . ولقد ظفرنا بشيء من أخبار (حاتم الريش) الذي تعوّذ الجاحظ من الاتكال عليه ، أو ان يحوج صديقه الوزير ابن الزيات اليه ، فقد جاء ذكره في الأغاني (جزء (٦) ص ١٩٤ و ١٩٥ من طبعة الساسي) في أخبار (الحسين بن الضحاك) . قال ما ملخصه : (لما جاء المعتصم بغداد سأل عن (ندماء صالح بن الرشيد) فأُدخلوا عليه ، وفيهم الحسين ، وقُتَيْنة ، وحاتم الريش ، وراوي الخبر كثير بن اسماعيل ، قال كثيرٌ : ولشؤمي كتبتُ بين عينيَّ هذه الجملة (سيّدي هَب لي شيئًا) فلم يستملحه المعتصم ، فدعا بأصحابي من غدٍ ، ولم يدعُني . فاستشفعتُ بيتين نظمهما لي الحسين بن الضحاك وهما :

(قل لدنيا أصبحت تلعبُ بي   سلّط الله عليكَ الآخره)

(إن أكن أبردَ من قُتَيْنةٍ   ومن الريشَ فأمي فاجره)

فضحك المعتصم ، وأمر لي بجائزة . ثم ذكر صاحب الاغاني قصةً ورد فيها ذكر (حاتم) هذا ، وأنه كان قبيحاً ، كثير الحُباق ، يحبق في المجالس ولا يستحي حتى لُقب بالحبَّاق . فقول الجاحظ للوزير ابن الزيات (واحوجتك الى حاتم الريش) غاية في استحقاقه للعقوبة ، مذ اضطر الوزير أن يلجأ في بعض حالاته الى حاتم الريش ، وهو من القبح والثقالة وسوء الأدب بحيث وصفوه ولقبوه . و (ابودينار) ذكره الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) وعدَّه في جملة الموسوسين والسخفاء ، كما عدَّ (صالح بن حنين) في كتابه (البخلاء) في جملة البُغَضاء . وقد اشتهر بين الناس بذلك ، حتى لو نُسب اليه نادرةٌ حارَّة لما استملحها الناس واستبردوها ، بينا تراهم إذا سمعوا النادرة الباردة عن (مُزَبّد) الفكاهي المشهور تقبلوها واستملحوها .

ومن طريف ماذكره الجاحظ في هذه الرسالة عن سبب غيظ صديقه منه ، وعتبه عليه أنه — أي الجاحظ — مُهْمِلٌ لقماطره ، غير منظّم ولا مرتب لدفاتره ، وقراطيس مكتبته ، وكراريس علمه ، وقد تركها من دون ربطٍ ولا خرزٍ ولا حزمٍ (على أن الدفتر اذا انقطعت حزامته ، وانحلّ شداده ، وتخرَّمت ربطه ، ولم يكن دونه وقاية ولا جُنَّة ، تفرق ورقه ، واشتد[1] جمعه ، وعسر نظمه ، وامتنع تأليفه ، وربما ضاع اكثره ، والدَّفتان أجمع ، وضمّ الجلود لما أصون ، والحزْم لما أصلح) .. الى آخر ما قال ، مما فيه عِظة لمديري دور الكتب وزوارها ، وارشادٌ الى أشياء لا تخطر الا ببال عبقريٍّ عجيب ، كشيخنا الجاحظ (راجعها في ص ٧٢ و ٧٣ و ٧٤) . و (شِداد) الدفتر ما يُشدّ به ، ولم أره في المعاجم ، فهو من أوضاع الجاحظ التي اعتمد فيها على القياس : مذ وجد أهل اللسان يقولون : رِباطُ الإضبارة ، وحزامها ، ومحاؤها ، فلماذا لا يصح أن يقول هو شِدادها ؟

(١) اشتدّ من الشدّة أي صعُب جمعُه .

وقد استطرد الجاحظ بهذه المناسبة (في ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧) الى كيف يجب أن تكون قراءة الكتب ، والأضواء التي يُستعان بها على المطالعة ، وكيف يحسن أن يطالعها المطالع ؟ أيطالعها مستلقياً أم جالساً ؟ وقد فضّل الاستلقاء على الجلوس واختار ذلك لنفسه ، مذ قال : (واذا نظرتُ فيها وأنا جالس سَدِرتْ عيني ، وتقوّس ظهري ، واجتمع الدم في وجهي ، وأكرهت بصري على غير جهته ، وأجريتُ شُعاع ناظري في غير مجراه ... ومن كان على مقطع جبلٍ ، أو على شُرُفات قصرٍ ، فأراد رؤية السماء على بعدها ، وجَدَ ذلك على العين سهلاً خفيفاً ، وان أراد أن يرى الأرض على قربها ، وجد ذلك على العين عِبئاً ثقيلاً) . وكذلك حال مطالع الكتب وهو جالس ، فانه يشعر بتعب عينيه إذا حنا رأسه اليها وهي في حَجْره . ولكن لا ندري إذا كان أطباء العيون اليوم يجوّزون ما جوّزه الجاحظ من تفضيل مطالعة الاستلقاء : فانهم على ما نعلم يأمرون بالمطالعة جلوساً ، مع المحافظة على انتصاب القامة ، ورفع الهامة .

ثم أوغل الجاحظ في إعمال المقارنة بين المطالعة جلوساً ، والمطالعة استلقاءً ، وانتهى أخيراً الى تقبيح الجلوس ، حتى تعرّض الى ضرر الاستعانة بعبده أو أَمَته ، في مناولة كتب المطالعة ، وعدّ ذلك من شؤم الجلوس وشقائه فلا مندوحة إذن عن استلقائه . ولم ينس الجاحظ ان يعيب العبد والأمة بجهلهما قيمة الكتب ، وأنه اذا استعان بأحدهما فهو إنما يستعين (بأخرق الناس كفاً ، وأقلهم وَفقاً ، وأكثرهم التفاتاً ، واحضرهم نعاساً) الى آخر ما نعتهم به من ارتعاش اليد والضجر والفِرار من الكتب ، وان كل ذلك يحمله على ترك الاستعانة بعبده وأمته ، وأن يتعاطى ذلك بنفسه ، على ما فيه من إرهاق وشقاء في المطالعة ، ولكن كيف يتركها ، ومن فوائدها كيت وكيت ؟ ثم ختم الكلام على بحث الكتب ومطالعتها بالرجوع الى صديقه الذي عاتبه على إضاعة كتبه ، وإهمالها ، والسرف في ترك العناية بها وإغفالها ، قائلاً : (فحسبُك الآن من شجٍ من بأسوك ،

ومن قتل من (يقتل فيك) يعني أن الجاحظ يريد حياة صديقه (الوزير) وصديقه يريد قتله . وعندي أن صديقه إن كان غلا في عقابه ، فقد كان هو أشد غلواً في لومه وعتابه .

وللشطرنج نصيب كبير في أدب الجاحظ وكناياته : فقد مرّ قوله (حتى كأني قتلتُ كل شطرنجيٍّ لك) في صدد التعجب من صديقه المتجنّي عليه . وانه لا يستحق كل هذا العقاب ، ثم عاد الى الصدد نفسه ص ٧٦ ومثّل بالشطرنج فقال (حتى كأني علَّمت عليك «شاه مات») يريد ان يقول : تعاقبني حتى كأني غلبتُك في لعبة الشطرنج ، قائلاً الجملة التقليدية في إعلان الغلب وهي قولهم : (شاه مات) . وكما ان (شاه مات) جملة متوارثة ، كذلك قول الجاحظ (علَّمت عليك) أي غلبتُك لكن عهدي بقولهم (علَّم عليه) أنه لا يُستعمل اليوم بين الشطرنجيّين وانما يستعمله اللاعبون بالسيف والترس وما يشبهه من ألعاب الفروسية . وقد تمثل الجاحظ بالشطرنج أيضاً في هذه الرسالة ص ٨٢ و ٨٩ .

ومن أغرب إيغاز الجاحظ في الوصف ، ومعاتبة صديقه له في التفريط بكتبه ، وأمر مطالعتها ، زعمه أن صديقه إنما يكيد له فيحمله على مطالعتها ليلاً على ضوء النار ولهبها ، فيسخن جسمه ، فيصاب بمرض المثانة ، وهو شيخ هرم ، معرّض للأمراض ، فقد قال يخاطب صديقه (وقلت اذا سَخَن بدنُه سُجِن بوله ، واذا سُجن بوله جرَح مثانته ، وأحرق كليته ، وطبخَ فضولَ غذائه ، وجفَّف ما فضل عن استمرائه ، فأحاله حصا قاتلاً ، وصخراً جامداً ، وهو دقيق ... ضيّق ... فإذا حصَاه يورثه الأسر ، وفي ذلك الأسر تلف النفس ، أو غاية التعذيب ، وقلتَ : فان ابتليتُ بطول عمره ، أقام فينا مشغولاً بنفسه ، وإن ذهب عنا ، فقد كفانا مؤونة الحيلة في أمره . جُعلتُ فداك ! ما هذا الاستقصاء ؟ وما هذا البلاء ؟ وما هذا التغلغل ...) يلوم الجاحظ صديقه على استقصائه في الكيد له ، وإلحاق الأذى به ، ولكن أصحيح أن صديقه ابن الزيات انتهى

في الاستقصاء الى هذا الحد الذي زعمه الجاحظ ؟ وأنه حاول عن طريق مطالعة الكتب ليلاً أن يوقعه في أمراض المثانة والحصى والأسر (احتباس البول) ؟؟ حقاً ان شيخنا الجاحظ اعتاد الغلوّ والتغلغل والإيغال ، وركوب اساليب من المعاني لا تخطر لسكان عَبقَر على بال .

ومما اتهم به صديقه أن صديقه كان يود أو يحاول أن لا يكون للجاحظ ولد يُحيي ذكره ، ويحوي ميراثه ، كما كان يحتال في ان لا يكون له مال (فيالها مكيدة ما أبعد غورها ، ويالها حُفرة ما أبعد قعرها ... وما إخالها إلا وتدقّ على (ابن العاص) وتغمض على (ابن هند) ، ويكلُّ عنها (أخو ثقيف) ويستسلم لها (ابن سميّة) . وليس هذا فقط بل زعم الجاحظ أن صديقه كان يفجؤه بالمكايد والمساآت ، ولا يتدرج بها حتى يكون الجاحظ قد أنس بها ، واستعدّ لها ، ثم يرقّ قلبه عليه قائلاً : (فقد متُّ الآن فمع من تعيش ؟ بل قد قتلتَني فمَن الآن تعاشر ؟ أمع الشطرنجيين ؟ ! !) ولو قال هذا غيرُ الجاحظ لقلنا إنه سرَقَه من قول أبي نواس :

(مَن ذا يكون أبا نُوا سك إن قتلتَ أبا نواسك ؟)

ومن أفانين العتاب التي وجهها الجاحظ الى صديقه أنه لا ينبغي تفضيل المركب على الصاحب ، (ويريد بالمركب الدابة التي تُركب) ، قال (ومن يعدل إمتاع بهيمة بامتاع أديب ؟ ... قالت ابنة النعمان : ولم نرَ في ما جرّبنا من جميع الأصناف أبلغ في خيرٍ أو شر من صاحب) تريد أن الصاحب أفضل من سائر اصناف الناس من حيث مساندة صاحبه في خيره وشره ، وعسره ويسره . واراد الجاحظ ان يزيد قول ابنة النعمان — وهي الخُرقة المشهورة بعقلها — وضوحاً ، فحكى عن (عبيد الله بن زياد) أنه أصيب بيبس في معدته فأُشير عليه باستعمال الحقنة ، فتفحّشها ، وكبر عليه استعمالها ، ولما رأى انه لا بد منها تساءل عمن يزاول ذلك منه ؟ (فقال له حارثة بن بدر : ما أجد أولى بتولي ذلك من الطبيب .

قال عبد الله : كلاّ ! فأينَ الصاحب ؟) . وانجرّ الكلام في أسباب موجدة صاحبه عليه الى ذكر الغضب . فقال : إن الغضبان اذا اشتعل أُوار غضبه لا يَثنيه عذل ، ولا ينهنه منْ غلوائه رُقية ، (فلو سمطتَه بالتوراة ، ووَجرتَه بالانجيل ، ولَدَدْتَه بالزبور ، وافرغت على رأسه القرآن إفراغًا ، وأتيته بآدم شفيعًا — لما قصّر دون أقصى قوته الخ) ...

ثم طغى المَرَح على قلم الجاحظ فترك الاعتدال في الجِدّ والهزل إلى ما يشبه الشَّطَط والاستهتار بحكم العقل ، فقال بمناسبة تعداد أسباب العداوات بين الخلطاء ، وانه لا سبب من هذه الأسباب كان ينبغي أن يفسد ما بينه وبين صديقه (ابن الزيات) ، نعم كان هناك سبب واحد ، من شأنه أن يورث التحاسد ، وهو تجاورهما في (مدينة السلام) ، وتقابل دورهما فيها ، ورجوعهما في النحلة الى مذهب واحد ، والى النظر في علم واحد ، ثم قال (ولكن اشتد تعجّبي منك اليوم وأنا بفرغانة !!! وانت بالأندلس !! وأنا صاحب كلام ، وانت صاحب نتاج (أي إبل وماشية ، أو انه يعني انك تنتج عَمَلاً وانا ازوّق كلامًا) وصناعتك جودة الخط ، وصناعتي جودة المحو (اي أريد ان أجيد الخطّ مثلك فيخرج كأنه ممحواً ، أو صواب المحو (الحوك) مريداً به حوك الكلام وصياغته) وانت كاتب ، وانا أميّ !! وانت خراجي ، وانا عشريّ ، وانت زرعيّ ، وانا نخليّ ، فلو كنتَ اذ كنتَ من بكرٍ كنتُ من تميم (يُضرب المثل بعداوة ما بينهما) كان لك الى العداوة سبب ، وإلى المنافسة سلّم) ثم ارتقى الجاحظ من هذا الأوج في الهزل الى أوج أعلى ، فقال (وانتَ طويل ، وانا قصير ، وانا اصلع ، وانت انزع (الصلع عيب بخلاف النزع) وانت صاحب براذين[1] وانا صاحب حمير) الخ ..

هنا يقف القارئ هنيهة ليفكّر : أحقًا ما ذكر من ان الخصال المتناقضة هي

---

(١) اي انت من الأعيان الذين يركبون البراذين وانا من الأوشاب الذين يركبون الحمير .

من اوصافه واوصاف صديقه ؟ وهب كان ما ذكره حقاً فهل من الحق ان يكون الجاحظ اقام بفرغانة من بلاد ما وراء النهر ، وان يكون ابن الزيات أقام في الأندلس ؟ ومتى كان ذلك ؟ وهل نقله احد من رواة اخبار الجاحظ وابن الزيات ؟ وهل يؤدي ركوب الهزل ، والهيام في مضايق شعابه ، والدخول اليه من أضيق أبوابه ، الى كل هذا التزيد في القول ، والى حد ان يجعل نفسه أمياً ، ومن اهل فرغانة ؟ أم ان شيخنا الجاحظ يخترع لرسائله ابطالاً وهميين أحياناً ، غير بطل الرسالة الأصلي الذي هو (الوزير الزيات) كما جاء في فاتحة الرسالة ؟ ولو صح لنا ذلك وقلنا : إن الخطاب المذكور لواحدٍ من عُرْض الناس لفوجئنا بالجاحظ يصل كلامه بما لا يصلح أن يخاطب به الا وزير : (انت تدبّر بنفسك ، وتقيم أود غيرك ، وتتسع لجميع الرعية ، وتبلغ بتدبيرك أقصى الامة وانا اعجز عن تدبير نفسي ، وعن تدبير أَمَتي وعبدي ، وانت ملك وانا سوقة) الى ان قال : (سبحان الله يسلَمُ عليك حيدر الأفشين ، ويهلك عليك عمرو الجاحظ ، ويسوء بك أبعد البعداء ، ويشقى بك أقرب القرباء ... فكُلني بخلٍ وخردل ، فو الله إنك لتأكله غذّاً غير مَرِيّ وخبيثاً غير شَهِيّ .

ووصف الصديق فقال (فاذا بان منك صديقك ، فقد بان منك شطرك ، واذا اعتلّ خليلك ، فقد اعتلّ نصفك ... فموتي هو موت صديقي . وحياتي هي حياة صديقي) . ثم وصف الصديق الوفيّ فقال : (ولا اعلم الكبريت الأحمر إلا أوْجَدَ منه . وإني لأظن القناعة أكثر منه .. وقيل ليحيى البرمكي : أي شيء أقلّ ؟ قال قناعة ذي الهمة البعيدة بالعيش الدون ، وصديقٌ قليل الآفات ، كثير الإمتاع ، شكور النفس ، يصيب مواضع المرح) قوله (قليل الآفات) اي العاهات . ولعل صوابه (قليل الآهات) أي قليل التأوه والشكوى والتوجّع من سوء الحال ، وإدبار الزمان ، بدليل قوله بعد (شكورَ النفس) .

وعَتَبَ على صديقه في أنه يضجر من إلحاح صديقه عليه بطلب العفو ، مع انه

هو لا يضجر بتشاغله بظلم ذلك الصديق ، حتى كأنه يلذّ له (ضرب السياط ، ورضّ العظام) غير أن شَيْبة الجاحظ ، وكبرة سنه ، ورقة عظمه ، ووهن بدنه ، لا يحتمل كل هذا العذاب وانما (دندَن أحمل ، والسوط في ظهر قاسم أحسن . وأبدانهما تحت السياط أثبت . وان ارواحهما أبقى . وهي بأرواح الكلاب أشبه والى طبائع الضباب أقرب . وأرحامهما بالحمير أمسّ ، ومن يشير عليك (بانزال ذلك العذاب) فيهما اكثر ، والأجر في ضربهما أعظم ، فاستدم اللّذة بطريق اللذة . وضع الأمور في مواضعها يَطُلْ سرورك بها) . وبعد ان استطرد الى التفريق بين انواع الحيوانات في تحمّل الألم ، ولذع السياط ، عاد الى الوشاية بـ (دندن) و (قاسم) وتحريض الوزير على البطش بهما (لاختلاسهما أموال الأمة) فقال (وقد دللتك على ناسٍ يجمعون لك الخصال التي فيها دوام لذتك ، وتمام شهوتك ، فان زعمت ان الذي يثبّت روح دندن في بدنه ، وروح القاسم في جسمه ، سرورُهما بما احتجَنا من كنوز الخلافة ، واموال الرعية ، وليس ذلك من رسوخ ارواحهما في ابدانهما ، ومن شدة الاحتجان ، وقوة الاكتناز — ففرّق بينهما وبين تلك الأموال ، التي تمسك أرواحهما ، بالحيل اللطيفة ، والتدبير النافذ ، وبأن تمضي فيهما حكمَ الكتاب والسنة . فانه سيحل عُقدة أرواحهما عقداً عقدا . فيعظم أجرك ، ويطيب ذكرك ، وتُطيع الخليفة ، فتكون قد احسنتَ في صرف الضرب إلى اهله . وارحتَ منه غير أهله والسلام) . وهكذا ختم الجاحظ رسالته في الجد والهزل) فتندّر بهذين المسكينين (دندن) و (القاسم) ، وطلب الايقاع بهما ، وشفاء الصدور منهما .

المغربي

المدرسة الظاهرية

أرسل الأستاذ سالم الكرنكوي رسالة يقول فيها: انه شرع في تحقيق كتاب تاريخ اليونيني الذي هو ذيل على مرآة الزمان، وانه وجد فيه نصاً يتعلق بالمدرسة الظاهرية في دمشق (مقر دار الكتب العامة) وقد أرسله راغباً نشره في مجلة المجمع العلمي العربي ووضع اشارات على بعض كلمات غامضة فيه. ولما كان اصلاح هذه الكلمات يتطلب نشر نص آخر من وقفية المدرسة المذكورة فقد أحببت جمع ما اطلعت عليه في هذا الموضوع من النصوص مع نص الأستاذ الكرنكوي وضمها جميعاً في مقالة واحدة وهذه هي المقالة:

* * *

قامت المدرسة الظاهرية على دار — من أعظم دور دمشق وأكثرها شهرة — تدعى بدار العقيقي اشتهرت في العهد الفاطمي بنزول الأشراف العلويين فيها.

فأحمد بن الحسين العقيقي المتوفى سنة (٣٧٨) الذي تنسب اليه هذه الدار علوي من كبار اشراف دمشق واجوادها [1] كما انه نزلها الشريف العلوي ابو طاهر حيدرة بن ابراهيم بن ابي الجن الذي قتله الأمير السفاح بدر الجمالي سنة (٤٦٣) [2] ثم نزلها آخر قاض لدمشق من قبل الفاطميين وهو الشريف العلوي جلال الدولة ابو الحسين احمد بن علي المتوفى سنة (٤٦٨) [3].

والى هذه الدار التجأ الخطيب البغدادي فاستجار بالقاضي المذكور خوفاً من بطش الأمير بدر الجمالي المذكور فأنجاه من أذاه [4].

---

(١) النجوم الزاهرة (٤ / ١٥٣).
(٢) المصدر نفسه (٥/٨٠ و ٨٥).
(٣) المصدر نفسه (٥ / ١٠٢).
(٤) البداية والنهاية (١٢ / ١٠٢).

وكأن هذه الدار اصبحت من الشهرة والعظمة ما يجعلها مرشحة لنزول العظماء والكبراء فيها . فمذ حلت الأسرة الأيوبية مدينة دمشق سكن هذه الدار كبير الأسرة نجم الدين ايوب والد السلطان صلاح الدين واخيه الملك العادل .

ولما دخل صلاح الدين الأيوبي دمشق فاتحاً لها سنة (٥٦٩) بعد وفاة السلطان نور الدين نزل بدار والده ايوب المعروفة بدار العقيقي[١] . كما ان الملك العادل نزلها حينما دخل دمشق سنة (٥٨٩)[٢] .

وقد يكون حبه الشديد لهذه الدار دفعه لأن يبني تجاهها — من جهة الغرب على بعد خمسة امتار منها — مدرسة وقبة لدفنه . فلما توفي سنة (٥٩٧) حفظت جثته بالقلعة حتى تم بناء مدرسته وقبة قبره فنقل اليها سنة (٦١٩)[٣] لتطل روحه على الدار التي احبها كثيراً ، وعاش فيها امداً طويلاً . كما ان السلطان صلاح الدين دفن تحت قبة لا تبعد عن هذه الدار اكثر من ثلاثين متراً ، ومثله الملك الأشرف ابن الملك العادل الذي دفن على مقربة من عمه صلاح الدين ولما مات مظفر الدين صاحب اربل زوج ربيعة خاتون اخت صلاح الدين والعادل رجعت الى دمشق وسكنت في دار العقيقي دار ابيها ايوب حتى توفيت سنة (٦٤٣) وهي صاحبة المدرسة الصاحبية بسفح قاسيون[٤] .

وبعد انقراض الدولة الأيوبية انتقلت هذه الدار الى ملك الأمير فارس الدين اقطاي المستعرب الأتابك . ومن ورثته اشتريت هذه الدار لجعلها مدرسة ومدفناً للملك الظاهر بيبرس[٥] .

---

(١) تاريخ ابي الفدا طبع مصر (٣ / ٥٦) .
(٢) النجوم الزاهرة (٦/٥٢٢) .
(٣) النجوم الزاهرة (٦/١٧١) .
(٤) القلائد الجوهرية .
(٥) تعليقات النجوم الزاهرة (٧/٢٦٣) عن ذيل مرآة الزمان ، وعيون التواريخ .

المدرسة الظاهرية

يحدثنا ابو المحاسن ابن تغري بردي بما يلي : كان [الظاهر] اوصى ان يدفن على الطريق السابلة قريباً من داريا وان يبنى عليه هناك فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل السور فابتاع دار العقيقي « بثمانية واربعين الف درهم » نقرة [1] وامر ان تغير معالمها وتبنى مدرسة للشافعية والحنفية [2] . ويقول صاحب عيون التواريخ «بستين الف درهم» [3] وينقل عبدالحي ابن العماد بأنها اشتريت «بسبعين الف درهم» [4] .

وهنا يجدر بنا ان نتساءل : لِمَ لمْ يتبع الملك السعيد وصية ابيه بل دفنه داخل السور بدار العقيقي ؟

الظاهر ان ذلك العمل كان لأمر سياسي . فبيبرس وهو مملوك من مماليك الأيوبيين بعد ان استولى على الملك تتبع البقية الباقية من الأيوبيين الصالحين للملك فقتلهم . ثم قطع على هذه الأسرة طريق المطالبة بالملك لجدد الخلافة العباسية وجعل مقرها مصر . ثم جعله الخليفة العباسي نائباً عنه في ادارة البلاد فكان حكمه لها شرعياً .

فدفنُ الملك السعيد لأبيه في دار العقيقي دار الأسرة الايوبية في بقعة تحيط بها قباب اعاظم الملوك الأيوبيين كالملك العادل ، والسلطان صلاح الدين ، والملك الأشرف يرمز في ذلك الى ان الملك الظاهر هو وارث هذه الأسرة الحاكمة ، وان له من شرعية الملك وابهته مثل ما لهؤلاء الملوك .

ولقد جود ابنه السعيد في تحسين بناء مدرسته ومدفنه حتى جعلها لا تقل عن مدافن العادل وصلاح الدين والأشرف المحيطة بالظاهرية روعةً وجلالاً .

(١) فسرها القلقشندي في صبح الأعشى (٣/٤٤٣) فقال : « الدراهم النقرة » وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس . وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدنانير . ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة .. والعبرة في وزنها بالدرهم وهو معتبر باربعة وعشرين قيراطاً . وقدّر بستّ عشرة حب من حب الخروب تكون كل خروبتين ثمن درهم . وهي اربع حبات من حبة البُر المتدل والدرهم من الدينار نصفه وخمسه . وان شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .

(٢) النجوم الزاهرة (٧/١٧٦) . (٣) نفس المصدر « التعليقات » .

(٤) شذرات الذهب (٥/٣٥٠) .

انشاء الظاهرية

فصل لنا ابن تغري بردي بعض التفصيل عن بناء هذه المدرسة في حوادث سنة (٦٧٦) فقال :

كان الملك السعيد أمر ببناء مدرسة لدفن ابيه فيها حسب ما أوصى به والده ، فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس في ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق الى التربة المذكورة داخل باب الفرج قبالة المدرسة العادلية . والتربة المذكورة كانت دار الشريف العقيقي فاشتريت وهدمت وبني موضع بابها قبة الدفن ، وفتح لها شبابيك على الطريق . وجعل بقية الدار مدرسة على فريقين : حنفية وشافعية . وكان دفنه بها في نصف الليل ، ولم يحضره سوى الأمير عز الدين ايدمر الظاهري نائب الشام . ومن الخواص دون العشرة لا غير [1] .

ويتمم لنا اليونيني وصف هذه المدرسة من وقفيتها التي بخط عز الدين بن شداد فيقول : وقف الملك السعيد .... المدرسة المذكورة والقبة مدفناً ، وباقيها مسجداً لله تعالى برسم الصلوات وقراءة القرآن العزيز والاعتكاف . وباقي الدار مدرستين احداهما شرقي الدار هي للشافعية ، والأخرى قبلي الدار الى جانب القبة وهي للحنفية ، ودار حديث قبلي الايوان المختص بالشافعية .

وهذا النص يعطينا صورة عن هيأة المدرسة الداخلية وهي صورة قريبة من الكمال تصف لنا الجهة القبلية والشرقية من المدرسة . وقد جهلت علينا هيأة الجهة الشمالية التي نظن أنها كانت محتوية على حجرات للسكن وبيوت للطهارة .

أما الجهة الغربية التي فيها باب المدرسة فواضح من هيأة التصميم انها كانت خالية من البناء عدا الجدار الذي يفصل المدرسة عن الطريق .

(١) النجوم الزاهرة (٢٦٣/٧) .

النصوص المتعلقة بالمدرسة الظاهرية

حينا نتطلب القوانين الداخلية للمدارس الاسلامية لا نجد سبيلاً الى ذلك الا عن طريق الوقفيات ، ومن المؤسف ان وقفيات المدارس اخفيت عن الانظار بعد ان قام نظار المدارس باختلاس اوقافها ، ولكن كثيرا ما نوفق بالاطلاع على بعض الوقفيات . كما ان بعض كتب التاريخ وكتب الفتاوى الفقهية تشير في بعض الأحيان الى جزء من نصوص الوقفيات . وهذه بعض النصوص التي اطلعنا عليها مما يتعلق بالمدرسة الظاهرية :

« النص الأول » وهو الذي ارسله الأستاذ سالم الكرنكوي

وقف الملك السعيد لتربة والده الملك الظاهر بيبرس

وفي سادس عشر ذي القعدة وقف الملك السعيد — وهو بخط عز الدين محمد ابن شداد بإذنه وتوكيله وحضوره — المدرسة المذكورة والقبة مدفناً وباقيها مسجداً لله تعالى برسم الصلوات وقراءة القرآن العزيز والاعتكاف وباقي الدار مدرستين احداهما شرقي الدار هي للشافعية والأخرى قبلي الدار الى جانب القبة وهي للحنفية ودار حديث قبلي الايوان المختص بالشافعية

ووقف على ذلك جميع قرية الضرمان [1] في شغل بانياس وجميع قرية ام نرع [2] من الحيدور [3] ويهمين [4] من بيت رامة من الغور [5] ومزرعتيها الذراعة وشويهة [6]

(١) كذا في الأصل . والصواب : الصرمان . اما مرجعنا في التصحيحات التي سنشير اليها فهي الكتابة المرقومة على أعلى باب الظاهرية وهي بخط في جيل واضح وقد نشرناها في هذا المقال تحت عنوان النص الرابع والخامس . وورد تحديد قرية الصرمان في « كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا » طبع دمشق سنة (١٣٤٣) ص (٣٩) .

(٢) كذا في الأصل.والصواب:امزرع.وردت مرسومة على اعلى باب الظاهرية هكذا «امزروع».

(٣) الصواب : الجيدور بالجيم المعجمة احدى مناطق حوران .

(٤) الصواب : وسهمين .

(٥) يراد بالغور الأراضي المنخفضة حول بحيرة طبريا .

(٦) الصواب الزراعة وسويحة .

وتسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط من قرية الأشرفية من الغوطة وبساتين ابن سلام الثلاثة وبستان الستيتة [1] وطاحونه ، والحمام على الشرف الأعلى الشمالي [2] وكرم طاعة من بلد بانياس وخان بنت جزوخان بحكر الفهادين [3]

ورتب في التربة اماماً شافعياً وجعل له في كل شهر ستين درهماً زمامين [4] من عتقاء الملك الظاهر ناظرين في مصالح التربة وحفظ ما بها من الآلات لكل واحد منها في الشهر ستين (؟) درهماً ومؤذناً له في الشهر عشرون درهماً وستة عشر مقرئاً لكل واحد منهم خمسة وعشرون درهماً منهم نقسان يزاد كل واحد منها عشر دراهم

ويشترى في كل شهر شمع وزيت وما تحتاج اليه التربة من الفرش والقناديل وآلات الوقيد بمبلغ ثمانين درهماً .

ويرتب في كل [من المدرستين] [5] مدرساً (؟) له في الشهر مائة وخمسون درهماً ، ومعيدان لكل واحد منها اربعون درهماً ، وثلاثين (؟) فقيهاً لأعلاهم عشرين (؟) درهماً ولأدناهم عشرة دراهم .

---

(١) المرقوم فوق باب الظاهرية السبية بعد السين ثلاثة اسنان تحت السن الأول نقطة وفوق الثالث نقطتان والسن الثاني مهمل من النقط ولذلك يرجح ان الصواب فيه (بستان السبتية) ومعنى السبتية في دمشق ان الناس في أيام الربيع يخرجون الى البساتين للنزهة والقصف يوم السبت ولعل هذا البستان كان يقصد في ذلك اليوم خاصة وقد أشار الى السبتية في دمشق عدد من المؤرخين.

(٢) الشرف الأعلى الشمالي هو المكان الذي تقوم فيه مدرسة التجهيز الأولى في دمشق وقد أشرنا الى مكانه في خطط الصالحية .

(٣) نص الكتابة على باب الظاهرية « وخان بيت حنا وحانوت جوار بساتين ابن سلام وخان يعرف بالاصطبل ظاهر دمشق » والراجح ان صواب نص اليونيني أن يكون هكذا « وخان بيت حنا وخان بحكر الفهادين » والراجح ان خان حكر الفهادين هو نفس الخان المعروف بالاصطبل ظاهر دمشق . اما حكر الفهادين فهو في الشرف الشمالي الأعلى شرقي مدرسة التجهيز فقد جاء في تاريخ ابن خلكان (١١٩/١) ان شمس الملوك دقاقا توفي سنة (٤٩٧) ودفن في مسجد بحكر الفهادين – بظاهر دمشق – الذي اعلى نهر بردا . وهذا المسجد بلا شك هو المعروف بالخانقاه الطواويسية راجع خطط الشام للأستاذ كرد علي وتنبيه الطالب ومختصره للعلوي وخطط الصالحية فقد أوضحنا فيه موقع هذه الخانقاه .

(٤) الصواب وخادمين .

(٥) زيادة أثبتت من المقام .

ويصرف فيها [ما] تدعو الحاجة اليه من اجرة ساقي[1] واصلاح قني[2] وغير ذلك وثمن الزيت ومسارج وقناديل وآلة الوقيد بالمدرستين في الشهر اربعون درهماً وشاهداً ومشارفاً وغلاماً[3] وجابياً وغيرهم لكل منهم ما يراه الناظر . والنظر للملك السعيد مدة حياته ثم لولده وولد ولده

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٧٧ سير الملك السعيد برسم تتمة العمارة ومصالح الوقف اثني عشر الف دينار

وفي يوم السبت ثالث ذي القعدة سنة ٧٧ وقف عماد الدين محمد بن الشيرازي بطريق الوكالة عن الملك السعيد جميع احد عشر سهماً وربع سهم وثمن سهم من قرية الطرة من ضياع الجبيل من اقليم اذرعات من عمل دمشق الى المدرستين والتربة بعد ان انتقلت الحصة الى الملك السعيد على ثماني قرى مضامين[4] وتقر[ر] لكل منهم خمس وعشرون ويزاد لكل مدرس رطلان خبزا مثلثا بالدمشقي ولكل خادم من الخادمين ولكل نفر بالتربة والفقهاء والمؤذنين والفراشين والبوابين في كل يوم ثلثي رطل خبزا اسوة فراشي التربة ويصرف الى مباشر الأوقاف والشاهد والمشارف لكل واحد رطلا خبز[ا] واشهد الحكام على نفوسهم وسجلوا بثبوت ذلك .

في يوم الاثنين حادي عشر ذي القعدة سنة ٧٧ شرع في عمل اعزية الملك الظاهر بالديار المصرية وتقر[ر] ان يكون احد عشر يوما في احد عشر موضعاً الخ .

(١) تقطع مياه انهر دمشق كل عام بضعة ايام لرفع مايتراكم في مجاريها من الأوحال كما تقطع أيضاً ايام الحروب حينما تحاصر دمشق ولذلك تقوم السقاة بحمل الماء الى الدور والمساجد والمدارس وتظراً لتوخم ماء الأنهر فان سقاة خاصة يجلبون ماءً للشرب من العيون والآبار النظيفة . وهناك نوع من السقاة يكون في المساجد والمدارس يحملون وعاءً من نحاس او فخار او جلد وطاسة نحاس يمرون على الجالسين ويسقونهم ، وقد يضعون في تلك الآنية ثلجاً او نوعاً من العطور وكثيراً ما يوقف بعض محي الخير اوقافاً على مثل هذه الأعمال . وجميع ما ذكرناه بطل في عصرنا .

(٢) جمع قناه والمراد بها ما يوصل الماء الى الدور وتدعى في عصرنا « قساطل » وهي أنابيب من فخار تبنى على شكل مخصوص .

(٣) الصواب وخادما . (٤) الصواب مضافين .

« النص الثاني » منقول من فتاوى السبكي (٢/٨) طبع مكتبة القدسي ونصه :

نسخة فتوى في دار الحديث الظاهرية بدمشق

ما تقول السادة العلماء في واقف وقف وقفاً على الجهات والوجوه والمصالح التي يأتي ذكرها وتعيينها في هذا الكتاب فيبدأ من اليه النظر بعمارة الموقوف وترميمه واصلاحه وما فيها بقاء اصله وسبب النماء والمزيد . وما فضل كان جارياً على الوجوه والمصارف الآتي ذكرها . فيصرف في كل شهر ثلاثون في ثمن زيت وحصر ومصابيح وترميم . ويصرف ستون لشيخ الحديث ، وعشرون للقارئ ، ومائة للطلبة ، وعشرون للخازن ، واربعون للقيمين ، ومائة وخمسون لستة قراء يقرؤن بالتربة المجاورة لها .

وذكر مصارف الى ان قال :

ومآل هذا الوقف المعين في هذا الكتاب المتقدر الصرف في مصارفه المذكورة كمآل اوقاف المدرسة والتربة المذكورتين

وقد تلفظ هذا الوكيل الواقف المسمى : بوقف هذا الموقوف المعين في هذا الكتاب على الجهات المعينة والمصارف المذكورة في هذا الكتاب .

بدأ من ذلك بتقديم ما هو مقرر لمصالح القاعة المذكورة ، وما هو مقرر في هذا الكتاب من الجامكيات على ما عين اعلاه فان نقص عن ذلك قدم ما هو معين لمصالح القاعة المذكورة في هذا الكتاب على ما فضل فيه ، وما هو معين لشيخ الحديث النبوي وقارئه ومستمعيه المشار اليهم اعلاه والقيمين المذكورين اعلاه « فان فضل بعد ذلك فاضل صرف في الوجوه المبينة ، والمصارف المعينة في هذا الكتاب على الوجه المشروح فيه يجري ذلك كذلك الى يوم القيامة .

فهل اذا فضل من ربع الموقوف شيء بعد تكميل ما عين اعلاه من الجامكيات والجرايات يكون لمن عين اعلاه من ارباب الوظائف المذكورة اعلاه ام لغيرهم

من ارباب الوظائف بالمدرسة الظاهرية من الفقهاء والمتفقهين والمدرسين والمعيدين وغيرهم ام لا ؟ افتونا مأجورين رحمكم الله .

أجاب الشيخ الامام رضي الله عنه ومن خطه نقلت : ليس لغيرهم من ارباب الوظائف بالمدرسة المذكورة من الفقهاء والمتفقة والمدرسين والمعيدين وغيرهم شيء منه بل هو لجهة وقف دار الحديث المذكورة تختص به عن المدرسة ليس للمدرسة ولا لأهلها منه شيء .

والفاضل عن معاليم اهل دار الحديث المذكورة الآن بعد تكميلها دالٌّ بحسب الحال الآن ان يرد عليهم على نسبة معاليمهم . ويحتمل ان يقال : يحفظ لهم ولمن يتجدد مكانهم ...

واما صرفه للمدرسة او لأحد من اهلها فممتنع قطعاً .

* * *

« النص الثالث » منقول من فتاوى السبكي (١/٤٨٨)

(مسألة) أوصت ام الملك السعيد ان يوقف عنها . ووقف عنها وقف ثلثاه على التربة والمدرسة الظاهرية بدمشق . والثلث على ستة خدام معينين . ومن مات منهم نزّل الناظر مكانه خادماً من عتقاء الظاهر ولاء السعيد . فمات الستة ونزل مكانهم الى ان لم يبق من عتقاء الظاهر ولاء السعيد الا خادم واحد فما الحكم في ذلك ، والشرطُ انه اذا انقرض الخدم رجع الى التربة والمدرسة ؟

(فاجبت) ان الخادم المذكور اذا نزله الناظر جاز صرف الجميع اليه ولا تستحق المدرسة والتربة شيئاً الا بعد انقراضه . ومستندي في ذلك ان معناه عام . والخادم الباقي يصح ان يكون عوضاً عن الستة . وقوله « اذا انقرضت الخدام كان للمدرسة » يشمل الخدام الستة وجميع من كان خادماً من عتقاء الظاهر او السعيد . وليس من شرط تنزيله موضع الستة ان يكون عن موتهم بل سواء أكان كذلك ام بعد مدة . ولو توسط بينهم جماعة صح ان يكون هذا الآن منزلاً مكان الستة الأولين والله اعلم .

«النص الرابع» وهو ما كتب على باب الظاهرية من أعلاها . ولما كان بابها عظيماً . مدخله على هيأة دهليز صغير وهو مؤلف من ثلاث جدران : قبلي وبه تبتدأ الكتابة ، وشمالي وفيه تنتهي ، وشرقي ومن جهته يدخل الانسان اليها كان كل سطر من أسطر الكتابة مؤلفاً من ثلاثة أجزاء وضعنا فاصلاً بين كل جزء منها على هذه الصفة I كما أننا جعلنا لكل سطر رقماً . وهذا نص ما كتب :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . الذي وقفه على هذه التربة والمدرستين ودار I الحديث النبوي الحصة من قرية الطرة من عمل اذرعات ومبلغها احد عشر سهما وربع وثمن سهم من اصل اربعة وعشرين سهما I وقرية الصرمان بكمالها من اعمال الشعرا [1] وقرية امزرع بكمالها من عمل نوى I (٢) والحصة من قرية بيت الرامة وقرية سوية وقرية الزراعة من الغور ومبلغها سهمان من I أصل اربعة وعشرين سهما والحصة من الأشرفية من عمل المرج من بلد دمشق ومبلغها تسعة عشر سهما ونصف من أربعة وعشرين والبساتين الثلاثة المعروفة I بابن سلام ظاهر دمشق من اراضي السهم الشرقي بسفح قاسيون (٣) بستان يعرف بالسبتية ظاهر دمشق على الشرف الشمالي وطاحون السبتية الملاصقة I ة للبستان المذكور وكرم يعرف بكرم طاعة بمدينة بانياس وخان ببيت حنا وحانوت جوار بساتين ابن سلام وخان يعرف بالا I صطبل ظاهر دمشق والسفل الكامل من قيسارية الشرب وذلك في سنة ست وسبعين وستمة (كذا) .

* * *

«النص الخامس» وهو سطران تحت الأسطر الثلاثة المتقدمة وهما :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هذه التربة المباركة وا I لمدرستين [illegible] السلطان الملك السعيد ابو المعالي محمد بركة قان بن السلطان الش I هيد الملك الظاهر المجاهد ركن الدين ابو الفتوح بيبرس (٢) الصالحي

---

(١) هي ما تدعى اليوم بقضاء القنيطرة . راجع صبح الأعشى (٤/١٠٤) .

أنشأها لدفن والده الشهيد ولحق به عن قريب I فاحتوى الضريح على ملكين عظيمين ظاهر وسعيد وامر بانهاء عمارتها السلطان الملك المنصور سيف الد I نيا والدين قلاوون الصالحي قسيم امير المؤمنين خلد الله سلطانه

* * *

« النص السادس » على باب القبة المدفون فيها الملك الظاهر وهو : (١) بسم الله الرحمن الرحيم . الذي استجد ابتياعه واوقف على الجهات المعينة في كتاب وقف ذلك الفاخورة بدرب (٢) الفواخير والبيوت طباقها والحصة من قرية صهيا ومبلغها ثلثي [كذا] ثمن سهم من اربعة وعشرين . الاهراء الثلثة وطباقها بالمربعة . الحصة من قرية الاصطبل [1] بالبقاع (٣) العزيزي ومبلغها عشرة اسهم وربع سهم وربع ثمن سهم من اربعة وعشرين سهما والحصة من بيت الرامة وسوية والزراعة (٤) ومبلغها سهم واحد من اربعة وعشرين سهماً وذلك تكملة الثمن من القرية المذكورة

درس للنصوص السابقة

ان من يدرس الحركة الفكرية في العصر الأيوبي لا بد له وان يراقب هذه الحركة في عصر المماليك البحرية ذلك العصر المخضرم بين العصرين : الأيوبي ، والمماليكي الشركسي .

فعصر الظاهر بيبرس ثم قلاوون يختلف كل الاختلاف عن بقية عصر المماليك ذلك العصر الذي انحط فيه الفكر العربي الى مدى بعيد .

فهو وان انحط عن العصر الأيوبي فان انحطاطه كان نسبياً . لأن هؤلاء المماليك اكتسبوا بعض تربية راقية من ملوك احرار مهذبين لم يمسهم الرق ، كما كان علماء عصرهم ممن درسوا في العهد الأيوبي وحصلوا النهضة العلمية الأيوبية .

(١) قرية صغيرة لا تزال معروفة بالبقاع وهي قبلي قرية « بر الياس » فاذا ذهب الانسان من دمشق الى شتورا تكون قرية «برالياس» عن يمينه وقرية الاصطبل عن يساره قبيل شتورا .

لذلك كان من المحتم علينا ان نراقب هذا العصر بدقة لننظر الانحطاط الفكري الذي ابتدأ في عهدهم حتى وصل الى الهوة السحيقة في أواخر العهد المماليكي

واذا شئنا ان نبحث ذلك فعلينا دراسة « المدرسة الظاهرية موضوع بحثنا » التي هي من أولى المعاهد العلمية في أول العصر المماليكي ·

اذا رجعنا الى النصوص المتقدمة نجد ان المدرسة الظاهرية تتألف من اربعة أقسام:

« القسم الأول » القبة · وهي تختص باربعة اشياء : (١) دفن الملك الظاهر وولده السعيد (٢) اقامة الصلوات فيها بإمام شافعي (٣) قراءة القرآن (٤) الاعتكاف

أما ملاك هذا القسم مع رواتب موظفيه الشهرية فهو كما يلي :

درهم	الموظف	عدد الموظفين
٦٠	امام شافعي[1]	
٦٠	خادم	٢
٢٥	مقرئ	١٦ منهم شخصان يزاد لكل واحد منهما عشرة دراهم
٨٠	نفقات زيت وشمع وفرش وقناديل وآلات الوقيد[1]	

« القسم الثاني مدرسة الشافعية » ويتألف ملاكها من :

١٥٠	مدرس	١
٤٠	معيد	٢ لكل منهم
٣٠	فقيه	٣٠ لكل منهم لأعلاهم مرتبة
١٠	لأدناهم مرتبة	
	شاهد	يحدد رواتبهم الناظر ويعين غيرهم ان وجد لزوماً لذلك
	مشارف	
	خادم	
	جابي	
٤٠	ثمن زيت ومسارج وقناديل وآلة وقيد	

(١) ارجع الى نص اليونيني .

« القسم الثالث مدرسة للحنفية » وملاكها كملاك الشافعية

« القسم الرابع دار الحديث النبوي » ويتألف ملاكها من :

درهم	
٦٠	شيخ حديث
٢٠	قارئ حديث
٢٠	خازن
٤٠	قيمين
١٠٠	طلبة لم يعين عددهم والراجح انهم عشرة او عشرون

والظاهر ان مثل هذه المخصصات والجرايات لم تكن مما يقوم بكفاية الموظفين فقد اوقفت اوقاف أخرى ضمت للأوقاف الأولى وتقرر لكل من موظفي التربة (اي قبة الظاهر) والمدرستين خمسة وعشرون درهماً . ولكل مدرس رطلان من الخبز ، والى بقية الموظفين ثلثا رطل ، والى كل من مباشر الأوقاف والشاهد والمشارف رطلان . (راجع آخر النص الأول) .

ويفيد النص الثالث بأن ام الملك السعيد اوقفت وقفاً آخر أيضاً . ثلثاه على التربة والمدرسة الظاهرية ، والثلث على ستة خدام من عتقاء الظاهر ولاء ابنه السعيد .

ولسنا ندري ان كان هذان الوقفان الأخيران يتناولان دار الحديث النبوي أم لا . كما ان النص الثاني يفيد بان مالية دار الحديث الظاهرية مستقلة تمام الاستقلال عن المدرستين والتربة . وانه حينما يزيد شيء من مالها يصرف عليها وعلى موظفيها ولا يعطى شيء منه الى احد من اصحاب التربة او المدرستين .

اما ما يقدم من الملاحظات عن الانحطاط العلمي إثر انقراض الدولة الأيوبية فنحن نراه بادياً في تربة الملك الظاهر . فبينا نرى في ترب ومدافن الملوك الأيوبيين تخصيص شيخ اقراء من كبار العلماء يقوم بتدريس علوم القراءات

وما يتعلق بها من علوم اللغة العربية كتربة السلطان صلاح الدين والعادل والأشرف وام الصالح التي تولى فيها علم الدين السخاوي ومحمد بن مالك النحوي وابو شامة مؤلف الروضتين ومحمد بن الجزري وامثالهم ممن لهم مكانتهم في العلم والتأليف اذا بنا نرى تربة الظاهر اقتصرت على قراء فقط يقرؤون القرآن بصورة تقليدية لا أثر للدراسة فيها . وهكذا انقطعت حلقة الاقراء في ترب الملوك من هذا العهد ، واصبحت الترب تمتُّ الى صور دينية شكلية لا عمل للفكر فيها .

« ثانياً » جعل مسجد المدرسة في قبة الدفن وهذا امر كرّهه بعض الفقهاء ولم يسبق لنا ان رأينا قبل هذا مدرسة خالية من مصلى مستقل لا اثر للدفن فيه .

أما وضع المحاريب في المدافن والقبب فهي امور طرازية تشير الى اتجاه القبلة ليس الا

« ثالثاً » توجيه الأنظار الى احترام القبور وتقديسها ويظهر هذا بادياً في مخصصات التنوير وما الى ذلك ففي التربة هو اكثر مما هو في مدرستي الشافعية والحنفية ، كما اننا نرى عدداً كبيراً عينوا خدماً للتربة يضاف الى ذلك المبالغ الباهظة المصروفة على الفسيفساء وزخرفة القبة .

وهذا كله يعطينا فرقاً محسوساً بين عصر الأيوبيين الذين كانوا يحملون ثقافة عالية وينظرون الى حقائق الأمور ، وبين عصر المماليك الذين كانوا يحملون عقولا ساذجة بسيطة لا تدرك إلا ظواهر الأمور . أما ما يتعلق باسماء المدرسين فيها وتراجمهم فيرجع في ذلك الى تنبيه الطالب للنعيمي ومختصره للعلموي ، واما وصفها البنائي فيحتاج الى مقال آخر .

محمد احمد دهمان

العامي والفصيح

- ١٠ -

ز ل م (١) الزَلَمَة - الزَلَمَة عند العامة الغلام الذي تجاوز حدّ الغلوميّة واستوفى رجوليته وقوّته وهو زَلَمَة من الزِلم أي رجل فتي قويّ . وهذا الحمل وهذا العمل يحتاج الى زِلْم تقوم به أي فتيان أقوياء .

وفي اللغة يقول صاحب التاج الزَلَم «محرّكة» الغلام الشديد الخفيف جمعه أزلام قال الشاعر :

بات يقاسيها غلام كالزَلَم ليس براعي ابل ولا غنم

وفي اللسان الزَلَم القِدْح وهو السهم الذي لا ريش عليه والجمع ازلام واستشهد له الجوهري بهذا البيت ثم قال صاحب اللسان «وزلّم القِدْح سوّاه وليّنه وزلّم الرحى أدارها وأخذ من حروفها قال ذو الرمة :

تفضّ الحصى عن مُجمِرات وَقيعة كأرحاء رَقْد زلّمتها المناقر[1]

شبّه خُفَّ العير بالرحى أي قد أخذت المناقر والمعاول من حروفها وسوّتها وزلّمت الحجر اي قطعته واصلحته للرحى قال وهذا أصل قولهم هو العبد زُلْمة وقيل كل ما حذف واخذ من حروفه فقد زُلّم ويقال قِدْح مُزَلّم وقدح زَليم اذا طرّ وأُجيد قَدُّه وصنعته وعصاً مزلّمة ١٠ هـ ٠ » وقالوا فرس مُزَلّم اي مقتدر الخَلْق . والظاهر ان المادة تدور حول التشذيب والتسوية . والغلام اذا بلغ مبلغ الرجال واستوى وبلغ أشدّه فقد نفى عنه لينَ الحداثة واشتد وأصبح مقتدر الخلق فهو اذاً مُزَلّم عند الفصحاء وزَلَمَة عند العامة .

---

(١) تفض تفرق وتكسر مجمرات قاذفات الجمرات وهي الحصى الصغار كالتي يرمى بها في منى والوقيعة في الأصل المطرقة وعني بها الحافر الصلب الشديد ورَقد جبل تنحت منه الارحية والمناقر الازاميل يقول انها تنفي باخفافها وحوافرها الحصى كما تنفي الأزاميل اطراف الأرحاء في تزليمها أي تسوية أطرافها .

ز ل م (٢) الزُلُومة — وجاء في كلام العامة الزَلُومة للحمة المتدلية في حلوق المعزى معلقة كالقرط قال صاحب التاج وهي عامية وأقول هي كذلك الى اليوم أما في اللغة فقد قال الليث الزَلَمَة تكون للمعزى في حلوقها متعلقة كالقرط ولها زلمتان واذا كانت في الأذن فهي زَنَمة بالنون

أما الزلومة العامية فهي مصغر زَلَمة على قاعدة العامة في تصغير الأسماء فهم يقولون في فاطمة فطوم وفطُومة وفي محمد حمُودة وحمُود وفي علي علُوش واذا صغروا نتفة اي الشيء القليل قالوا نتُوفَه ·

ز م ط زمط من يدي — وقالت العامة زمط الشيء من يدي اذا انزلق بسرعة ويستعان لمن يفرّ هارباً بعد أن قُبِض عليه أو كاد يقبض عليه وهو في اللغة بالذال المعجمة قال في اللسان «وفي نوادر الاعراب طعام ذَمط وزَرِد لين سريع الانحدار» فهو على هذا قد جاء الى العامة على سبيل المجاز ·

ز م ق اولاد زَمْقَة — ويقولون أولاد زَمْقَة ويريدون بهم السفلة والسقاط والغوغاء وأولاد الأزقة وهو كقول العرب اولاد دَرْزَة للسفلة والغوغاء من الناس قاله ابن الاعرابي وقد عناهم الشاعر الذي رثى زيدَ بن علي بن الحسين مخاطباً زيداً بقوله : «اولاد درزةَ اسلموك وطاروا»

وذلك لما انهزموا عنه بعد ان خرجوا معه لحرب هشام بن عبد الملك وبعد ان التقى الجيشان وهكذا يقول العرب ابن دَرْزَة للدعيّ او لابن الامة تجيء به من المساعاة فلا يعرف له اب ويقال له ابن تُرْنَى وهم اولاد تُرْنَى وهكذا يقال للفقراء بنو غبراء ·

أما اولاد زمقة العامية فان الزَمْق لغة في الزَبق يمانية كما في اللسان ومعناه الحبس والتضييق واولاد زمقة هم اللصوص الذين يزبقون الأقفال اي يكسرونها وتعمر بهم الحبوس والسجون وهم الذين يطارَدُون ويضيق عليهم في حفظ الأمن وحكى الأصمعي زبَقَه في السجن زبقاً اذا حبسه وفي مستدرك التاج زَبَقه زبقاً ضيَّق عليه والزبق كسر الأقفال قال الشاعر :

« ويزبق الأقفال والتابوتا » اي انه لص .

ز م ن ت الزَمَنْتُوت والزمنطوط — تريد العامة بالزَمَنْتُوت او الزمنطوط الرجل المتفرد برأيه والمستبد بأعماله لا يذعن لنصيحة ولا يستجيب لمشورة وهي فيما أرى محرّفة عن صَمَعْتُوت وفسره صاحب اللسان بانه الحديد الرأس ومثله في التهذيب وجاء في نسخة القاموس التي بين يدي الصمعيوت بالياء مكان التاء الأولى ومثله نص النوادر كما أفاده صاحب التاج وقد صحّ عن العرب تعاقب العين والنون مثل تنكظ وتعكظ عليه الأمر اذا تعسر والتوى وهو عدُه وندُه اي قرن له .

ز ن ب ع زنبع — وقالوا زنبَع الابريق اذا امتلأ حتى اندفع الماء من بلبلته وهذه البلبلة تسمى عندهم الزنبوعة ويقال لها الزرزوبة (راجع زرب م ٢٣ : ٢٤١) وهي اما دخيلة من زنبع الارمية بمعنى فار او من زوبع العربية بمعنى ثار كالزوبعة وهذا فعل مولد من الزوبعة او من الزِلِنباع للرجل المندرئ بالكلام .

ز ن ت ر تَزَنْتَر — ويقولون تزنتر فلان وهو مُزَنْتَر اذا كان سيئ الخُلق ضيقه يغضب لأقل سبب ويتحرق لأدنى شيء والزنترة عندهم حِدّة الحركة وجِدّة النشاط في الغلمان والولد مزنتَر اذا كان قليل الاستقرار وفي اللسان وقعوا في زَنْتَرة من امرهم اي ضيق وعسر ولا ريب ان الضيق والعسر من أسباب سوء الخُلق .

ز ن خ ازنخ وزَنِخ اللحم — وقالوا زَنِخ اللحم وازنخ والطعام له زَنْخة وهو زَنِخٌ وذلك اذا تغيرت رائحته لفسادٍ فيه وهي فصيحة مثل سنخ والاسم الزَنْخة والسَنْخَة .

ز ن ط ع الزَنْطُوع — الزَنْطُوع عند عامتنا المُحَدّد الرأس الناتئ عما سواه وفي اللغة الصُنْتُم يقال للصلب الرأس وللحمار الناتئ الحاجبين والوجنتين .

ز ن ق زَنِق — وقالت العامة زَنِق من أكلِ الدسم وذلك اذا بشم واتخم وانصرفت شهوته عن الطعام من غير شبع لكثرة ما فيه من الدسم وهو في الفصيح سَنِق بالسين المهملة يقال سَنِق الفصيل اذا بشم واتخم من اللبن وجاء

في اللغة صنق بالصاد المهملة اذا لم يأكل ولم يشرب من هياج لا من مرض

ز ن ك ثوب مزنّك — ويقولون للثوب الضيق على لابسه لقلة عرضه مُزَنّك وهو في اللغة مزنّد بالدال وفسروه بالثوب القليل العرض وأصله من الضَنْك وهو الضيق والكاف والدال يتعاقبان في الفصيح يقال صدمه وصكه وكذلك الضاد والزاي يقال ضغده وزغده اذا عصر حلقه ·

ز ن ك ر — وقالوا زنكرت المرأة اذا حملت فعظُم بطنها وزنكر الصبي اذا امتلأ من طعام أو رضاع فعظم بطنه

وفي اللغة زَكَّر وتزكَّر بطنُ الصبي اذا عظُم وصار كالزكرة وحسن حاله والزكرة عند العامة زق صغير يصفى به اللبن الرائب من مصله وكذلك هو في الفصيح ويكون للخمر ·

ز ه ب الزِهْبَة والزِهاب — الزهبة والزهاب عند العامة جهاز المسافر وما يحتاج اليه في سفره وجاء في اللغة الزُهْبَة والزِهب القطعة من المال كذا في القاموس وتعقبه صاحب التاج بقوله قال شيخنا وكثير من شيوخ اللغة يقولون انها عامية لا تثبت عن العرب وروى الأزهري عن الجعفري اعطاه زِهبًا من ماله أي قطعة · وجاء عن الأئمة ازدهبه بمعنى حمله وازدأبه لغة أخرى وفي مادة زأب قالوا زأب القربة كمنع حملها ثم أقبل بها مسرعًا كازدأبها قال الشاعر :

« وازدأب القربة ثم شمَّرا »

وكلما حملته بمرة فقد زأبته والزأب والزهب والزعب كلها تدور حول معنى واحد وهو الحمل والاحتمال والزِهبة العامية هي ما يحمله المسافر في سفره لحاجته

وربما يقال ان الزهبة من الاهبة على الابدال وهي العدّة ومنه اهبة الحرب والهمزة والزاي يتعاقبان في الفصيح مثل توكأ وتوكز على عصاه ·

ز ي • الزِيْنَايَة — وعامتنا تريد بالزِيْنَايَة القطعة من الأرض اذا كانت مستدقّة في عرضها ممتدة منقادة في طولها على حاشية ارض اخرى ثم استعيرت عندهم للقطعة المستطيلة من غير عرض على حاشية الثوب ·

وأما في اللغة فقد جاء عن ابن السكيت ان السِّيساءة هي المنقادة المستدقة من الأرض . فالعاميَّة على هذا محرفة عن السيساءة اذا بدلت بالسين زايا فقالت الزيزاءة ثم فرّوا من تكرار الزاي فقالوا الزيآءة ولفظوها الزيأية بتسهيل الهمز المألوف عندهم .

ز ي ب ق الزيبق — الزيبق في العامية هو الزئبق بتسهيل همزته وفي زمن صاحب اللسان كانوا يقولون درهم مُزَيَّق وعدَّه ابن منظور من المولد العامي وهو في الفصيح مُزَأبق والزئبق في أصله غير عربي وعربيته الزاووق . وجاء في المغرب انه يقال بالياء وبالهمزة واختار الميداني كونه بالهمز وقال الليث وتليِّن همزته في لغة والفعل منه التزيبق . ولم يجارِ صاحبَ اللسان في انه مولد عامي بل جعله لغة وأما تليين الهمزة فقد حكى الأخفش كما في الاقتضاب للبطليومي ان من العرب من يترك الهمز في كلّ ما يهمز الا أن تكون الهمزة مبدوءاً بها

وفي التاج ان الهمز ليس من لغة قريش . قلت : وكذلك ليس هو من لغة العامة الى اليوم وقال الأئمة ان تسهيل الهمزة يكون قياسياً اذا كانت ساكنة ووقعت طَرَفاً في الفعل المزيد نحو ارجأت الأمر وارجيته وأشطأ الزرع وأشطى

زوط زَوْطَها — وقالوا زَوَّطَها « بالزاي المفخمة » اذا تجاوز في عمله حَدَّ المألوف ويكون ذلك في القول وفي العمل . وفي اللغة زوَّط اذا عظَّم اللقم وفي اللسان قال ابو عمرو يقال زوّطوا وغوّطوا ودَبَّلوا اذا عظموا اللقم ومثله زهوط ولكن العامة تعمّ يزوِّط اللقم وغيرها

او تكون من ذاطه يذوطه لغة في المهموز وذلك اذا خنقه حتى دلع لسانه اي بالغ في خنقه وهو جار مجرى قول العامة للمبالغ في الشيء حتى جاوز الحد « خنقت البَرّاك » كما يقولون زوّطها

او تكون من اضوط الزِّيار على الفرس اي زيَّره به قال في التاج قال ابو سعيد سمعت بعض مشايخنا يقول اضوط الزيار على الفرس اذا أنشبه في جحفلته نقله الصاغاني في العباب .

ز ى ط زاطت الدابة — ويقولون زاطت الدابة « بالزاي المفخمة » اذا سمنت من أكل الربيع او اذا كثر حولها فأكلت ورعت حيث شاءت

وارجح انها محرفة بالابدال من ضاط الرجل في مشيته ضيطاً وضَيَطاناً اذا حرّك منكبيه وجسده من كثرة لحم ورخاوة فهو ضَيْطان بالفتح اي كثير اللحم رخوه نقله ابن سيده والدابة اذا سمنت في المرعى كثر لحمها وتمايلت في مشيها من السِمَن وثقل الجسم

ز و ع تزوّع — وقالوا تزوّع وزوّع اذا تقيّأ وفي القاموس وتخوّع تقيّأ بغدادية ولعلها مولدة يشعر بذلك قوله بغدادية ولكن البغداديين اليوم يقولون زوّع بالزاي

وربما كانت من تهوّع اذا تكلّف القيء. وهاعَ قاء من غير كلفة وهوّعته ماأكل اذا قيّأته وفي حديث علقمة واذا تهوّع فعليه القضاء اي اذا استقاء وتكلّفه

زول الزَوْل — ويقولون للحَسَن الخَلق والهندام له كَشم وزَوْل ويسمون الشاخص في الظلام لا يتبيّن من هو وما هو الزَول والزَوالة وذلك اذا ظهر كالخيال لا يلبث ان يزول وفي اللغة الزَول الخفيف الظريف يُعجَب من ظَرفه وجمعه ازوال وزال يزول اذا تظرّف والانثى زولة كذا جاء في اللسان والزَوَال الخيال قال الأعشى :

هذا النهار بدا لها من همّها ما بالُها بالليل زال زوالها

قال ابو بكر (الأنباري) في تفسيره زال خيالها حين تزول

وجاء في كلام العرب زال به السراب اذا ظهر شخصه فيه خيالاً وفي اللسان الزَوْل الحركة يقال رأيت شبحاً ثم زال اي تحرك .

زول (٢) الزولِيّة — الزُولِيّة في العراق هي البساط والسجادة ذات الخمَل وجمعها الزوالي وهي في اللغة الزِّلِيّة وفسروها بالبساط وجمعها الزلالى .

ز و م الزُوم — الزَوم عند العامة المرَق وماء الغسالة واحسب انها دخيلة .

النبطية : (جبل عاملة) احمد رضا

مخطوطات ومطبوعات

ظهر الاسلام (١)

تأليف الأستاذ احمد امين

يقع هذا الكتاب في ثلاث واربعين وثلاث مئة صفحة ، من القطع الكبير ، حسن الطبع والترتيب والتبويب ، وهو « يبحث في الحالة الاجتماعية ومراكز الحياة العقلية من عهد المتوكل الى آخر القرن الرابع الهجري » .

بدأ المؤلف كتابه بوصف المملكة الاسلامية في ذلك العهد ، فذكر كيف دخل العنصر التركي في هذه المملكة ، وما كان له من أثر في الحياة السياسية والاجتماعية ، ثم ما كان بعد ذلك من نزاع — كان من قبل بين الفرس والعرب — فأصبح بين العرب والفرس والترك . يقول : « وكان العرب قد ضعف أمرهم في نزاعهم مع الفرس ، فجاءت قوة الترك ضغثاً على ابالة ، وأخذ التاريخ الاسلامي يصطبغ بالصبغة التركية ، وتحركت العصبية ضد الأتراك ، حتى ان المعتصم وهو الذي جلبهم ، اخذ — على ما قيل — ينكر أمرهم ، وجعل المحدثون يضعون الأحاديث في ذم الترك ، تعبيراً عن شعورهم وشعور الناس .

ثم جاء المتوكل — وقد مضى على مجيء الترك اثنتا عشرة سنة ، تمكنوا فيها من الأرض ، وعرفوا الناس والبلاد ، وخدمتهم الحوادث في اعلان سلطانهم — فاذا باتياخ وهو غلام تركي كان طباخاً ، يصبح صاحب السلطان ، وبيده معظم الأمور ، واصبحت امور الدولة في يد الأتراك ، واصبحوا مصدر قلق واضطراب . فهم يكرهون الفرس والعرب ؛ وهم انفسهم ليسوا في وفاق بعضهم مع بعض ، وهم لا ينقطعون عن المؤامرات والدسائس ، وتعصب كل فريق لقائد منهم ؛ وهم

(١) تأخر نقد هذا الكتاب لأسباب قاهرة .

كثيرو الطمع في الأموال لا يشبعون . وعلى الجملة فقد أصبحت دار السلام وما حولها ، ليست دار سلام »

يقول : « ورأى المتوكل ان يتخلص من الأتراك ، ويعيد الدولة سيرتها الاولى . ولكن ابنه المنتصر كان يشايعهم . فعزم المتوكل ان يفتكَ بابنه المنتصر ، ويقتل وصيفاً وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم ، وعزموا هم على الفتك به . فكان ذلك مفترق الطرق : ان نجح زالت دولة الاتراك وعادت غلبة الفرس ، ورجعت الأمور الى ما كانت عليه . ولكن شاء القدر ان ينجحوا هم ، فتقدم باغر التركي حارس المتوكل ينفذ مؤامرة دبرها القواد الأتراك ، وعلى رأسهم بغا الصغير ، ومعه عشرة غلمان من الأتراك ، وهم متلثمون والسيوف في أيديهم ، وصعدوا على سرير الملك ، وضرب باغر المتوكل بالسيف فقده الى خاصرته ، ثم ثناه على جانبه الأيسر ، وفعل به مثل ذلك . وأقبل وزيره الفتح بن خاقان يمانعهم ، فبعجه واحد منهم بالسيف في بطنه ، فأخرجه من متنه .

ولم يكن قتل المتوكل اعتداء على المتوكل وحده ، بل هو قتل لسلطان كل خليفة بعده . ولم يكن قتله بيد باغر وحده ، بل بيد الأتراك . وكان في قتله حياة الأتراك وسلطانهم ، وانذار عام للبيت المالك : أن من أراد ان يلي الخلافة ، فليذعن اذعاناً تاماً للأتراك ؛ ومن حدثته نفسه — من الخليفة فمن دونه — ان يناوئهم فليوطن نفسه على القتل .

وهكذا كانت هذه الحادثة مصرع الخلافة ، ومجد الأتراك ، فكان الخليفة بعده خاتماً في اصبعهم او أقل من ذلك ، حتى قنع بالسكة والخطبة . وصار يضرب ذلك مثلاً لمن له ظاهر الأمر وليس له من باطنه شيء ... »

هذه هي الصورة البارعة من حيث التصوير ، المؤلمة من حيث الواقع ، التي استهل بها الأستاذ فصله الأول : وصف الحال التي كان عليها سكان المملكة الاسلامية في القرنين : الثالث والرابع . وقد عزز هذه الصورة ببسط الأحداث

والخروق التي كان يحدثها هؤلاء الأتراك — ثم الديلم من بعدهم — في أطراف البلاد وفي قلبها من نهب وسلب ، وانتهاك حرمات ، وضبط أموال ، واذلال الخلفاء وتقتيلهم ؛ حتى الزنج نفسهم لم يخلص العرب وبلادهم من شرهم . هذا الى ما كان بين السنة والشيعة من جدال وقتال ، وما بين العناصر المذهبية من خلاف .

يقول الأستاذ : « هذه العناصر الجنسية من اتراك وفرس وعرب وروم وزنج وغيرهم ، وما تستلزم من عصبيات ؛ وهذه العصبيات المذهبية والطائفية من تسنن وتشيع ، ومن حنابلة وشافعية وحنفية ، ومن مسلمين ويهود ونصارى وغير ذلك ؛ كانت كلها حركات تموج بها المملكة الاسلامية ، تتعاون حيناً ، وتتقاعس حيناً ؛ وتؤثر في السياسة وفي الدين وفي العلم ؛ وتنشأ عنها المؤامرات السرية أحياناً ، والقتال الصريح احياناً . وكان لها كلها اثر واضح في كل ناحية من النواحي الاجتماعية : قد أثرت في الحالة المالية ، اما مباشرة واما عن طريق الحكم والسياسة ، فعمرت في ناحية وخربت في اخرى ، وعدلت في ناحية وظلمت في اخرى » .

ثم هو يصف ما كانت عليه الخاصة من غنى وترف ، وما كانت عليه العامة من فقر وبؤس ، وأسباب ذلك ، وما كان من نتائجه المفجعة من ثورات وخراب .

وينتقل المؤلف من وصف الحياة الاجتماعية السياسية الى وصف الحياة العقلية ، وما كان من اضعاف سلطان المعتزلة ، واعلاء شأن المحدثين ، ونصرة اهل السنة ، ثم يتحدث عما كان من حضارة وعلم وأدب ؛ ومن نبغ في الآداب والعلوم العربية من غير العرب ، كالفرس جملة ، ومن لم ينبغ كالترك الا افراداً ؛ ومراكز هذه الحياة العقلية من لغوية ونحوية وفلسفية ودينية وأدبية وعلمية ، في المشرق والمغرب العربيين . ولا يغفل ما كان من ذلك في جنوب فارس ، وفي خراسان وما وراء النهر وفي السند وأفغانستان .

وفي تضاعيف هذا الكلام ، من اخبار العلماء والأدباء والشعراء ومن الشعر

الاجتماعي والسياسي ، ما يحبب اليك متابعة هذا الكتاب والانكباب عليه ، حتى تبلغ منتهاه .

ويختتم المؤلف كتابه بلمحة عن سير العلم في الأقطار الاسلامية التي فتحها العرب ، وما كان لذلك من فضل في بقاء الوحدة العلمية والفكرية ، بعد فقدان الوحدة السياسية فيقول :

« واذا فتحت بلدة فسرعان ما يذهب اليها العلماء في الفقه والأدب يعلمون أهلها الدين واللغة والأدب ، حتى تصبح بعد قليل مركزاً من مراكز الانتاج العلمي كالذي رأيناه في صقلية ، تُفتح فيرحل اليها العلماء وتدوّي فيها حركة العلم وبعد قليل نراها مركز انتاج علمي وأدبي عجيب .

والحكومات من جانبها تنشئ الطرق ، وتقيم الرباطات والمخافر لحاجتها الشديدة الى تنظيم البريد ، وتسهيل التجارة ، فكان العلماء في رحلاتهم ينتفعون بهذه المزايا ، كما ينتهزون الفرص لخروج القوافل الى الحج ، فينتظمون في سلك الحجاج ، ويرحلون الى البلدان التي يريدونها .

وكانت الرباطات كثيرة في مراحل المسافرين ، ويذكر الاصطخري انه كان في بلاد ما وراء النهر ما يزيد على عشرة آلاف رباط ، في كثير منها اذا نزل النازل قدم له طعامه ، وعلف دابته ان احتاج لذلك .

وقد زوّدت هذه الرباطات بالماء لحاجة المسافر اليه ، وعدت اقامة الرباطات وتزويدها من الأعمال الخيرية التي يقف عليها المسلمون بعض أوقافهم ... كل هذا جعل المملكة الاسلامية من مشرقها الى مغربها كأنها وحدة مهما تعدد ملوكها وحكوماتها ، فالعالم والأديب والفنان والتاجر لا يعبئون بالحدود التي ترسمها السياسة ، ويرون ان اللغة والدين تكسر حواجز السياسة .

وكان لهذا أثره الكبير في العلم والأدب ، ومن أوضح هذه الآثار ضعف الشخصية الاقليمية ، فليس علم مصر وأدبها متميزاً كثيراً عن علم العراق وأدبه ،

ولا عن علم خراسان وما وراء النهر والسند وأدبها ، كلها متقاربة لأن رحلة العلماء وشدة الاتصال قربت بين الفروق ، وما يظهر امتياز في ناحية الا استمدته الناحية الأخرى وحذقته واستغلته . فالفقه المالكي في المدينة ، والفقه الحنفي في العراق يؤلف بينهما أمثال محمد بن ادريس الشافعي ، واسد بن الفرات المالكي . والنحو العراقي يحمله الى مصر والى المغرب الراحلون الى العراق (لعله من العراق ؟) والمتعلمون على أساتذته ، والعائدون بعد ذلك منه . والشعراء على ابواب الملوك والأمراء يتنقلون من بلاط الى بلاط فيوحدون مناهج النظم . والوراقون وتجار الكتب يحملون كتاب الأغاني ورسائل اخوان الصفا من العراق الى الأندلس . ومكاتب مصر ، ومكاتب الأندلس ، والقيروان ، والمهدية ، وفاس ، وخراسان ، وغزنة ؛ تضم خزائنها أهم ما أنتجه العالم الاسلامي بقطع النظر عن اقليمه

بل العلماء انفسهم نرى شطراً من عمرهم قضوه في بلد وشطراً آخر في بلد آخر . شطر في مصر وشطر في الشام ، وشطر في الشام وشطر في العراق ، وشطر في العراق وشطر في فارس ، وهكذا حتى يصعب في كثير من الأحيان عد العالم مصرياً او شامياً ، وعراقياً ام فارسياً . ومؤلفو التراجم أدركوا هذا المعنى فجمع اكثرهم علماء العالم الاسلامي على اعتبار انهم نتاج مملكة واحدة كقطر واحد .

نعم توجد شخصية نتاج كل اقليم كالأدب المصري والشامي والعراقي والفارسي؛ والطب المصري والشامي والعراقي والفارسي وهكذا ، ولكنها شخصية غامضة خفية لا ترى الا بالمنظار الدقيق والبحث الطويل . وا كثر ما يظهر هذا في منبع الظاهرة العلمية الأدبية حين تظهر . فظهورها في اقليم خاص ولا بد لمؤثرات اجتماعية في هذا الاقليم ، كظهور المقامات في اقليم فارس ، والموشحات بالأندلس ؛ والأسلوب المسجوع المحلى بالبديع في الري وما حولها ، والرسائل الشاملة لفروع الفلسفة — كرسائل اخوان الصفا — في البصرة . كل ذلك له علل اجتماعية

وتاريخية واقليمية مرتبطة بهذه الظواهر ارتباط السبب بالمسبب ، ولكن لا تلبث بعد ظهورها ان تقلد في سائر الأمصار ، ولو لم تكن العلة الأصلية موجودة ، وتقوم علة التقليد مقام علة الابتكار ، وتختفي الشخصية الأولى وراء المظهر العام للوحدة المشتركة »

من هذا الذي استشهدنا به ، يعرف شيء من قيمة هذا الكتاب الجليل الذي أخرجه للأمة العربية الأستاذ الجليل . وليس لنا ما نأخذه على أستاذنا الا تساهله في بعض عبارات وألفاظ ، ان هي جازت لغير المؤلف ، وفي غير هذا الكتاب ؛ فما نحسبها تجوز للمؤلف وفي كتابه هذا على جلالة قدرهما . من ذلك : (وهو كلام جيد نظرياً) و (استمرت طوال هذا العصر) و (تبلور عداء الناس) و (هكذا فعلوا في الوزراء والكبراء والتجار) واكثاره من استعمال السنية في مقابلة الشيعة و (النعلين المذهّبين) بتشديد الهاء . و (صارت المملكة الاسلامية عبارة عن دول) و (اجاد المسعودي في ملاحظته وجه الشبه) و (لم تعد المملكة الاسلامية مخشية الجانب) و (فلما تملكوا حققوا نظريتهم في احقيتهم) و (اهاج شاعريته) و (لا يهمه المال بجانب ما يهمه العلم) و (بقطع النظر عن اقليمه) و (مات حول سنة ٤٣٠) و (فرأيت شعراء ممتازين في هذا العصر) و (يرجع الفضل فيها أولاً الى شخصيتين من أقوى الشخصيات)

وكالتساهل في كتابة الهمزة : (ملئوا) بدلاً من (ملأوا) (ولا يعبئون) بدلاً من (ولا يعبأون) .

ووقف نظرنا عند هذا البيت :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما لأجل العطايا والُّلها تفتح الَّلها

و (لأجل العطايا) نابِرة هنا قلقة . لا تليق بقدر هذا البيت ولعل الرواية :

(تجيد العطايا والُّلهى تفتح الَّلها)

ولسنا من رأيه في قوله : « المأمون — نصف الفارسي » فاذا كان المأمون تخرجه عن عربيته أو تسلبه نصفها ، أن امه فارسية ؛ فما القول في كثير من

ملوك أوربه كانوا ، ومنهم من لا يزالون الى اليوم ، ينتسبون الى أمم ويقومون بأمورها ، وآباؤهم — وأحياناً هم — ليسوا منها بل غرباء عنها ؟

ويقول المؤلف : (وقد استفدت من اشارات للأستاذ متز الى كثير من هذه المصادر) وقد يكون هذا قليلاً في جانب ما سبق لآدم متز ان أورده في كتابه : (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع) من نصوص وشواهد وبحوث وأشعار ونقول وحادثات أعيدت نفسها وبنصها مرة ثانية في ظهر الاسلام .

هذا ونحن نكرر شكرنا للأستاذ الجليل على هذا الكتاب المفيد الجليل .

عارف النكدي

البادية

تأليف عبد الجبار الراوي

مدير السجون العام في بغداد

ليت القارىء يفكر قليلاً في هذا العالم المديد الذي تشتمل عليه لفظة : البادية ، فمن البادية انحدرت الينا لغة وأدب وشعر امتزجت في بدء الأمر بلغة الحضر وأدبه وشعره ثم تعاقبت على هذا الامتزاج أحقاب غير قليلة فنشأت بعد هذا التعاقب روح جديدة في لغتنا وأدبنا وشعرنا ، ظهرت آثارها على شعرائنا وكتابنا في الماضي ولا نزال نغرف من بحرها في الحاضر .

فمن الوفاء الرجوع الى البادية التي هي مادة أوائل حسنا وفكرنا وعاطفتنا وذوقنا ومن الوفاء الكلام على مجامع نواحيها : على جغرافيتها وطرقها وآبارها وعشائرها واجتماعها ونظامها وغير ذلك ، وهذا ما توفر عليه السيد عبد الجبار الراوي مدير السجون العام في بغداد في كتابه : البادية .

فلا يشاء القارىء أن يعرف شيئاً عن بادية العراق وبادية نجد وعن حدودهما وخصائص تربتها وحيواناتها الا عرفه ولا يشاء ان يعرف شيئاً عن طرق البادية وعشائرها وعاداتها واحوالها الاجتماعية ونظام حكوماتها ومعاهداتها واتفاقاتها الا عرفه .

شفيق جبري

بلادنا (فلسطين)

تأليف مصطفى مراد الدباغ

مفتش معارف اللواء الجنوبي - يافا -

يبحث المؤلف في هذا الجزء وهو الجزء الأول عن تأريخ فلسطين في مبدإ التأريخ حتى انقسام مملكة اليهود ، وقد تبسط في الكلام على الديار النابلسية التي هي في نظره : بلاد الرجولة الكاملة والخلق المتين ، فذكر طائفة من علمائها وأدبائها وأبطالها وأشار اشارة يسيرة الى بعض رجال العرب الذين كانت لهم علاقة تأريخية مشهورة بها .

يعترف المؤلف في المقدمة بأن البحث في بعض مواضع الكتاب يحتاج الى الاستقصاء وان نواحي منه لم يتمكن من الوصول اليها ليوفيها حقها من الشرح والتفصيل ، ولكن على الرغم من هذا الاعتراف لا يخلو الكتاب من خصائص ذات قيمة فقد أشار صاحبه فيه الى ذكر فلسطين في القرآن الكريم والحديث الشريف والى ذكرها في أقوال بعض علماء العرب ، وتكلم على موقعها الجغرافي وعلى سكان البلاد القدماء وعلى الفلسطينيين واليهود فالكتاب على وجه عام يجمع بين شيء من الفائدة واللذة .

ش . ج

التيار

نظم الأستاذ أحمد الصافي النجفي

نشر صاحب هذا الديوان تحت اسم الديوان : التيار هذين البيتين :

يقدّم تياري الى الناس نفسه ‏ ‏ ‏ ‏ وليس له الا المدير معرّف

وليس بمحتاجٍ مقدمةً له ‏ ‏ ‏ ‏ مقدمة التيار ما سوف يجرف

فالديوان الذي لا يحتاج الى تعريف ولا الى مقدمة لا يحتاج أيضاً الى كلمة عليه في مجلة مجمعنا ، واذا احتمل الناس صدور أمثال هذه الهواجس عن شاعر

كأبي الطيب المتنبيء الذي اذا قال شعراً أصبح الدهر منشدا ... فلا يحتملون صدورها عن أي شاعر كان ، فان للغلو حداً واذا جاوز الغلو مقدار هذا الحد ظنت بصاحبه الاظانين .

لقد نقش صاحب « التيار » قصائد في ديوانه عنوانها : اللئيم والثقيل .. وكم كنت استحسن هذه القصائد لو جردها من الكلام على نفسه في تضاعيفها كقوله :

يحاول أن أقابله بلؤم ويأبى المجد والقلب السليم
أأدفع لؤمه عني بلؤم اذن انا مثله جان أثيم
كرهت اللؤم حيث أراه نقصاً فيل أرضاه كي تؤذى الخصوم

فلو تكلم على اللؤم من حيث هو لؤم وترك جانباً هذا المجد وهذا القلب السليم وهذا الكره للؤم لكان لشعره وقع غير هذا الوقع .

وقال أيضاً في قصيدة ثانية عنوانها : سارق غير شاعر :

والشاعر الصافي يخال الورى تحكيه في الباطن والظاهر
وانهم أشراف نفس غدت قلوبهم كقلبه الطاهر

فلو فتش الشاعر الصافي عن قلب طاهر غير قلبه يشبه به قلوب الورى لكان كلامه أشد صلة بالآذان والأذهان .

واذا شئت ان أبحث في التيار عن شعر أمر به ، خال من أشباه هذه الوساوس فلا وجدته الا في القصائد التي يتجرد فيها من نفسه مثل قصيدة دمر التي يقول فيها :

جلست حول نهر دمر غيد صرن والدوح حوله جنتين
يردى ما رأيت قبلك نهراً ينبت الغانيات في الشاطئين
ليس عيناي لي بكافيتين فوق عيني ابتغي ألف عين

ليت شعر « التيار » كان كله من هذا النمط وهذا المذهب !

ش . ج

أدب الرصافي (نقد ودراسة)

تأليف مصطفى علي

هذه فصول نشرها صاحبها في جريدة البلاد في بغداد ثم جمعها في كتاب سماه : أدب الرصافي ٠

وضع المؤلف نفسه في هذه الفصول موضع المدافع عن طائفة من آراء الرصافي وأفكاره ويسير من أدبه وسيرته ومعتقده ٠

انا نشاهد في بعض مواطن من الكتاب مثل هذه العبارة : ولئن أريد ان يعلو الصدأ مرآته الوضّاءة في حياته وبعد مماته وان تطمسها غشاوة من الكيد وعماية من المكر الخ ٠٠٠٠ فنرى ان خيراً من هذا الأسلوب ونحوه الدلالة على محاسن الرصافي التي تجعل له المقام الرفيع في الأدب لأن مثل هذا الأسلوب لا يحتوي على شيء من التحليل وانما يذهب أدراج الرياح ٠

على انه اذا كان المجال لا يتسع للتدقيق في الذي ذبوا به الرصافي والذي ردّ به المؤلف عليهم في فصوله ، فيمكننا ان نشير الى أن ردّه كان يشتمل في كثير من الأحيان على الصواب ٠

ش٠ ج

مصطلحات علمية

لواضعها الدكتور في الصيدلة والكيمياوي محمد صلاح الدين الكواكبي

كتيب يقع في ٨٧ صفحة جمع فيه مؤلفه ما وضعه من المصطلحات العلمية التي يعود أكثرها الى علم الكيمياء ٠ ومتى عرفنا ان وضع المصطلحات الكيماوية يكاد يكون عقدة العقد في اللغة العربية قدرنا للأستاذ الواضع جهوده وأقررنا بفضله في شقّ هذا الطريق الوعر الذي يصعب اختراقه ٠ ان وضع المصطلحات الطبية قد قطع شوطاً كبيراً في يومنا حتى أصبحت الكتابة بلغة الضاد سهلة

في أي موضوع يختاره الكاتب بدون ان يكون مضطراً الى استعمال الكلمات الأعجمية او تعريب بعضها . ويعود معظم هذا الفضل الى أساتذة كلية الطب بدمشق الذين ذللوا هذه العقبات كلٌ منهم بما يعود الى الفرع الذي يدرّسه غير ان الكيمياء كانت ولا تزال العقبة الكؤود التي لم يسهل تذليلها وإننا نسرّ الآن اذ نرى أستاذاً من أبرع الأساتذة علماً في فنه ومن أوسعهم اطلاعاً على لغة الضاد وفلسفتها يسلك هذا الطريق غير عابئٍ بما سيعترضه من المصاعب .

ان المصطلحات التي وضعها المؤلف لا تزيد عن ستمائة مصطلح يعود بعض منها الى العلوم الطبية كافة ويرجع الباقي منها الى العلوم الكيميائية وهو عمل ضئيل اذا ما قيس بألوف المصطلحات التي يتطلبها علما الكيمياء والصيدلة غير ان هذه المصطلحات ليست كل ما وُضع في هذين العلمين بل ان سواها من المصطلحات السهلة قام بوضعه عدد من المؤلفين الذين سبقوا الأستاذ الكواكبي كما ان جمعَ شتاتها ووضعَ ما لم يسبق وضعهُ يقوم به الأستاذ الكواكبي على ما نعلم في معجم خاص معدّ للطبع سيسمّى «معجم الكواكبي في الكيمياء» .

اننا نهنئ الأستاذ المؤلف بالطريقة التي سلكها في الوضع فقد اختطّ له طريقاً اذا ثابر على سلوكه حتى النهاية سهل عليه وعلى من جاء بعده بلوغ الغاية . نقدم على ذلك بعض الأمثلة القليلة فقد جاء في ترجمة (raffiner) رفّن من الرفأنينة وهي غضارة العيش وأجوده ومعنى اللفظة الأعجمية الحصول على أنقى المواد وأصفاها وجاء في كلمة (raffinage) الترفين فكان موفقاً كل التوفيق في هذا الوضع لما في الكلمتين العربية والأعجمية من التقارب في اللفظ والتشابه في المعنى . وجاء في ترجمة (carbonation) الفحملة او الفحمتة وهي غير التفحم او الاستفحام (carbonisation) لأنها تعني ترسيب ما في سائلٍ من الشوائب بامرار غاز الفحم ، بحالة فحمات كما في صناعة السكر ، واستعمل الفعل أيضاً فقال تَفَحْمَلَ أو تَفَحْمَتَ في ترجمة (se carbonater) والشواهد كثيرة على دقة وضع المؤلف وسعة تنقيبه قبل الوضع .

وانا نعتقد انه اذا لم تعنَ جماعة من الكيماويين والصيدلانيين في وضع مصطلحات العلوم العائدة الى فروع الصيدلة اجمالاً جاءت هذه المصطلحات مشدهة مغلوطة لأن الأطباء أنفسهم لا يحسنون هذا الوضع ، كيف لا ووضع المصطلحات يتطلب شرطين اساسيين لا بدَّ من توفرهما في الواضع اولهما اتقان العلم الذي يضع مصطلحاته وثانيهما اتقان اللغة التي ينقل منها واليها هذا المصطلح ولا يسهل توفر هذين الشرطين في غير علماء هذا الفن فأملنا ان يتابع الأستاذ العالم جهاده وان يتحفنا قريباً بقاموسه الفريد وفقه الله في عمله وأفاد العلم والعالم العربي بأمثاله

الدكتور مرشد خاطر

موجز في الكيمياء الحيوية لشعبة طب الأسنان

تأليف الدكتور في الصيدلة والكيمياوي محمد صلاح الدين الكواكبي

يقع هذا الكتيب في ١٤٥ صفحة من قطع الثمن وقد طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق في سنة ١٩٤٦ وزين بخمسة وعشرين رسماً وهو بحث مقتضب في علم الكيمياء الحيوية وضعه المؤلف لطلبة طب الأسنان في كلية الطب بدمشق جاء فيه بزبدة هذا العلم التي لا غنى لطبيب الأسنان عن معرفتها في سياق ممارسته . وقد أحسن المؤلف كل الاحسان في اختيار الموضوعات المفيدة من هذا العلم وصوغها بقالب سهل المأخذ واهمال ما هو أقلُّ شأناً منها فجاء في الفصل الأول في بحث الهيوليات (بروتيد) ذاكراً خواصها وتفاعلاتها وتدنينها وتطبيقاتها العمليه . وبحث في الفصل الثاني عن الدم وكواشفه وسكر الدم ومعايرته وبولة الدم ومعايرتها واملاح الكلور في الدم وعيارها وخمائر الدم وكرياته الحمر والبيض وغير ذلك من الأبحاث التي لا غنى لطبيب الأسنان عنها . وتكلم في الفصل الثالث عن الاختمار والخمائر وانواعها . وفي الفصل الرابع عن الكبد ووظائفها . وفي الفصل الخامس عن الصفراء ووظيفتها في الهضم وفي الفصل السادس عن اللعاب وعصارة المعدة وخمائر هذه العصارة وفي الفصل السابع عن عصارة المعثكلة (البنكرياس)

وفي الفصل الثامن عن البول في الحالتين العادية والمرضية وطرائق كشف العناصر المرضية في البول وفي الفصل التاسع والأخير عن تركيب العظام والأسنان ٠

ولغة الكتاب صحيحة فصحى والمصطلحات الجديدة حسنة الوضع والأبحاث العلمية على الرغم من اقتضابها سهلة المنال ووافية ٠

ولواضع هذا الكتاب مؤلفات اخرى عديدة تدل على طول باعه وسعة علمه نذكر من المطبوع منها الموجز في بحث السموم، والحبابات الدوائية، والحموضة والقلوية، وصناعة حمض الليمون، والسيمياء الحديثة، والحيونيات (الفيتامينات) والموجز في الكيمياء الحيوية الطبية العملية (٣ أجزاء) وغيرها من المؤلفات التي أعدّت للطبع وكلها تشهد بسعة علم المؤلف وتضلعه من اللغة التي يكتب بها

م ٠ خ

J. Cantineau - Les parlers arabes du Horan

اللهجات العربية في حوران للأستاذ ج ٠ قانطينو، يقع في (٤٣٥) صفحة من القطع المتوسط ومعه ملحق ضمنه خرائط جغرافية لمناطق هذه اللهجات ٠ طبع في باريز عام ١٩٤٦ ٠

سبق للأستاذ المؤلف ان عالج مثل هذا الموضوع في كتابه عن اللهجة العربية في تدمر، ودراسته هذه عن اللهجات العربية في حوران فاقت ما سبقها من دراسات سعة وتدقيقاً ٠

ان هذه الأبحاث على وفرة الزاهدين فيها هي من الدراسات المفيدة وفيها خدمة جليلة لكل من يرغب بدراسة اللغات السامية والتعمق فيها ٠ لقد احتفظت اللهجات العامية ببعض المصطلحات والأوزان والصيغ اللغوية القديمة التي لا نجد اصولها في اللغات الفصحى ولا نهتدي الى تعليلها من كتب اللغة ٠ ومن المفيد ان تدون هذه اللهجات للرجوع اليها، لاسيما وهي صائرة الى الاضمحلال بتأثير وحدة الثقافة وسرعة المواصلات وسهولة الانتقال واختلاط السكان ٠

نشكر المؤلف على جهده وعنايته ٠

جعفر الحسني

J. Sauvaget : Introduction à l'histoire be l'Orient musulman . Elements de bibliographie

في (٢٠٢) صفحة من القطع المتوسط . طبع في باريز عام ١٩٤٦

لقد سبق للأستاذ صلاح الدين المنجد ان عرّف قراء العربية بهذا الكتاب ونوه بمكانة مؤلفه العلمية حينما اقتبس منه فصليه الثاني والثالث وعربهما في كتابه (رائد التراث العربي) الذي قرظناه في أحد اعداد هذه المجلة . وما قلناه في الفرع يصح قوله في الأصل . لقد عرفت دمشق الأستاذ (سوفاجه) مؤلف هذا الكتاب مدة طويلة وعرفت فيه سعة علمه ودقة بحثه وانصافه في الحكم ، وحسن دعايته لتاريخ هذا الشرق . وقد توقع له من عرفوه وقتئذ مستقبلاً علمياً زاهراً في خدمة عالم الاستشراق . وقد حقق الاستاذ فراستهم في نشاطه العلمي وحسن اختيار أبحاثه . وكتابه هذا هو خير ما يهدى الى رواد تاريخ الشرق الاسلامي من عرب ومستشرقين ، يجدون فيه التوجيه الصحيح وحسن الاختيار وجودة الانتقاء في كل ما يرشدهم اليه من مصادر قيمة قد يغفل عنها أنبه الباحثين .

ج . ع

خزائن الكتب القديمة في العراق

من أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

تأليف الأستاذ كوركيس عواد

عدد صفحاته ٣٤٦ ، بأبعاد ٢٤ × ١٧ سم ، . طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م يحتوي هذا الكتاب على اربعة ابواب ، فيشتمل الباب الأول على مباحث تمهيدية ، كالوراقة والوراقين ، ووقف الكتب ، وحرقها ، وغرقها ، واغراقها ، ودفنها ، وغسلها .

ويشتمل الباب الثاني على ذكر خزائن كتب العراق قبل الميلاد ، فذكر مؤلفه

خزائن نفر ، دريهم ، نينوى ، مدينة أدب ، سيار ، الجمجمة ، كبش ، تلو ، الوركاء ، تل قره قل ، آشور ، نوزي ، والمدائن .

وذكر المؤلف في الباب الثالث ، خزائن كتب العراق بعد الميلاد ، فأورد خزانة مرقد النبي حزقيال ، وكتب الديارات .

واما الباب الرابع وهو اوسعها ، فقد ذكر فيه خزائن كتب العراق في العصر الاسلامي ، وقسم هذا الباب الى خمسة أقسام ، فذكر في القسم الأول خزائن كتب الخلفاء ببغداد ، فبدأ بخزانة المنصور ، وانتهى بخزانة المستعصم بالله .

وعدد في القسم الثاني خزائن كتب الملوك والسلاطين ، فذكر خزائن عضد الدولة البويهي ، الملك العادل نور الدين ارسلان شاه بالموصل ، وبدر الدين لؤلؤ بالموصل

وأورد في القسم الثالث خزائن الكتب العامة القديمة في العراق ، فذكر خزائن المساجد ، المدارس ، الربط ، دور العلم ، وغيرها

وذكر في القسم الرابع خزائن كتب الوزراء في العراق ، فبدأ بخزانة يحيى البرمكي ، وانتهى بخزانة علاء الدين عطا الجويني

وختم الباب الرابع بذكر خزائن الكتب الخاصة ، منذ صدر الاسلام حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

وأتبع هذه الأبواب بملاحظات ، واستدراكات ، وثمانية فهارس : لأعلام الناس ، الأقوام والملل والجماعات ، الأمكنة والمواضع ، خزائن الكتب ، اسماء الكتب والرسائل والمقالات والمجلات باللغات الشرقية ، المراجع الأجنبية ، الألفاظ الدخيلة والمصطلحات ، ومحتويات الكتاب .

وبالختام فالكتاب يشهد للمؤلف ببذل الجهد والصبر ، في التنقيب والبحث ، في بطون الكتب القديمة والحديثة ، الشرقية والغربية ، فاستحق شكر الباحثين ، وثناء المطالعين .

عمر رضا كحالة

آراء وأنباء

الأب أنستاس ماري الكرملي

(١٨٦٦ — ١٩٤٧)

١ — موجز تاريخ حياته



كان اسمه قبل أن يترهّب، «بطرس بن ميخائيل جبرائيل عوّاد». وقد وُلد ببغداد في ٥ أغسطس ١٨٦٦، من أبٍ لبناني وأمّ بغدادية. وتلقّى العلم في مدارس بغداد، ثم عند الآباء اليسوعيين ببيروت، وأخيراً في بعض بلاد الغرب، ولا سيما في دير الكرمليين في شفرمون بيلجيكة. وقُسّ هناك سنة ١٨٩٤، فاتخذ له اسماً عُرف به، وهو «الأب أنستاس ماري الكرملي». ثم آبَ الى وطنه بعد أن زار في طريقه بلاد الأندلس.

وكان الأب أنستاس، خلال دراساته وتتبعاته، قد أتقن العربية والفرنسية. كما انه درس اللاتينية واليونانية. وتوغّل في فلسفة اللغة العربية توغلاً عظيماً، وأمعن في تحليل مفرداتها، ومعرفة أصولها واشتقاقاتها، وعُنيَ عنايةً فائقة بمقابلة ألفاظها بألفاظ غيرها من اللغات. فكان له في كلّ هذه الميادين القدح المعلّى، وتوصّل الى نتائج خطيرة الشأن.

وقد دفعت به هذه المواضيع ، الى الأخذ بأطراف جملة من لغات الشرق الأدنى ، كالسريانية والعبرية والحبشية والمندائية والفارسية والتركية . كما حملته على ان يلمّ بغير ما ذكرنا من لغات الغرب ، كالانكليزية ، وقوّته في الفرنسية جعلته يفهم الايطالية والاسبانية .

حظي الأب أنستاس بمكانة رفيعة بين العلماء والباحثين من مختلف الأقطار . فراسله جماعة كبيرة من علماء الشرق والمستشرقين . وكان ، رحمه الله ، قد تفضّل فأهدى الينا مجموع هذه الرسائل التي تواردت اليه منهم خلال خمسين عاماً ، اعني منذ سنة ١٨٩٦ حتى ١٩٤٦ . وفي هذه الرسائل من الفوائد التاريخية واللغوية وغير ذلك شيء كثير [١] .

ان علم الأب أنستاس وفضله ، حملا الهيئات العلمية على تقديره . فانتخب عضواً في « المجمع العلمي العربي » بدمشق ، وفي « مجمع فؤاد الأول للغة العربية » بالقاهرة ، وفي « لجنة التأليف والترجمة والنشر العراقية » ببغداد .

٢ — خصومات أدبية

كان حرص الأب على العربية وتعلّقه بها ، يتعدّيان حدود الوصف . فهو طوال حياته سيفٌ مصلت على رؤوس من يناوئ هذه اللغة أو يحطّ من قدرها أو يستصغر شأنها . وله في ذلك مواقف جليلة خطيرة ، تجعله في طليعة الأبناء البررة لهذه اللغة .

وقد كان في كثير من ردوده ومناظراته ، لا سيما إذا كانت حجته قوية بيّنة ، لا يعرف الهوادة ولا اللين . فكان ينشر نقداته في المجلات ، فيحمي

(١) نشر كاتب هذه السطور ، كوركيس عواد ، وأخوه ميخائيل عواد ، « رسائل أحمد تيمور الى الأب أنستاس الكرملي » (بغداد ١٩٤٧) . وقد اعدّا للنشر ثلاث مجاميع أخرى من تلك الرسائل ، وهي التي كتبها « السيد محمود شكري الآلوسي » ، و« أحمد زكي باشا » و « الأمير شكيب أرسلان » .

وطيس الأخذ والردّ بينه وبينهم ، وقد يشتطّ الطرفان في المخاشنة ، وقد يبلغ بهما الأمر أحياناً الى الاسفاف في الكلام ..!

وسيسجّل تاريخ الأدب العربي في بعض صفحاته ، هاتيك الخصومات الأدبية ، بين الأب انستاس وبين غير واحدٍ من الكتّاب . وإن ننس لا ننس ما دار من مناظرات بينه وبين أمين ظاهر خير الله ، والأب لويس شيخو ، وأسعد خليل داغر ، وجبر ضومط ، والدكتور أمين المعلوف ، ووحيد الأيوبي ، وغيرهم ممن لا يسعنا ذكرهم .

٣ — مؤلفاته

زاول الأب أنستاس الكتابة ، وهو في مقتبل العمر . فقد نشر أولى مقالاته في جريدة « البشير » البيروتية منذ سنة ١٨٨٢ . وظلّ يبحث ويؤلف حتى آخر عمره . ولقد قرأنا له مقالاً في إحدى المجلات ، قبل وفاته بأيام معدودات ! فيكون قد أفنى من عمره في البحث والتأليف أربعاً وستين سنة ، كتب في خلالها نيفاً وألف مقالة ، وطبع جملة كتب ، ونشر جريدة ومجلتين ، وصنّف مصنفات أخرى عديدة ، ما زالت مخطوطة .

ويدور أغلب مؤلفاته على مباحث شرقية ، في اللغة والتاريخ والتراجم والبلدان والأقوام والمِلَل ووصف الكتب ، والحيوان والنبات والأحجار ، والنُميّات والآثار والخطط ، وغير ذلك مما يتعذّر حصره حصراً تاماً .

كانت « مقالاته » متعددة المناحي ، وقد أكثر منها إكثاراً عظيماً ، حتى قلما نجد مجلةً عربية ذات شأن ، إلا واسم الأب أنستاس يتوج مقالاتٍ فيها . والذي أحصيناه من تلك المجلات جاوز خمسين مجلة ، تصدر في بلدان مختلفة ، كبغداد ودمشق وبيروت والقاهرة .

انّ تلك المقالات ، قد اهتمّ بها العلماء والباحثون أيما اهتمام ، ونُقل بعضها الى أشهر لغات الغرب ، كالألمانية والفرنسية والانكليزية والروسية .

وعندنا، ان مقالاته لو جُمعت كلها في كتب ، لقام منها عشرة مجلدات ضخام على أقل تقدير ·

أما «الكتب» التي طبعها ، فهي على نوعين :

الأول : كتب ورسائل في الدين والمواعظ ، طُبعت في بغداد وبيروت · وهذه التآليف لا شأن لنا بها في هذا المقام ·

الثاني : مباحث تاريخية ولغوية متنوعة ، بعضها من تأليفه ، وبعضها مما عُني بنشره · وسنذكرها هاهنا بحسب تواريخ نشرها :

١ — نخبة من كتاب العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال : كُتب في صدره انه لأبي الخير فهر بن جابر المشكال بن عائد بن جاهل بن فاتك ابن عدي بن عمار الطائي ، المتوفى سنة ٢٢٦ هـ · (بيروت ١٩٠٨) ·

٢ — الفوز بالمراد في تاريخ بغداد · (بغداد ١٩١١) ·

٣ — بحث في اليزيدية بالفرنسية ، نشره في المجلد السادس من مجلة Anthropos الصادرة في ڤينَّة بالنمسة ، سنة ١٩١١ ، ثم طُبع على حدة · وهذا عنوانه :

La découverte récente des deux livres sacrés des Yézidis . (Wien , 1911) .

٤ — كتاب العين : للخليل بن أحمد ، المتوفى سنة ١٧٤ هـ · (طُبع منه ببغداد سنة ١٩١٤ ، نحو ١٤٤ صفحة · ثم جاءت الحرب الكبرى الأولى ، فحالت دون إكمال طبعه) ·

٥ — خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه الى يومنا هذا · (البصرة ١٩١٩) ·

٦ — ترجمة حياة الأب ماربة يوسف ، رئيس الرسالة الكرملية في بغداد من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٩٨ · (نقله الى العربية ، وطبعه ببغداد سنة ١٩٢٩) ·

٧ — الإكليل : للهمداني ، المتوفى سنة ٣٣٤ هـ · (الجزء الثامن · بغداد ١٩٣١) ·

٨ — أغلاط اللغويين الأقدمين · (بغداد ١٩٣٢) ·

٩ — تذكرة الشعراء ، أو شعراء بغداد وكتّابها في أيام وزارة المرحوم

داود باشا والي بغداد في حدود سنة ١٢٠٠ الى سنة ١٢٢٦ للهجرة : تأليف عبد القادر الخطيبي الشهرباني . (بغداد ١٩٣٦) .

١٠ — رسالة في الكتابة العربية المنقحة . (بغداد ١٩٣٦) .

١١ — نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها . (القاهرة ١٩٣٨) .

١٢ — نخب الذخائر في أحوال الجواهر : لابن الأكفاني السنجاري ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (القاهرة ١٩٣٩) .

١٣ — النقود العربية وعلم النُّمِّيات . (القاهرة ١٩٣٩) .

١٤ — بلوغ المرام في شرح مسك الختام في مَن تولى مُلك اليمن من مَلِك وإمام : للقاضي حسين العرشي ، المتوفى بعد سنة ١٣٣٠ هـ . (القاهرة ١٩٣٩) .

كما انه أنفق على طبع المجلد التاسع من « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السِّيَر » لابن الساعي المؤرخ البغدادي ، المتوفى سنة ٦٧٤ هـ . وقد حقق هذا المجلد الدكتور مصطفى جواد . (بغداد ١٩٣٤) .

والذي ينبغي علينا ذكره في صدد هذه الكتب ، انه عزّز أكثرها بالحواشي والتعليقات المفيدة ، وذيّلها بالفهارس الكاملة المتنوعة . وفي هذا خدمة جليلة للقراء والباحثين .

وأما « الصحف » التي أصدرها ، فهي :

١ — لغة العرب : أصدر منها تسعة مجلدات كاملة ، ظهرت خلال السنوات ١٩١١ — ١٩١٤ و ١٩٢٧ — ١٩٣١ . وهي من أنفس المجلات العربية وأغزرها مادة .

٢ — دار السلام : وهي مجلة أسبوعية تبحث في التاريخ والآداب وتلخّص أهم الأخبار السياسية . صدر منها نحو أربعة مجلدات خلال ١٩١٨ — ١٩٢٢ .

٣ — العرب : وهي جريدة سياسية ، أصدرتها الحكومة المحتلة ، وأشرف على تحريرها سنةً ونيفاً . ظهر عددها الأول في ٤ تموز ١٩١٧ . ولم يكن اسم الأب يُذكر فيها .

أما مؤلفاته الخطية، فعديدة بعضها كامل وبعضها لم يكمل. وقد فُقِد جانب منها. والذي وقفنا عليه منها: تراجم عراقيين عصريين وغيرهم من مشاهير العرب. مزارات بغداد. أغاني بغدادية عامية. ديوان التَفْتاف (والتفتاف، لاقطُ الحكايات من أفواه النساء. جمعها على لغتها العامية الاسلامية البغدادية). أرض النهرين [1]. الأنباء التاريخية. كشكول المحققين من المؤرخين واللغويين. اللُمَع التاريخية والعلمية (مجلدان). المراسلات المارينية. ثَبَت الكتب الخطية المحفوظة في خزانة مبعث الكرمليين في بغداد (٣ مجلدات). متفرقات تاريخية. خواطر علمية وسوانح دينية ومنشورات أدبية ولغوية وتاريخية. مختارات المفيد. المجموعة الذهبية. أسرار الموازين والجموع (لم يكمل). العجائب اللغوية (لم يكمل). أديان العرب (لم يكمل). تاريخ الكرد. الغُرَر النواضر والدُرَر الزواهر. النغم الشجي في أغلاط الشيخ ابراهيم اليازجي. كتاب حشو اللوزينج. الشوارد اللغوية في الأشعار البدوية. أمثال بغداد والموصل العامية النصرانية مع حكايات عامية أيضاً. فوائد الشرائد أو الشوارد (لم يكمل). بدوات الخاطر (لم يكمل). السحائب (لم يكمل). جمهرة اللغات (لم يكمل). الرغائب (لم يكمل). الغرائب (لم يكمل). معين المحقق ومعين المدقق (مجلدان. الأول مفقود). مجموعة في الأغاني العامية العراقية. اليزيدية [2]. العرب قبل الأسلام. معجم في موافقة اللغة العربية للغات الشرقية والغربية.

على انّ أجلّ مؤلفاته الخطية وأعظمها قدراً، هو معجمه الكبير الموسوم بـ «المساعِد». فقد سلخ شطراً كبيراً من حياته في تأليفه. بل قلّ انه بدأ به منذ سنة ١٨٨٣. وسبيله في تصنيف هذا المعجم، انه اشترى في تلك السنة «محيط المحيط» لبطرس البستاني، ووضع ورقة بيضاء بعد كلّ ورقة مطبوعة،

(١) هو ترجمة كتاب: Edwin Bevan, The Lands of the Two Rivers. (London, 1918).

(٢) هذا الكتاب في ١١٠ صفحات من قطع الثمن الكبير. وقد أدرج كثيراً منه في مجلة «المشرق» في سنيها الأولى.

فتضاعفَ حجم الكتاب حالاً . وأخذ يقيّد في تلك الأوراق البيض ما وسعه أن يقيد حتى امتلأت او كادت تمتلئ ، ثم أضاف اليها مجلداً آخر .

ويظهر انّ الأب أنستاس كان قد وسم معجمه أولاً بـ « ذيل لسان العرب »[1] . ثم عدل عن هذه التسمية الى « المساعِد » .

وعندنا انه لو أعيد النظر في مسوداته ونُظمت مفرداته بحيث يسهل طبعها ، لسدّ فراغًا بيّنًا في الخزانة العربية ، ولاستخرج منه الكتّاب والباحثون أجزل الفوائد . وهذا المعجم وقفنا عليه ورجعنا اليه غير مرة في حياة مؤلفه . نرجو أن تُعنى هيئة علمية بتمحيصه وطبعه ، فتسدي الى لغة الضاد خدمة جليلة .

٤ — تواقيعه المستعارة

وقد يدهش القارئ إذا قلتُ ، إن أكثر من نصف مقالات الأب أنستاس ، المنشورة في المجلات ، لم تكن تُقرَن باسمه « الصريح » بل نُشرت بتواقيع «مستعارة» .

وأرى مفيداً في هذا المقام ، أن أعدد أشهر هذه التواقيع التي ذيل بها مقالاته ، فان كثيراً من القراء قد لا يعلمون ان تلك المباحث من قلمه . والذي أحصيناه من تلك الأسماء جاوز خمسة وعشرين ، هذه أهمها مع ذكر المجلات التي وردت فيها .

١ — أحد القراء : له بهذا التوقيع ، مقالات في « المقتبس » و « المقتطف » .

٢ — أمكح : (وهو مقتطع من الحروف الأولى لاسم « الأب أنستاس ماري الكرملي الحافي » . وتُطلق لفظة « الحُفاة » على الرهبان الكرمليين ، لأنّ من رسمهم ان لا يلبسوا جوارب ولا أحذية ، بل ينتعلوا خفًا بسيطاً) . له بهذا التوقيع مقالات في « المقتطف » .

٣ — باحث : له بهذا التوقيع مقالات في مجلة « المباحث » .

٤ — بيث الخضري[2] : « المشرق » و « المسرة » و « صوت الحق »

(١) راجع : لغة العرب (٧: [سنة ١٩٢٩] ص ٨٣٣ — ٨٤٣)

(٢) تعريب اسم « أنستاس »

٥ - ساتسنا[١] : « المقتبس » و « الزهور » و « المسرة » و « المقتطف » .

٦ - فهر الجابري : « الزهراء » و « المقتطف » و « الهلال » .

٧ — كلدة : « المقتطف » و « مجلة المعلمين » ببغداد .

٨ — مبتدئ : « مجلة المرأة الجديدة » و « المباحث » .

٩ — متطفّل : « مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق » .

١٠ — محقق : « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » .

١١ — معتدل : « الاعتدال » النجفية .

١٢ — مستفيد : « المقتطف » .

١٣ — مستهلّ : « الهلال » .

على ان المقالات والنبذ المختلفة ، التي نشرها في مجلتيه « لغة العرب » و « دار السلام » ، كانت غفلاً من اسمه الصريح ومن توقيعه المستعار . فكل شيء في هاتين المجلتين لا يُنسب الى كاتبٍ بعينه ، فهو من قلم الأب أنستاس . وكان يصدّر تعليقاته على بعض مقالات « لغة العرب » أو إجاباته فيها على ما يرده من أسئلة ، بحرفي (ل . ع .) . وهما الحرفان الأولان من اسم تلك المجلة .

٥ — خزانة كتبه

ولعلّ من مفاخر العلم ، هذه الخزانة الجليلة الحافلة بأمهات الكتب وأعيان المؤلفات المطبوعة والمخطوطة . وقد أنشأ هذه الخزانة ببغداد ، في سنة ١٨٩٤ . وهي اليوم من أوسع خزائن الكتب القائمة في العراق وأنفسها . بلغ عدد كتبها الى آخر عمره ، زهاء خمسة عشر الف مجلداً . منها نحو ١٥٠٠ مخطوط ، وبين هذه المخطوطات الفريد والنادر .

وكان أصاب هذه الخزانة محنة قاسية جداً ، حين نُهبت كتبها في ٧ آذار

(١) مقلوب اسم « أنستاس ».

١٩١٧ . فكانت الخسارة بنهبها عظيمة . وقد وفق الأب أنستاس ، فيما بعد ، لاستعادة جملة من تلك المنهوبات . كما انه شمّر عن ساعد الجدّ وبذل الغالي والرخيص في اقتناء المطبوعات والمخطوطات ، حتى أضحت من أحفل خزائن العراق بالكتب النفيسة .

صنف الأب أنستاس ، ثبتاً موجزاً في وصف مخطوطات هذه الخزانة ، لم يُطبع .

والكتب المطبوعة في هذه الخزانة لا يمكن حصر نفائسها في هذه العجالة . ففيها مجاميع كبيرة للمعاجم العربية وغير العربية ، والكثير من التآليف العربية التي طبعها المستشرقون في ديار الغرب . وفيها جملة صالحة من تصانيف الافرنج الباحثة في شؤون الشرق ، ولا سيما العراق . هذا الى طائفة حسنة من الأسفار الموضوعة بالفارسية والتركية والسريانية .

أما مخطوطات هذه الخزانة ، فالكلام عليها يطول . والذي يحسن ذكره منها في هذه العجالة :

كتاب الزهرة : لأبي داود الاصفهاني[1] (النصف الثاني . وهو نسخة قديمة جداً) . العين للخليل بن احمد . كتاب السموم لشاناق الهندي . ديوان الأدب للفارابي . الخصائص لابن جنّي . سرّ الصناعة له . الحماسة لأبي تمام (تاريخها ٥٠٤ هـ) . المستقصى في أمثال العرب (٦٠٧ هـ) . الشفاء لابن سينا (الجزء الثاني ٧٣٤ هـ) . المختار في الطب (٦١٠ هـ) . الصحاح للجوهري (٦٠٣ هـ) .

وكان الأب أنستاس ، قد وقف هذه الخزانة الشرقية ، على «دير الآباء الكرمليين» ، ببغداد ، وهي محفوظة اليوم في هذا الدير .

(بغداد) كوركيس عواد



(١) النصف الأول من هذا الكتاب ، طبعه المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ، سنة ١٩٣٢ .

تمويه الحقائق

قرأت في مجلة لاروس الباريزية — وهي دائرة معارف تصدر كراريس كراريس — فصلاً عنّ له كاتبه «العالم العربي» جاء فيه حقائق، وتمويهات لا يكاد يسلم منها كاتب يمت الى السياسة الاستعمارية بصلة . وصف العالم العربي وصفاً مختصراً، ورأى انه عبارة عن مصر والشام والعراق والحجاز واليمن ونجد، تبلغ مساحته السطحية ثلاثة ملايين كيلو متر مربع سكانها اربعون مليوناً، وبذلك أخرج من المجموعة العربية سكان الامارات العربية المنبثة على شواطئ المحيط الهندي والخليج الفارسي وسكانها بضعة ملايين من الأنفس كما أخرج خمسة أقطار عربية في شمالي افريقية (برقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش) وسكانها خمسة وعشرون مليوناً وهنالك بضعة ملايين من السودانيين في افريقية اصولهم عربية ويتكلمون بالعربية اي ان السياسة أوحت الى كاتب المقالة أن يخرج من العرب أكثر من أربعين مليوناً فقط . فانظر كيف يكتبون اهم كتبهم واندب حظ العربي فيها اذا دعت فيها مناسبة للكلام عنه وعن ماضيه وحاضره .

ومن أغرب التمويه الذي وقع لهذا الكاتب ان نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية ثم تولت مصر كبرها وهي نغمة طالما رددها بعض جهلة اللبنانيين فزعموا ان لبنان سبق مصر الى التمدن وانه هو الذي علمها ومدنها مع ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين . والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعتين الأميركية واليسوعية في بيروت بأكثر من خمسين سنة وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل أن تنهض مصر من يقيم للعلوم المادية وزناً . وبينا كانت كتب الطب والزراعة والحيوان والنبات والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا وغيرها تتناقلها الأيدي في العالم العربي، وهي من تعريب المصريين الذين تعلموا في أوربا على عهد حكومة محمد علي الكبير — كان ابن لبنان لم يصل الى أكثر من السواعية .

ومن أشنع السخافات دعوى أحد أساتذة السوربون مؤخراً في جريدة لنوفيل ليتريز ان البربر هم أصحاب المدنية في شمالي افريقية والأندلس وما العرب الفاتحون الا شراذم من السلبة المشردين تعلموا في طريقهم الى فتح الغرب بعض ما عند أهله كما تعلم أبناء جنسهم في فتح فارس من الفرس أشياء أعانتهم على تأسيس مملكتهم الجديدة فقامت اذاً المدنية الأندلسية والمدنية الافريقية في تونس والجزائر ومراكش بفضل البربر فقط . ومن العجيب ان من يدعون لهم هذا الفضل في التمدين لم تعهد لهم مدنية قبل الاسلام في شمالي افريقية ولا شيء من بقايا حضارة بعد سقوط دولة العرب في الاندلس وسقوط دول الغرب الأقصى والأدنى في افريقية .

كذب مفضوح قاله الأستاذ السوربوني ولا يليق صدور مثله ممن يحمل اسم استاذ من أعظم جامعات العالم ولذلك نرى من واجبنا ان يشك كل عربي وكل مسلم في أكثر ما يصدر من الأحكام عن الفرنسيين على الاسلام والمسلمين ذلك لأنه ثبت ان من الفرنسيين من لا ينظرون الى كل أمر إلا بمنظار الاستعمار .

محمد كرد علي

نظرات في ذيل الروضتين

لأبي شامة المقدسي

اطلعتُ في هذه الأيام على كتاب « ذيل الروضتين » لأبي شامة المقدسي ، وقد نشره الأستاذ السيد عزة العطار الحسيني ، وقام على نشره الاستاذ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، والظاهر أن حرف الزاي في أواخر تعليقات الكتاب القليلة رمز الى اسمه ونشر الكتاب على هذه الصورة خير من بقائه بين المخطوطات الصعب الحصول عليها .

وقد جاء في آخر الكتاب « ص ٢٨٦ » أنّ نسخته المطبوعة هذه معتمد فيها

على نسخة دار الكتب المصرية ونسخة الخزانة التيمورية ، وكان الناشر حرياً أن يطلع على النسخة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس .

طالعتُ هذا الذيل وأكثر حوادثه مأخوذة من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي — كما يعلمه القائم على طبعه وكل قارئ لمرآة الزمان — وأنا بعيد عن المراجع التاريخية والأصول التحقيقية ، فوجدتُ فيه هنوات يمكنني أن اعتمد في إصلاحها على حافظتي ، أما الامور التي تحتاج الى فضل تحقيق وزيادة تدقيق فقد أرجأت الكلام عليها الى وقت آخر .

١ — ورد في ص ٦ س ١٣ « فأقام في دار درب الديوان » يعني ابن الجوزي حين نُفي الى واسط ، والصواب « في درب الديوان » أو « بدرب الديوان » لأن درب الديوان من الدروب المشهورة المعروفة في خطط واسط ، ولم تنسب اليه دار قط ، بله أن ذلك مخالف لمصطلح القدم في تسمية الدور والقصور .

٢ — وجاء في الصفحة المذكورة س ٣٢ « أولهم طغريل أعاد الغنائم الى بغداد » يعني بني سلجوق ، والصحيح « القائم » أي الخليفة العباسي القائم بأمر الله فانه هو الذي أعاده السلطان طغرلبك الى مقر خلافته لبغداد ، فالغنائم تصحيف القائم .

٣ — وجاء في ص ٩ س ١٧ « من دار الوزارة التي تقابل باب المتولي » والصواب « باب النُوبي » بضم النون وإسكان الواو وكسر الباء ، وهو من أبواب دار الخلافة العباسية في الجانب الشرقي من بغداد ، معروف في خطط بغداد ، مذكور في معجم البلدان وغيره من المعاجيم [1] .

٤ — وورد في ص ١١ س ٧ « وكان قد رآه عند الحربية رجل كواز » والصحيح « الحربية » نسبة الى من اسمه « حرب » وهي من محال بغداد الغربية ، معروفة مشهورة مذكورة في خطط بغداد .

(١) للمراجعة في خطط بغداد يحسن بالمراجع أن يتصفح تاريخ الخطيب البغدادي « ج ١ » ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومراصد الاطلاع لابن عبد الحق الحنبلي ومختصر مناقب بغداد و « بغداد على عهد الخلافة العباسية » لكاي لسترنج الانكليزي .

٥ — وفيها س ٢٣ «وفيها توفي أحمد بن عيسى الهاشمي والد الواثق بالله ويعرف بابن الغريق» والصواب «ولد الواثق بالله» أو «من ولد الواثق بالله» وهو شاعر عباسي واثقي مشهور، وقد أعيد ذكره في الكتاب نفسه ص ٣٤ س ١٨ بصورة «أبي جعفر الواثقي» وله ترجمة في تواريخ بغداد منها تاريخ ابن الدبيثي .

٦ — وفي ص ١٢ س ١٢ «ودفن في الحلة» يعني الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي، والصحيح «في الحلبة» بفتح الحاء واسكان اللام، وهي الحلبة التي كان المأمون يُجريها أيام اقامته وخلافته ببغداد، وهي محلة معروفة جداً في خطط بغداد وفي الأخبار الأدبية والتواريخ .

٧ — وفيها س ١٤ «أبو المظفر عبد الله بن يونس بن أحمد الجيلي» والصحيح «عبيد الله ..... الحنبلي» وقد صحح الاسم في الفهرست «ص ٢٧٨» الا أن النسب بقي على الخطأ، فانه كان مشهوراً بالحنبلي ولم يكن جيلياً قط، وترجمته مستفيضة في كتب التراجم .

٨ — ورد في ص ١٣ س ١٤ «الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم الزاهد القادسي، من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية» والصواب «الفارسي» بالفاء والألف والراء، و«الفارسية» منسوبة الى الفارس، وهي قرية معروفة لا شكّ في اسمها ولا في نسبة الشيخ المذكور اليها، أما القادسية التي كانت داخل العراق فهي قادسية سامرا «سرّ من رأى» كانت جنوبي سامرا ولا تزال آثارها قائمة، وقد ورد ذكرها في هذا الكتاب نفسه «ص ١٤٣ س ٢٣» ففي هذه الصفحة «احمد بن محمد بن علي القادسي الضرير الحنبلي والد صاحب الذيل ...» .

٩ — وفيها أيضاً س ٣٠ «ابو الحسن علي بن جابر زهير قاضي البطائح» والصواب «جابر بن زهير» .

١٠ — وفيها س ٣٢ «وعاد الى البطائح فولي القضاء بالعراق» والصواب «بالغرّاف» بغين وراء مشدّدة، مبالغة من الغارف، وهو نهر مشهور متفرع من دجلة تحت واسط وفيه يقول شاعر القرن السادس :

كلٌ من ولت سعادته فالى الغرّاف ينحدر

وكان اسمه يطلق على البلاد التي كان يسقيها ، فهذا معنى قوله « فولي القضاء بالغرّاف » . وقد ورد اسم الغراف في الكتاب نفسه ، ص ٥٤ س ٣١ ففي هذه الصفحة « عيسى بن يوسف بن أحمد الغراقي ، ولد بالغرّاف من أرض العراق » .

١٠ ب — وورد في ص ١٤ س ٢٠ « ابو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زيادة الواسطي » والصحيح « ابن زبادة » بالزاي المفتوحة والباء وهي القطعة من « الزباد » نوع من الطيب يتخذ من دابة كالسنور يقال لها « قطّ الزباد » ، وقد ضبط اسمه ابن خلكان في الوفيات بما لا يحتاج الى بيان ، وترجمته مستفيضة في كتب التواريخ إلا أن الذي حاز فضل ضبط اسمه هو مؤلف الوفيات ـ رحمه الله ـ .

١١ — وورد في ص ١٨ س ١٣ « ومدرسة ابن النجيب » والصواب « مدرسة أبي النجيب » وهو أبو النجيب عبد القاهر السهروردي الصوفي المشهور ومدرسته معروفة في خطط بغداد ولا يزال قبره ظاهراً في بغداد بازاء دار الضباط التي على دجلة ، بالقرب من المجلس النيابي الحالي .

١٢ — وجاء في ص ١٩ س ١٠ « محمد بن عبد المنعم بن أبي الفضائل الصوفي المهي شيخ رباط البسطامي » والصحيح « الميهني » نسبة الى ميهنة من بلاد العجم وهو رجل مشهور وعائلته معروفة عند مؤرخي بغداد قدمائهم ومحدثيهم .

١٣ — وورد في ص ٢٥ س ٢١ « شيخنا ضياء الدين ابن الجبير » والصحيح « ابن الجبير » تصغير الحبر وهو من فقهاء الشافعية ومدرسيهم المشهورين ببغداد ، وله ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وأخبار في تواريخ بغداد .

١٤ — وفيها س ٢٥ « في خندق الظاهرية » والصواب « الطاهرية » بالطاء نسبة الى طاهر بن الحسين وهذا الخندق هو الذي كان يحدُّ الحريم الطاهري من جنوبيه ويفصله عن مدينة المنصور بالجانب الغربي من بغداد ، وهو مذكور في معجم البلدان ومراصد الاطلاع وغيرهما .

١٥ – وجاء في ص ٣٦ س ١٢ – ١٣ « فيقال إنّ بني السهروردي حسدوه » والصحيح « ان بني الشهرزوري » لأن الحادثة جرت في الموصل وبيت الشهرزوري مشهورون في الموصل، في الوجاهة والقضاء والسلطة، ولم يكن لبني السهروردي أحد في الموصل، حتى يقال ذلك فيهم وعليهم .

١٦ (أ) – وفي ص ٢٧ س ١٣ – ٤ « العماد الكاتب الاصطفهاني » وهو الاصفهاني ولعل ذلك من غلط الطبع الصناعي .

١٦ ب – وجاء في ص ٢٨ س ١٠ ما هذا نصه وصورة طبعه :

« وفيها توفي أبو منصور بن نقطة المزكلش، كان يقول :

كان . وكان . لا يعرف الخط وهو أخو عبد الغني بن نقطة الزاهد ... » .

وفصل الطابع للكلام بعد « يقول » يدلّ على القول المألوف، يؤيد ذلك وضع النقطتين المتراكبتين المفسرتين باصطلاح الغربيين، وليس ذلك بالوجه فان مراد المؤلف هو أن أبا منصور بن نقطة المذكور كان ينظم الشعر المعروف بـ « كان وكان » وهو من الشعر العامي البغدادي المعروف كقول أحدهم :

يا قاسي القلب مالك تسمع ولا عندك خبر

وعلى ذلك كان يجب الوصل بين السطرين والفعلين كان وكان، ومنهم من يدخل على هذا الاسم « أل » ويقول « الكان وكان » .

١٧ – وورد في ص ٣٣ س ١٠ « في صحن السلم » وهو صحن السلام من صحون دار الخلافة، وربما كانت كتابته في الأصل على هذه الصورة أعني « صحن السلم » ولكن الرسم العصري يقتضي أن تكتب « صحن السلام » لئلا يظن ظان يجهل خطط بغداد أنّ صحناً من صحون دورها العظيمة مضاف الى السلم .

١٨ – وفي ص ٣٦ س ٢٤ « وفيها توفي أبو البركات محمد بن احمد بن سعيد البكزي ويعرف بالمؤيّد » . والصحيح « التكريتي » نسبة الى « تكريت » على دجلة فوق سامرا ولا تزال البلدة قائمةً، وهذا الرجل مشهور مترجم في عدة

تواريخ منها تاريخ بغداد لابن الدبيثي ، ويذكر اسمه في الغالب مع أبياته المحتوية على التوجيه في هجو الوجيه .

١٩ — وفي ص ٥٢ س ٥ « وكان يزور جدّي بالنظامية ويسمع معنا الحديث » هذا قول سبط ابن الجوزي وجدّه أبو الفرج بن الجوزي ، وكان أبو الفرج حنبلياً وكانت النظامية مدرسة شافعية ولم يرد في سيرة أبي الفرج مايصح معه أن يقال إنه حدّث بالنظامية ولو ساعة بالحديث النبوي الشريف[1] ، فاللفظ مصحّف لا شك في تصحيفه ، ولو كانت المراجع في متناولي لذكرتُ الصحيح ، إلا أني أرى الأصل مستحيلاً .

٢٠ — وفيها أيضاً س ١٦ — ٧ « قلتُ هي الدار التي جعلها البازرائي رسول الخليفة مدرسةً للشافعية » والصواب « البادرائي » نسبة الى بادرايا من القرى الكبيرة التي في شرقي العراق الأوسط ، ولا تزال عامرة تعرف بـ « بَدْرة » والمدرسة البادرائية مشهورة جداً ، ثم إنّ ترجمة البادرائي هذا واردة في ص ١٩٨ من الكتاب نفسه فقد وردت في حوادث سنة ٦٥٦ وأولها « وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة عمل صلاة الغالب عن الشيخ نجم الدين البادرائي هو ابومحمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد ... وبنى بدمشق المدرسة المذكورة ، وهي مدرسة حسنة للفقهاء الشافعية ووقف عليها وقوفاً حسنة وجعل بها خزانة كتب جيدة ... » .

٢١ — وجاء في ص ٥٣ س ٤ « وخرج فلم يظهر خبره إلا من فراغه بعد مدّة وعاد الى بغداد » وفي أول الخبر « وفيها هرب أبو جعفر محمد بن حديدة الوزير الأنصاري » . والصحيح أنه « سعيد » لا محمد وأنّ خبره ظهر من بلدة « مَراغة » باذربيجان لا من فراغة ، وقد ورد في ص ٨٥ من هذا الكتاب صحيح اسمه واسم

(١) ومن نوع هذا الغلط ما ورد في مجلة العرفان ج ٤ شباط ١٩٤٨ ص ٥٢٣ للأستاذ البحاثة المحقق عيسى اسكندر المعلوف من أن سعدي الشيرازي درس على الامام أبي الفرج بن الجوزي في المدرسة النظامية ببغداد ، فهذا لا يصح أبداً لأن ابن الجوزي لم يدرس بالنظامية كما ذكرنا — .

البلدة قال « وفيها توفي ابن حديدة الوزير واسمه سعيد بن علي بن أحمد ابو المعالي ولقبه معز الدين » الى أن قال في هربه « وخرج في زي النساء الى مَراغة وأقام فيها حتى عزل ابن مهدي وعاد الى بغداد ... » وترجمة الرجل مشهورة ذكره ابن الدبيثي في السُعَداء من رجال بغداد والصفدي في السعدي والسُعَداء من الوافي بالوفيات ، وذكره ابن الطقطقي في الفخري مع وزراء الامام الناصر لدين الله ، وكان من كبار الحنابلة وأشراف الناس .

٢٢ – وفيها ص ١٧ « وفيها توفي طاشتكين بن عبد الله المقتفوي أمير الحاج ولقبه فخر الدين حج بالناس ستاً وعشرين سنة » . والصحيح أنّ لقبه « مجير الدين » وهو الأمير الذي ذكره ابن جُبَيْر في رحلته عند الكلام على حجة سنة ٥٧٨ هـ وله ترجمة في عدة تواريخ ، منها فوات الوفيات وكامل ابن الأثير وقد أحسن ابن جبير الثناء عليه ، ومن الحق أنه كان من أكابر الأمراء وأماثلهم وصلحائهم .

٢٣ – وفيها ص ٢٠ « وكانت الحلة الشيعية إقطاعه » والصواب « السيفية » نسبة الى سيف الدولة صدقة الأسدي المزيدي ، وقد ورد ذكرها على هذه الصورة في ص ٩ من الكتاب ففيها « وكانت وفاته بالحلة السيفية » على أن كون الحلة سيفية من الأمور المتعالمة المشهورة ، والغريب في هذا الأمر أن تكون شيعية أيضاً ، ولكنها لا تذكر في التواريخ بالشيعية أبداً .

٢٤ – وفيها ص ٢٦ « وقام يوماً الى الوضوء فحلّ خياصته وتركها موضعه » . والصواب « الحياصة » بالحاء المهملة وهي في الأصل حزام الدابة ثم استعملت مكان المنطقة المزخرفة العريضة ، وقد وردت في شعر كمال الدين ابن النبيه :

يجذّب أطرافه وحياصته فلأياً شدّ تحت هميانه

٢٥ – وفي ص ٥٤ س ٣٠ « قلتُ : يعني بالقبة التي في المدرسة المعروفة بالمعظمية » ولم يكن للقبة ذكر قبل هذا الكلام ، فلذلك يجب الحاق هذه الجملة بآخر الخبر أي بعد قوله « ودفنت بالجبل وفي تلك القبة معها أبناء المعظم

عيسى ... » وبذلك يصح قول المؤلف « يعني بالقبة » لأنه نقل الخبر من خط العز بن محمد تاج الأمناء .

٢٦ — وجاء في ص ٥٨ س ٩ « وفيها توفي اسماعيل بن علي أبو محمد الخطيري من خطيرة الاجيل » والصواب « الحظيري » بالظاء المعجمة و « حظيرة الدجيل » على أن الصحيح في ضبط هذا الاسم « دجيل » بلا تعريف ولكن المؤلف تساهل فيه كمن فعل قبله .

٢٧ — وفي ص ٥٨ س ٣٠ ورد اسم والد ابي الحرم مكي الماكسيني بصورة « ربان » بالباء الموحدة ، ونقل المصحح في الحاشية من ص ٥٩ من وفيات الأعيان أنه بالمثناة التحتية ، ثم قال « ولعل الصواب هو ما هنا » . وليس من الصواب الأخذ بقول أبي شامة وترك قول ابن خلكان في ضبط الاسماء التاريخية ، فان ابن خلكان كان متحرياً فيها مدققاً للنظر ، وكأنه اعتاد ذلك من أستاذه زكي الدين عبد العظيم المنذري — رحمه الله — فقد كان آية في الضبط الصحيح ومعرفة المؤتلف والمختلف .

٢٨ — وورد في ص ٦٦ س ٢ — ٣ « قبالة تربة الصفي بن العائص » والذي أحفظه هو « الصفي بن القابض » أي صفي الدين ابن القابض ، وهو من مشاهير رجال دمشق وتجارها الكبار[1] .

٢٩ — وفيها س١٧ « وقرأ على ابن الخشاب وابن القصار » والصحيح « ابن العصار » وهو عبد الرحيم الأديب الراوية المشهور ، وكذلك ورد في غير هذا الموضع من الكتاب[2] ، وله ترجمة في الوفيات وتاريخ ابن الدبيثي والوافي بالوفيات وغيرها .

٣٠ — وفي ص ٦٧ س ٢ — ٣ « قاضيها صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي » والصواب « درباس » بالباء ، وترجمته مشهورة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ورفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني وغيرهما وقد ترجم ابن خلكان أخاه عثمان وكانا من الأكراد المارانية .

(١) كذا . والذي في مرآة الزمان ٨/٥٦٢ ان الصفي بن القابض كان وزير الصلاح الدين (المجمع)
(٢) راجع ص ٧٩ س ٦ ففيها « وقرأ اللغة على أبي الحسن بن العصار » .

٣١ — وفي ص ٧٠ س ١٩ « فألبسه اياها بقطعنا » وجاء في ص ٨٨ س ٢٨ « ودفن برباطه بقطعنا » والصحيح « بقطُفتا » بفتح القاف وضم الطاء واسكان الفاء وفتح التاء يليها ألف ، وهي القرى التي كانت عامرةً قبل بناء مدينة المنصور فلما بنيت هذه المدينة صارت من المحال المحادّة للكرخ من الجنوب الشرقي ، وتعرف اليوم بمحلة الفلاحات والحصّانة قرب تربة الشيخ معروف الكرخي . ذكرها ياقوت في معجم البلدان وابن عبد الحق في المراصد ولها ذكر كثير في التواريخ

٣٢ — وفيها س ٢٠ — ٢١ « ودفن عند باب جامع القصر الى جانب رباط الزوزني » . والصواب « جامع المنصور » لأنّ رباط الزوزني كان قرب باب جامع المنصور في الجانب الغربي من بغداد ، أما جامع القصر فقد كان في الجانب الشرقي ويفصل بين الجانبين نهر دجلة بله تباعد الموضعين أحدهما عن الآخر تباعداً ظاهراً .

٣٣ — وفيها س ٢٤ « وزاهر بن طاهر السحامي » والصواب « الشحامي » نسبة الى الشحّام ، وهو محدث مشهور ترجمه الصفدي وغيره من المؤرخين وجامعي وفيات المحدثين .

وجاء في ص ٧١ س ٢ « وجدت بخط الحافظ عبد العظيم المنذري أنّ الشيخ أبا عمر المذكور توفي ... » وهذا التعليق ملحق بترجمة « أبي حفص عمر بن محمد بن يحيى المعروف بابن طبرزد الدارقزي » . والصحيح الحاقه بترجمة الذي بعده وهو الشيخ أبو عمر شيخ الصالحية واسمه محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة » فهو المكنى بأبي عمر وهو الميت في التاريخ المذكور في الأصل المدفون في الموضع المشار اليه في الكتاب أعني جبل قاسيون .

ثم إن هذا التعليق يجب أن يكون في الحاشية ، لأنه ليس لأبي شامة وانما هو لأحد الملحقين ، وكذلك الأمر في التعليق الوارد في ص ١١٩ س ١٢ وأوله « ذكر الحافظ زكي الدين أنها توفيت في سادس عشر ذي القعدة من السنة وزاد غيره ... » وكذلك التعليق الوارد في ص ١٢٤ س ٢٢ ومنه قول الملحق

« قلت : ذكر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري — رح - في كتاب الوفيات أن صاحب آمد المذكور توفي سنة تسع عشرة وستمائة وهو الصحيح وقد تصحف على صاحب هذا التاريخ سبع عشرة من تسع عشرة والله أعلم لقد رأيت بخط الشيخ زكي الدين أيضاً ... » وقد عنى بصاحب هذا التاريخ أبا شامة فهو إذن غير المؤلف .

٣٤ — وفي ص ٧٧ س ٢٢ « وجلست بباجرى » والصواب « بيا جسرا » وهي من قرى النهروان المشهورة في طريق خراسان للخارج من بغداد الى حلوان فبلاد العجم ، ولها ذكر في معاجم البلدان وكتب المسالك والممالك والتواريخ واليها نسب جماعة .

٣٥ — وفي ص ٧٨ س ١٠ — ١١ « وقدمت خاتون بنت جلال الدين » والصواب « أم جلال الدين » كما في كامل ابن الأثير وسيرة جلال الدين خوارزمشاه لمحمد المنشي النسوي وغيرهما من الكتب ، وكذلك ورد الاسم في الصفحة نفسها س ١٩ و س ٢٥ و س ٣٠ .

٣٦ — وفي ص ٧٩ س ٥ « توفي أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن ويلقب بتاج الدين بن حمدون مصنف كتاب التذكرة » والصواب « ابن مصنف كتاب التذكرة » . فان والده محمداً هو الذي صنفها كما في وفيات الأعيان وحبس من أجلها حتى مات ، ولتاج الدين هذا ترجمة مفصلة في معجم الأدباء لياقوت وتاريخ ابن الدبيثي ، وله مؤلفات في الأدب والتاريخ .

٣٧ — وفيها س ٢١ « ثم بعثه في رسالة الى جزيرة ليس (؟) ومعه جماعة من الصوفية » . والصواب « جزيرة كيس » وهي من جزائر خليج العجم ، وتعرف أيضاً بقيس ، ولها ذكر في كتب البلدان والتواريخ .

٣٨ — وفي ص ٨٥ س ٢٤ « فالتجأ الى التربة الاخلاطية فلم ينفعه » والصواب « الى تربة الاخلاطية أو الخلاطية » وهي سلجوقي خاتون بنت قليج أرسلان

ملك بلاد الروم السلجوقي وتعرف بالاخلاطية والخلاطية ، ولها ترجمة في الوافي بالوفيات وتاريخ الاسلام الذهبي ، وكامل ابن الأثير في وفيات ٥٨٤ وكذلك وردت في هذا الكتاب نفسه ص ١٣ س ٩ « ولاه الخليفة المظالم وتربة الخلاطية » واليها نسب الرباط الوارد ذكره في ص ١٠٣ س ٣٠ — ١ « قد سلم الى بهاء الدين رباط الخلاطية وأوقافها ... » .

٣٩ — وفيها ص ٨٨ س ١٦ « توفي ابو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزّار المعروف بابن الأخضر » . والصواب « البزّاز » بزايين ، وهو رجل مشهور ، كان بزازاً معروف الحرفة ، ويؤيد ذلك ما ورد في ترجمته « وكانت له دكان بزقاق الريحانيين بخان الحسبة » ، ترجمه ابن الدبيثي والصفدي وابن العماد الحنبلي وغيرهم وكان من أماثل الحنابلة ومؤلفيهم وكبار محدثيهم ، ثقةً مأموناً .

٤٠ — وفي ص ٩١ س ٣ « ودفن بالوزيرية عند ابن فضلان » . والصواب « الوردية » نسبة الى من اسمه ورد وهي من مقابر بغداد الشرقية ، دفن فيها كثير من العلماء والفقهاء والصوفية ، ومنهم شهاب الدين عمر السهروردي المشهور ولا يزال قبره ظاهراً معموراً ، ولها ذكر كثير في خطط بغداد ووفياتها ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد في هذا الكتاب نفسه « ص ١٥ » ففيها س ٢٧ « وحمل الفقهاء جنازته الى الوردية » يعني ابن فضلان الذي أشار اليه المؤلف وهو أبو القاسم يحيى بن علي ابن الفضل ، وقد ذكر عبد اللطيف البغدادي في ترجمة نفسه أنّ ابن فضلان هذا كان من أساتذته وله ترجمة في عدّة كتب .

٤١ — وجاء فيها أيضاً س ٢٢ « وكوسات نكلي مشقّقة » والصواب « منكلي » وهو مملوك الملك أزبك الوارد ذكره في أول الخبر بهذه الصورة « دخل يوم الجمعة رأس منكلي مملوك السلطان ازبك ... » . والرجل مشهور والنقد واضح فلا نكلي في الخبر ولا أيم .

٤٢ — وفي ص ١٠٣ س ٢٦ « فولى الخليفة القاضي الريحاني أمر الرباط »

والصحيح « الزنجاني » نسبة الى زنجان بلاد العجم وهو محمود الزنجاني الذي صار قاضي القضاة بعدئذ وهو جدّ القضاة الزنجانيين بالعراق ، له ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى وأخبار في تاريخ ابن الدبيثي الا أن الجزء الذي فيه ترجمته مفقود ، وله أخبار في الحوادث الجامعة ومجمع الألقاب لابن الفوطي ·

٤٣ - وورد في ص ١١٣ س ٢٠ — ٢١ « وجاءت الفرنج فنزلوا على سمر ساح فأخلى لهم المسلمون الخيام ... » والصواب « شرمساح » وهي بلدة مصرية قرب دمياط (١) ، لها ذكر في أخبار دمياط أيام حروب الفرنج المعروفين باوربة بالصليبيين ، وقد جاء في ص ١٨٤ س ١١ من الكتاب نفسه « كانوا اختفوا في منية عبد الله من ناحية شرمساح فأخذوا برقابهم » · واليها نسب القاضي الشرمساحي مدرس المدرسة المستنصرية ببغداد للطائفة المالكية ·

٤٤ — وجاء في ص ١١٩ س ٧ « الشيخ أبو البركات داود احمد بن محمد ابن ملاعب البغدادي الملقب بالزّبيب » والصحيح « الزين » بالزاي والنون يعني « زين الدين » ، وقد مضى في الكلام على التكريتي أنه يعرف بالمؤيَّد ، يعني « مؤيد الدين » هذا هو اصطلاحهم ، ومن الغريب أنّ المؤلف لضعف ذاكرته كرّر الترجمة في كتابه ص ١٢١ س ١٢ قال « توفي زين الدين أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي » ولكن القائم على طبع الكتاب نسي أيضاً فلم يستفد من التكرار فائدة ·

٤٥ — وفي ص ١٢١ س ١٣ « المدير لمجالس الحكام بدمشق » والصواب « المُدير » من الادارة وهو الذي يطوف بمحاضر القضاة على الشهود ويديرها عليهم — كما في أنساب السمعاني — في مادة « م د ي ر » ·

٤٦ — وفي ص ١٢٢ س ١٦ « فكاتب العلقمي — يعني وزير بغداد — عساكره ووعدهم بالبلاد فاتفقوا على قتله وبعث العلقمي اليهم » · والصواب « القُمّي » نسبة

(١) وقد صحح المشرف على هذا الكتاب ، هذا الاسم بـ « سرمساح » في ص ٢٨٥ ·

الى بلدة قم وهو الوزير الخطير المشهور، وله ترجمة في الفخري وتاريخ ابن الدبيثي وأخبار حسان في الحوادث الجامعة ومجمع الألقاب وغيرها، وقد ورد ذكره في الكتاب نفسه قبل هذا «ص ٥٠ س ٢٦ »وأنشأ محمد بن محمد القمي الذي ناب في الوزارة» . ولم يكن العلقمي وزيراً للامام الناصر لدين الله ولا لابنه الظاهر ولا لابن ابنه المستنصر وانما صار وزيراً للمستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين .

٤٧ — وفي ص ١٢٤ س ٨ «الوزير ناصر الدين بن مهدي الذي ...» . والصحيح «نصير الدين» هذا لقبه واسمه «ناصر» فاذا جمع بينهما قيل «نصير الدين ناصر بن مهدي» . وأخباره في الفخري وكامل ابن الأثير والجزء التاسع من الجامع المختصر لابن الساعي وغيرها .

٤٨ — وورد في ص ١٣١ س ١٧ «فسمع أبا الفتح بن الميداني» . والصواب «المنداني» ويقال له أيضاً «الماندائي» نسبة الى طائفة الماندائية وهم الحرنانية الذين ذكرهم ابن النديم في الفهرست ، ويعرفون أيضاً بالصابئة ، ومنهم صابئة العراق الحاليين ، وأبو الفتح المنداني من بيت أسلموا بعد مندائيتهم ، استطرد الى ذكرهم ابن خلكان وترجم جماعة منهم ابن الدبيثي ، وهذا المحدث مشهور منهم .

٤٩ — وجاء في ص ١٤٤ س ١٣—١٤ «فما لنا بالكرج طاقة وبعد اما تفوت» . والصواب «وبغداد ما تفوت» لأنَّ غير هذا القائل حرَّضه على أخذ بغداد ، فطلب ذاك منه أن ينصره أولاً على الكرج ويبقي بغداد لأنها سهلة الاستيلاء .

٥٠ — وجاء في ص ١٥٢ س ١ «وحج بالناس من العراق شمس قيزار (؟) مملوك الخليفة» . والصحيح «شمس الدين قيران» وهو أمير معروف له أخبار في الحوادث الجامعة وغيرها .

٥١ — وجاء في ص ١٦٢ س ١٢ «وفيها توفي الزين بن قفرجل (؟)» ، ولا حاجة الى الاستفهام بالخط فان ابن قفرجل من عائلة محدثة مشهورة ، والاسم «قفرجل» صحيح .

٥٢ — وجاء في ص ١٦٣ س ٢٠ « التقي بن ماسويه واسمه أبو الحسن علي بن أبي الفتح ... » والصحيح « ابن باسويه » بالباء في أوله لا الميم ، وهو من كبار المحدثين وقد ضبط اسمه هكذا زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتابه « التكملة لوفيات النقلة » .

٥٣ — وجاء في ص ١٧٠ س ٢٤ « وذكره الزيني في تاريخه » والصحيح « الدبيثي » كما هو ظاهر وله ذكر كثير في هذا التاريخ لأنه من مراجعه ومراجع مرآة الزمان .

٥٤ — وفي ص ١٧٩ س ١١ « والجمال بن البلان (؟) » ولا حاجة الى الاستفهام فان البلّان هو المدلك للناس في الحمامات وعلى ذلك يصح أن يقال « ابن البلان » كما يقال « ابن القصاب وابن الحايك وابن الحمامي » .

٥٥ — وجاء في ص ١٨٧ ص ١١ — ١٢ « وكان أولاً معيداً لشهاب الدين الطومي بمنازل ودرس ... » والذي أحفظه « منازل العزّ » وهي من مدارس الشافعية المشهورة بالقاهرة ، ولعل الواقف على طبع الكتاب يدحض ما علق بذهني .

٥٦ — وفي ص ١٨٨ — ٩ مزّقت ترجمة الأديب المحدث المشهور أبي العرب اسماعيل بن حامد القوصي الملقب بشهاب الدين ، فقد ألحق شعره في ص ١٨٨ س ٢٢ بترجمة الفقيه ضياء الدين سقر (كذا ولعله سنقر) ابن يحيى بن سقر ، وفي ص ١٨٩ س ١ جاءت تتمة أخبار معجمه ، وبعد خمسة أسطر منها ورد خبر وفاته ، وهذا ترتيب ترجمته « توفي الشهاب القوصي ... ومن شعره ... وله معجم ... قلت طالعته ... » .

٥٧ — وجاء في ص ١٩٥ س ١٦ — ١٧ « الأمير بدر الدين بن الحسن (كذا) المعزي الميروقي » . وهو من أقارب الميروقي الملك المشهور ببلاد المغرب » والصواب « المغربي » نسبة الى المغرب و « الميورقي » نسبة الى جزيرة ميورقة في شرقي اسبانية ، والميورقي الملك مشهور في التاريخ وحارب الموحدين وحاربوه .

يتبع : مصطفى جواد

المؤتمر الحادي والعشرون للمستشرقين

انعقد مؤتمر المستشرقين الحادي والعشرون في بناء المعهد الوطني للعلوم السياسية بباريس وإلى القراء البرنامج الموجز لجلساته :

الجمعة في ٢٣ تموز ١٩٤٨ :

الصباح : استقبال أعضاء المؤتمر في مركز المعهد . ثم اجتماع حر بينهم .

بعد الظهر : الحفلة الافتتاحية .

انتخاب أعضاء اللجنة الاستشارية للمؤتمر .

اعلان المواضيع التي يدرسها المؤتمر

السبت في ٢٤ تموز

الصباح : جلسة لجان المؤتمر

بعد الظهر : استقبال بلدية باريس في بناء البلدية لأعضاء مؤتمر اللغويين وأعضاء مؤتمر المستشرقين .

الأحد في ٢٥ تموز

بعد الظهر : اجتماع عام في متحف « غيمه » Guimet .

الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاماً على المدرسة الفرنسية في الشرق الأوسط .

أعمال اللجنة الفرنسية للحفريات في بلاد الأفغان .

زيارة المتحف .

الاثنين في ٢٦ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة متحف الخطوط والكتب في الشرق والغرب في بناء المكتبة الوطنية .

زيارة معرض المجموعات الشرقية في قسم الداليات .

الثلاثاء في ٢٧ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة متحف اللوفر .

اجتماع عام — محاضرة للسيد « دورم » قراءة الخطوط الهيروغليفية الجديدة في جبيل .

محاضرة الدكتور « بهادر الكيم » الحفريات في [كاراته پ] .

اكتشاف مفتاح قراءة الهيروغليفي الحثي .

محاضرة [بوسه ر] : المشاكل التاريخية من خلال نصوص [كاراته پ] .

الأربعاء في ٢٨ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة متحف [سارنوشى] ، معرض لايران (آخر ما دخل معرض طهران) .

الخميس في ٢٩ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة الوثائق الوطنية ، ومعارض المطبعة الوطنية ، ومعرض فرنسا في الصين للقرنين السابع عشر والثامن عشر ومعرض مؤتمر الدراسات البيزنطية .

الجمعة في ٣٠ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

السبت في ٣١ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر ·

بعد الظهر : اختتام المؤتمر ·

عرض المقررات والمطالب (كمشروع اتحاد المستشرقين ،
واختيار مركز للمؤتمر الثاني والعشرين للمستشرقين وغيرهما)
والتصويت عليها ·



بيان بالكتب التي ستترجم

باشراف جامعة الدول العربية

Brockelmann.	Geschichte der arabischen Litteratur.
Creswell.	Islamic architecture.
Diorand.	Story of civilisation.
Keen.	The agricultural development of the Middle East. London , 1946 , 126 p. , 8 gr . , pl .
Le Strange.	The lands of the Eastern Califate . Cambridge , 1905 , 536 p . , 10 pl .
Musil.	Northern Hejaz.
Migeon.	Histoire des arts Musulmans.
Nielsen.	Die Altarabische Kultur. 1927 , 240 p.
Palencia (A. Conzalez) .	Historia de la Literatura Arabigo Espanola . Barcelona , 1928 , 356 p . .
Sarton.	Introduction of the histosy of science .
Worthington.	A Middle East Science. London , 1946 , 239 p. pl. Gravres
Zanbaur.	Manuel de Génèalogie.
	Twentieth century Sociology edited by Georges Gurwitch and Wilbert Man (the Philosophical Library) . New York.

تنويه أدبي

قررت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية أن تنوه بخير الكتب المؤلفة سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ في الأدب من شعر ، وقصص ، وبحوث ، ودراسات أدبية ولغوية على ألا يكون من بينها كتب مترجمة اللهم الا اذا كان الكتاب المترجم من أمهات الكتب التي تعود على الأدب العربي بفائدة وتضم اليه ثروة محققة .

والمرجو من الهيئات العلمية ودور النشر والمكتبات موافاة اللجنة بهذه الكتب أو افادتها بأسمائها ونبذ عنها .



هدية الى دار الكتب الظاهرية

سلمت اسرة المرحوم العقيد المتقاعد السيد أحمد صدقي الكيلاني بوصية منه ، الى دار الكتب الظاهرية ، مكتبته البالغة ٧٧٨ مجلداً بين كتاب ومجلة ، رحمه الله وجزاه عن العلم والأدب خير جزاء .



الفهرس العام لمواد المجلد الثالث والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد الثالث والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والعشرين

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء



Bibliotheca Alexandrina
06552742